١٥- كتاب الأذْكَار

٢٤٤- باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللّه أكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾... إلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأصِيلاً﴾[الأحزاب: ٤١- ٤٢] الآية. والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الحديث رقم (١٤١٠)

١٤١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللّه ﷺ: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلَى الرَّحْمانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الذكر يعتمد أسلوب التشويق في تقرير المعنى وتهيئة المخاطب ليقع في نفوسهم الموقع الأمثل، وقد تصرف في النبي ﷺ في أسلوبه بعبقرية بلاغي، وتوفيق نبي فجاء حديثه قطعة بديعة في تناسق، ورقة في العبارات، ودقة في المعانى

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم واللفظ له (٢٦٩٤/٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧٩).

فقوله (كلمتان) نكرة مقدمة؛ لأنها الخبر وقوله: (حبيبتان) وما بعدها صفة تزيد تعلق المخاطبين بالنكرة، والمبتدأ (سبحان الله) إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه؛ لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا، وقوله: (خفيفتان) قال الطيبي الخفة مستعارة للسهولة شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات ولا يشق عليه فذكر المشبه، وأراد المشبه به والتعبير بَخِفَّتهمَا لبيان سُهُولَتهمَا عَلَى اللِّسَان لِقِلَّةِ حُرُوفهمَا وَحُسْن نَظْمهمَا وَاشْتِمَالهمَا عَلَى الاسْم الْجَلِيل الَّذِي يُذْعِن الطِّبَاع فِي ذِكْره كَأَنَّهُمَا فِي ذَلِكَ كَالْحِمْلِ الْخَفِيف الَّذِي يَسْهُل حَمْله، وقوله (ثقيلتان في الميزان) الثقل فيه على حقيقته، لأن الأعمال تتجسم عند الميزان والميزان هو الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد، والله تعالى يجعل الأعمال كالأعيان موزونة، أو يوزن صحف الأعمال، والطباق بين خفيفتان، وثقيلتان يشير إلى المفارقة العجيبة بين سهولة العمل، وبين عظمة الجزاء التي تنادي العاقل باغتنامها، وقوله (حبيبتان) تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، والمراد هنا محبوبية قائلهما، وتخصيص لفظ الرحمن من بين سائر الأسماء الحسنى، لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل بالإضافة إلى أنه أنسب لإقامة السجع أعني الفواصل وهي من محسنات الكلام التي تعطي اللفظ عذوبة والعبارة انسجاما مع غيرها، وقوله (سبحان الله) وَمَعْنَى سُبْحَان اللَّه تَنْزِيهُهُ عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِجَنَابِهِ الْعَلِيّ وَهُوَ مَصْدَر لِفِعْلٍ مُقَدَّر أَيْ أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَالْوَاو فِي وَبِحَمْدِهِ لِلْحَالِ بِتَقْدِيرِ وَأَنَا مُلْتَبِس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ لِلْعَطْفِ أَيْ أُنَزِّههُ وَأَتَلَبَّس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ زَائِدَة أَيْ أُسَبِّحهُ مُلْتَبِسًا بِحَمْدِهِ، ووجه تكرير سبحان الله الإشعار بتنزيهه على الإطلاق ثم أن التسبيح ليس إلا ملتبسا بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا جميعا، وفي الحديث من البديع المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع لأنه قال حبيبتان إلى الرحمن، ولم يقل للرحمن لموازنة قوله على اللسان، وعدى كلا من الثلاثة بما يليق به، وفيه إشارة إلى امتثال قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه١٣٠]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل.

ثالثًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث في قوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو وترغبه في فعل الخير، وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف ويأتي علاجًا وردعًا ويأتي بشيرًا ونذيرًا فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[2]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل:

حيث جاء في الحديث "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، وقوله: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، "ولا شك أن هذا ترغيب وبيان لفضل هذه الأذكار، قال الطيبي: "وفيه الحث على المواظبة عليها وتحريض على

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١١).

(٢) الدعوة إلى الله – الرسالة والوسيلة والهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩-٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

ملازمتها، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا يتركوها إذن روى في الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام: ما بال الحسنة تثقل والسيئة تخف؟، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فلذلك ثقلت عليهم فلا يحملنكم ثقلها على تركها، فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة والسيئات حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم فلا يحملنكم على فعلها خفتها، فإن بذلك خفت الموازين يوم القيامة"[١].

وقال الطيبي أيضًا: "والتعبير بقوله" مما طلعت عليه الشمس"، هي كنايات يعبر بها عن الكثرة عرفًا"[٢]، وقال ابن حجر: "وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته فلا ينبغي التفريط فيه لأن جميع التكاليف شاقة على النفس وهذا سهل، ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" المراد أن قائلها محبوب لله ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم، وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم[٣].

وقال ابن عثيمين: "وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها مع أنها أحب إلى رسول الله ﷺ، مما طلعت عليه الشمس رغم أن الإنسان لو ملك الدنيا كلها لا يستفيد منها شيئًا بعد موته لكن "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، هي الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٤]، فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة"[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٣/٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ٧٢/٥.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٥٠٧/٢.

قال أبو العباس القرطبي: وقوله في الحديث: (لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، أي: من أن تكون له الدنيا بكليتها، فيحتمل أن يكون هذا على جهة الغاية والانتهاء على طريقة العرب في ذلك، ويحتمل أن يكون معنى ذلك: أن تلك الأذكار أحب إليه من أن تكون له الدنيا فينفقها في سبيل الله، وفي أوجه البر والخير، وإلا فالدنيا من حيث هي دنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذلك هي عند أنبيائه، وأهل معرفته فكيف تكون أحب إليه من ذكر أسماء الله وصفاته التي يحصل بها ذلك الثواب العظيم والحظ الجزيل؟)[1].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" أي محبوبتان، والمعنى محبوب قائلهما. وخصّ لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازى العمل القليل بالثواب الكثير. وقوله: "سبحان الله وبحمده" أي: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه).

وقال الخطابي في حديث: (سبحان اللهم ربنا وبحمدك: أي: بقوتك التي هي نعمة توجب عليّ حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي. وقوله: "سبحان الله العظيم" قال بعض مشايخنا: إن الكلمة الأولى وهي سبحان الله وبحمده، تشعر بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه، وبالاعتراف بجميع ما يحمد به، وهذا يورث في القلب حبًا لله تعالى لأن من كان منزهًا من كل عيب، ومستجمعًا لجميع صفات الكمال استحق الحق. وأما الكلمة الثانية، فتشعر بعظمة الله تعالى وجلاله، وذلك يورث خوفًا منه تعالى، وإذا اجتمع الخوف والحب أورث خشية وهي من أعظم ما يقصد حصوله للعبد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2]، ومن هذه الجهة كان ثواب الكلمتين عظيمًا. ثم قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين، والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام. فلا نظن أن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٢٢، ٢٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

من أدمن الذكر، وأصر على ما شاءه من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته، أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح)[١].

فمن أجل ذلك (قد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب)[٢]. فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٣].

قال القرطبي: (أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله...، وفي قوله تعالى ﴿وَسَبِّحُوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي: أشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾، قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤])[٥].

وفي ذلك قال ابن القيم: (إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز...، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٤٢٨/١١، ٤٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٨٠/١١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٦٧/١٧-١٦٩.

الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله)[١].

ثالثًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث أرشد الرسول ﷺ، إلى فضل هذه الأذكار، حيث قال ﷺ: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إلا إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس". والداعية الناجح هو الذي يرشد ويدل إلى الخير دائمًا وبهذا يظهر حرصه على المدعوين، وقد قال الله تعالى عن إمام الدعاة الأول ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، وبين الله تعالى أن نبيه يدعو إلى الهدى دائمًا والحق، قال جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]. وقد بين النبي ﷺ، أن الذي يرشد ويدل إلى الخير له من الأجر مثل فاعله فقال في الحديث: "من دل على الخير فله مثل فاعله. أو قال عامله" [٤].

إن الداعية دائمًا مصدر نفع للمدعوين، وحرص على إرشادهم وتوجيههم يفرح لطاعتهم ويحزن لمعصيتهم.

(وهذا الشعور الغامر بالشفقة على الناس يبعث في النفس الحزن والأسى على حال المعرضين والعاصين، ويتولد إثر ذلك قوة نفسية دافعة لاستنقاذهم من الخطر المحدق بهم، والهلاك القادم إليهم، وما أبلغ وأدق النص القرآني في بيان هذه الصفة عند

---

(١) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٤٢٨/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

تأمل هذه الآيات فإنه من فرط شفقته ﷺ داخله الحزن لامتناعهم عن الإيمان، فهوّن الله سبحانه عليه الحال، بما يشبه العتاب في الظاهر.

وقال ابن كثير في تفسيره[٣]: يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ...﴾ مسليًا لرسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه.

فهذه نفس الرسول ﷺ ملئت رحمة وشفقة على هؤلاء حتى كاد يُهلك نفسه وهو يدعوهم ويحرص على هدايتهم، ثم يخالط مشاعره الحزن عليهم والأسى لهم.

إن الداعية ينظر إلى المدعوين نظرة الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال بكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم هم المفرطون[٤]، وهكذا فإن: "الداعي الرحيم لا يكف عن دعوته ولا يسأم من الرد والإعراض لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضهم بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن إقناعهم وإرشادهم"[٥].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٧٢/٣.

(٤) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ص١١٢، ١١٣.

(٥) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص٣٤٤.

الحديث رقم (١٤١١)

١٤١١- وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أكْبَرُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أحرص الناس على ما يقرب إلى الله، فهو أتقى الناس، وأعلمهم، فإذا قال قولا فهو الحق المبني على العلم، وإذا اختار اختيارا فهو مبني على اليقين وقوله (لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ... إلخ) كناية عن عظمة الأجر الذي تحويه هذه الكلمات، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى أنه المختار المرضي عند رسول ﷺ، وقوله (مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) كناية عن كل متاع الدنيا بأموالها وقصورها وبساتينها وغيرها من المتاع الفاني، وإذا تأملنا الأدعية وجدناها تضمنت تنزيه الله عن النقص (سُبْحَانَ اللهِ) والتعبير بالمصدر سبحان دون الفعل أسبح للمبالغة في التنزيه، كما تضمن الحمد والثناء على الله في قوله: (الحمد لله) وال في قوله الحمد للجنس أي جنس المحامد ثابت لله تعالى، كما تضمنت توحيد الله - عز وجل - في قوله: (وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي، والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه كما تضمنت تكبير الله في قوله: (وَاللهُ أكْبَرُ) ثم إن هذا التنويع في الذكر يقابله تنويع في الشعور الوجداني عند الداعي لأن إحساسه بمعنى تنزيه الله يخالف إحساسه بحمده الذي يرافق استشعاره لنعم الله عليه كما يخالف تكبيره لله الذي يستشعر معه تصاغر الموجودات مهما عظمت بالنسبة لغيرها، وهكذا في كل ذكر يرافقه لون من الشعور في الوجدان يزيده معرفة بصفة من صفات الله وجهة من جهات عظمته تعالى، والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٦٩٥/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٢)

١٤١٢- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ)).

وقال[1]: ((مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رقاب: جمع رقبة وهي في الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه، فالرقبة يراد بها العبد أو الأمة[3]، يعني قدر عتق عشر رقاب.

حرزًا: حماية وحفظًا وصونًا[4].

حُطَّت: أسقطت وغُفرت [5].

زبد البحر: رغوةُ مائه[6].

الشرح الأدبي

باب الذكر من أعظم الأبواب خيرا لكثرة الأجر المترتب عليه من ناحية، ومن

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، إلا الشطر الأخير، ومسلم (٢٨/٢٦٩١). ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٥)، وفصل القول الأخير بقوله: (وزاد مسلم) ثمّ ذكره، وهو الصواب.

(٣) النهاية في (ر ق ب).

(٤) النهاية في (ح ر ز).

(٥) النهاية في (ح ط ط).

(٦) لسان العرب في (ز ب د).

أخرى لسهولة إتيانه من مختلف طبقات الناس، وعلى اختلاف أعمارهم فيشترك فيه الغني، والفقير، والكبير، والصغير، والصحيح، والسقيم، والقوي، والضعيف لا يفرق بينهم في هذا العمل إلا الإخلاص فيه، وكثرة أحدهم عن غيره ثم إنه لا يختص بزمان كبعض العبادات، ولا بمكان بل في كل حين بلا كلفة، ولا مشقة فالعاجز المحروم من حرم نفسه خيرا عظيما لا كلفة فيه، وهذا الحديث يفتح بابا من أبواب الخير التي لا يعلم مداها وصولا بالعبد في درجات الزلفى إلا الله، وقد ساق الخبر في قالب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب في الذكر لأنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل، ويترك المؤمن ليختار فعلا بعاقبته، وداعي الله في قلبه يؤزه أزا لتحصيله وفعل الشرط هو قول كلمة التوحيد في قوله (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ...) بالصيغة المذكورة، في الظرف المذكور وبالعدد المذكور (فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ) وجواب الشرط يفيد ثبات، وتحقق الأجر المذكور في قوله (كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي) وقد تضمن هذا الجزاء درجات من الفضل أولها أنها تصير له عدل عشر رقاب أي تساوي فكأنه تصدق بما يساوي ثمن العشرة، والتصدق في عتق الرقاب له خصوصية لأنه يملِّكُ الإنسان أعز ما له، وهو نفسه، وحريته مما يدل على عظم الأجر وتميزه، ، والدرجة الثانية في الجزاء أن تكتب له مائة حسنة وتمحى عنه مائة سيئة، ولا ننسى أن الكتابة تدل على شدة الثبات، وصيغة الماضي في الجواب تفيد التحقق، وبناء الفعل للمفعول للعلم بالفعل وهو الله - تعالى- أو من كلَّفه بذلك من ملائكته، والدرجة الثالثة كونها حرزا أي حصنا من الشيطان، وهو العدو الأكبر الخفي ثم إنه قرر أفضليته على الناس جميعا في العمل، إلا من عمل مثله أو زاد عنه، وذلك عن طريق أسلوب القصر الذي يؤكد سبقه للجميع (وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ) ثم فتح بابا من الفضل بالتسبيح، والتحميد مائة مرة، والذي يمحو جميع الخطايا مهما بلغت، وقد وردت في أسلوب الشرط المرغب في العمل بذكر الجزاء، مع إشعار المخاطب بأنه حر الاختيار في تحصيل هذا الفضل أو تركه، والتشبيه بزبد البحر مبالغة في استقصاء الذنوب بالمغفرة لمن عمل بهذا العمل مهما بلغت ذنوبه فضلا من الله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له..."، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشد فكرهم إلى معرفة جواب الشرط، وتبين للمدعو مدى ارتباط الشرط بالجواب، فالجزاء من جنس العمل ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير:

يتضح هذا من الحديث: "كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه"، وهذا يدل على فضل هذا النوع من الذكر، قال النووي: "والتهليل المذكور في الحديث أفضل من غيره لأن فيه زيادة الحسنات ومحو السيئات، وفيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزًا من الشيطان وبهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٣).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٨.

يزيد على فضل التسبيح وتكفير الخطايا، لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، وفي الحديث دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم، كان له هذا الأجر المذكور على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نهى الله عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها كالزيادة في عدد ركعات الصلاة، ويحصل الأجر المذكور لمن قالها متوالية أو متفرقة في مجالس، أو بعضها أول النهار، وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره"[1].

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث ذكر ثواب عتق عشر رقاب لقولها مائة فيكون مقابل كل عشر مرات رقبة من قبيل المضاعفة فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، هذا وقد جاء في الحديث أن من قال هذا الذكر أيضًا عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع وصف كون الرقبة من بني إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم، أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم"[2].

قال القاضي عياض: وقوله: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، ثم ذكر بعد في فضل من قال: "لا إله إلا الله" المتقدم "كان كمن أعتق أربعة [أنفس] من ولد إسماعيل" ثم ذكر حديث: ((من سبح مائة تسبيحة كتبت له ألف حسنة، وحطت عنه ألف سيئة))، ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية وحدٌّ لهذه الأجور. ثم نبه ﷺ بقوله: "إلا أحدٌ عمل

---

(١) شرح صحيح مسلم١٥٩٠.

(٢) فتح الباري ٢٠٩/١١.

أكثر من ذلك" أنه جائز أن يزاد على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسابه، لئلا يظن أنها من الحدود التي نهى عن اعتدائها، وأنه لا فضل في الزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنن المحدودة أو أعداد الطهارة.

وقد قيل: يحتمل أن هذه الزيادة من غير هذا الباب، أي ألا يزيد أحد أعمالاً أخرى من البر غيرها، فيزيد له أجرها على هذا.

وقوله في حديث التهليل: "محيت عنه مائة سيئة"، وفي حديث التسبيح: "حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" ظاهره أن التسبيح أفضل. وقد جاء في حديث التهليل "ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به" فيحتمل الجمع بينهما أن يكون حديث التهليل أفضل، وأنه إنما زيد من الحسنات ومحي من السيئات المحصورة، ثم جعل له من فضل عتق الرقاب ما قد زاد على فضل التسبيح، وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء أنه «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا، عُضْوًا مِنه مِنَ النَّارِ»[1].

فهنا قد حصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عمومًا بعد حصر ما عد منها خصوصًا مع زيادة مائة درجة، وما زاده عتق الرقاب الزائدة على الواحدة.

وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص[2].

قال القرطبي: (وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ»)يعني: أن ثواب هذه الكلمات بمنزلة ثواب من أعتق عشر رقاب، وقد تقدم في العتق: أن من أعتق رقبة واحدة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، ثم يزاد مع ذلك كَتْبُ مئة حسنة، ومَحْو مئة سيئة، يُجْمَع ذلك كله له، وكل واحد من هذه الحسنات مضاعفة بعشر، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٠٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/١٩١، ١٩٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وكما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المذكور بعد هذا، وهذا الحديث وجميع ما في الباب من الأحاديث يدل على: أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال كلها، وقد صرح بهذا المعنى في آخر هذا الحديث حين قال: «وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». وأنص ما في هذا الباب ما جاء عن أبي الدرداء قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ، وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ. قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1]. وهذا لا يقوله أبو الدرداء من رأيه، ولا ينظره؛ فإنه لا يتوصل إليه برأيه، فلا يقوله إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه سكت عن رفعه للعلم بذلك عند من حدثه بذلك. وقد رواه الترمذي مرفوعًا، والله تعالى أعلم.

وقوله: "وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى"، يعني: أن الله تعالى يحفظه من الشيطان في ذلك اليوم فلا يقدر منه على زلة، ولا وسوسة ببركة تلك الكلمات.

قلت: وهذه الأجور العظيمة، والعوائد الجمة إنما تحصل كاملة لمن قام بحق هذه الكلمات، فأحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه، واتضحت له معانيها، وخاض في بحار معرفتها، ورتع في رياض زهرتها، ووصل فيها إلى عين اليقين؛ فإن لم يكن، فإلى علم اليقين، وهذا هو الإحسان في الذكر؛ فإنه من أعظم العبادات. وقد قال صلى الله عليه وسلم في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين كانت أجورهم على ذلك بحسب ما أدركوا، وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الأجور، والثواب المذكور في أحاديث الأذكار، فإنك تجد في بعضها ثوابًا عظيمًا مضاعفًا، وتجد تلك الأذكار بأعيانها في رواية أخرى أكثر أو أقل، كما اتفق هنا في حديث أبي هريرة المتقدم، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، ٨.

فيه: ما ذكرناه من الثواب، وتجد تلك الأذكار بأعيانها وقد علق عليها من ثواب عتق الرقاب أكثر مما علّقه على حديث أبي هريرة، وذلك أنه قال في حديث أبي هريرة ﷺ: ((من قال ذلك في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب))، وفي حديث أبي أيوب: ((من قالها عشر مرات كانت له عدل أربع رقاب)). وعلى هذا فمن قال ذلك مئة مرة كانت له عدل أربعين رقبة، وكذلك تجده في غير هذه الأذكار، فيرجع الاختلاف الذي في الأجور لاختلاف أحوال الذاكرين، وبهذا يرتفع الاضطراب بين أحاديث هذا الباب، والله الموفق للصواب.

وقوله: "إلا أحد عمل أكثر من ذلك"، أي: قال: فسمى القول عملاً، كما قد صرح به في الرواية الأخرى. والذكر من الأعمال التي لا تنفع إلا بالنية والإخلاص[(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، قال الإمام ابن حجر: "ومعنى التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة"[(٢)]، وقال الطيبي: "وقوله في الحديث "في يوم" يوم مطلق لم يعلم في أى وقت من أوقاته فلا يقيد بشيء منها وبقوله: "مثل زبد البحر" هذا وأمثاله كنايات عبر بها عن الكثرة عرفًا"[(٣)]. وقد أمر الله بتسبيحه فقال جل شأنه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[(٤)]. وبالجملة فالتسبيح والتحميد نوع من ذكر الله المأمور به في القرآن والسنة النبوية المطهرة، الموعود عليه بالثواب الجزيل والأجر الكبير.

وقد علق الحق تبارك وتعالى الفلاح على الإكثار من الذكر فقال سبحانه:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/١٩-٢١.

(٢) فتح الباري ١١/٢١٠.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥/٧٢.

(٤) سورة الأعلى، آية : ١.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]، قال السعدي: (أمر الله بالإكثار من ذكره فقال: "اذكروا الله كثيرًا" أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، "لعلكم تفلحون" فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح)[2].

وأثنى جل وعلا على أهله، وحسَّن جزاءهم: فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾[3]. قال الطبري: (والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك "أعد الله لهم مغفرة" لذنوبهم، "وأجرًا عظيما" يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة)[4].

وقد جعل تبارك وتعالى ذكره لهم جزاء لذكرهم له: فقال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[5]، قال السعدي: (فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»[6]. وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٩/١٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصًا، ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا، كما جاء في الآية[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

"يتضح هذا من سياق الحديث، ولاشك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في توجيه المدعوين وحثهم على الإقبال على الطاعة حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الوعد بالثواب والأجر: "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه وهو يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره الممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة، بالرضا منه سبحانه والقرب من حضرته ودخول جنته"[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٤.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩١.

الحديث رقم (١٤١٣)

١٤١٣- وعن أَبي أيوب الأنصاريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ[1]. كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعَةَ أنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

أعتق: حَرَّر وأطلق[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من ناحية الترغيب في الذكر، ومن ناحية نوعية الذكر، ومن ناحية الأسلوب، وهو أسلوب الشرط الذي يربط عملا بنتيجته، كارتباط النتيجة بالمقدمة وفعل الجزاء في عبارة الشرط هو فعل القول: (قال) ومقول القول هو عبارة التوحيد المتصلة بالحمد والإقرار لله بالقدرة التي تتضمن بالمفهوم المقابل اعتراف الإنسان بالعجز، وأداة الشرط هي (من) وهي اسم موصول متضمن للشرط وهي للعاقل، وكأنها إيذان بانتداب أهل العقل لتحصيل هذا الأجر العظيم مع تقييد قول هذه الصيغة بالعدد عشر، وجواب الشرط هو أن يصير له أجر من أعتق أربعة أنفس، وقوله (من ولد إسماعيل) إيغال بلاغي يضيف صفة تقرر أفضلية النوعية المعتقة التي ارتفعت قيمتها مبالغة في رفع أجره بالمقابل ثم إن التعبير بالعتق يشير بأصل المادة، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة، وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد،

---

(١) لفظ مسلم: (مرار)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣/٣٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧١).

(٣) النهاية والوسيط في (ع ت ق).

ولا تتحقق هذه المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها، والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم، وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر اختيار التعبير بالعتق عن تحرير الرقاب الذي يشير إلى خيار الأعمال التي تساوى بها أجر من قال هذه العبارة عشر مرات، فالغافل الكسول من قرأ، أو سمع الحديث ثم لم يقلها عشر مرات بل، ويجعلها من أذكار يومه التي تثقل ميزان يومه في الحساب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٤)

١٤١٤- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ[1]؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعتمد الترغيب في ذكر الله - تعالى- عن طريق أسلوب التشويق بالاستفهام في قوله (ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق صعَّده بالفعل أخبر المضاف لكاف الخطاب التي تستولي على سمع المخاطب، وقلبه، ثم زاده تشويقا بأفعل التفضيل أحب، ودلالة الكلمة توحي بالقبول، والتفضيل، والرضا، وإضافتها للكلام تشير إلى عدم الكلفة، وقلة الجهد في العمل الذي يبشر بيسره، وتمكن المخاطب من إتيانه دون مشقة، ثم إن تعلق الجار، والمجرور في قوله (إلى الله) بأفعل التفضيل يعطيه بُعدا إيحائيا في خصوصية التفضيل؛ لأن رضا الله، وما يحبه هو غاية المؤمنين، وإعادة الجملة بلفظها في الجواب مؤكدة (إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إلَى اللهِ) تقريرا لها وتثبيتا لمعناها في الأذهان لأهميته، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزهه عن كل عيب، ونقص، وعن مماثلة المخلوقين بأنه كامل الصفات واسع الهبات عظيم السلطان له المجد كله والحمد كله، ولهذا قرنه بقوله، وبحمده أي : ، وأحمدك فالباء هنا للمصاحبة أي أنك تجمع بين تنزيه الله عز وجل عن النقائص، والعيوب، وبين الثناء عليه بحمده سبحانه ، وفيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه لأن التنزيه عن النقص يناسبه الثناء بالخير.

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: يا رسول الله، اخبرني بأحب الكلام إلى الله).

(٢) برقم (٢٧٣١/٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٠) مع الزيادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر ﷺ عند رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده.

أولاً- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر ﷺ عند رسول الله ﷺ:

حيث جاء في الحديث: "قال لي رسول الله ﷺ: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ فاختصاص النبي ﷺ أبا ذر ﷺ بإخباره عن أحب الكلام إلى الله دليل على منزلته وعظيم فضله ﷺ، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري اختلف في اسمه والأكثر الأصح أنه جندب بن جنادة وهو من كبار الصحابة قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا، قال علي ﷺ: "وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئًا"[1]. وقال ابن الجوزي: "كان أبو ذر طوالاً آدم، وقال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعًا ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصِّرْم[2] كأنه السبع ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي ﷺ بمكة فأتاه وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب: إلى أم ذر بلد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر، وعن بكر بن عبدالله عن أبي ذر أنه قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح"[3].

ومما يدل على فضله ومنزلته عند رسول الله ﷺ ما جاء عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، : «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ ولاَ أَقَلَّت الغَبْرَاء أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[4].

وفي حديث: إسلامه الطويل جاء فيه: ((وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ. وَطَافَ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٠٠.

(٢) الصِّرْم: الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء، النهاية في (ص ر م).

(٣) صفة الصفوة ١/٢٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ. ثُمَّ صَلَّى. فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍ فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ. قَالَ: فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ. فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ. فَدَفَعَنِي[1] صَاحِبُهُ. وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: مَتَى كُنْتَ ههُنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ ههُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمٍ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي. وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ. إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ[2].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا. فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا. فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا. ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ. ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِيَ أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ. لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ. فَأَتَيْتُ أُنَيْسا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ. وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي. وَجَاءَتْ أَسْلَمُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخْوَتُنَا. نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا: وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ))[3].

وقال ابن حجر: "كان أبو ذر من السابقين إلى الإسلام وكان طويلاً أسمر اللون نحيفاً، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم

---

(١) في الطبقات وصحيح مسلم: فقدعني، أي منعني وكفني.

(٢) أي: يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

عليه حلة قطرى فعرفت أنه أبو ذر بالنعت، وكانت وفاته رضي الله عنه بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلّى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"(١).

ثانيًا – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة، "إن حاضري مجالس السؤال والجواب لابد أن تثير فيهم الأسئلة المطروحة انتباههم، إذ يشعرون أن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وأن تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة العالم بأجوبة المسائل المطروحة"(٢). ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٣).

ثالثًا– من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده" قال الإمام النووي: في هذا الحديث: "أحب" وفي رواية "أفضل" وهذا محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل"(٤)، وقال الطيبي: "وقوله: "سبحان الله، تنزيه لذاته عما لا يليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائض فيندرج فيه معنى قول: "لا إله إلا الله" وقوله "وبحمده" صريح في معنى "والحمد لله، لأن الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ومستلزم لمعنى "والله أكبر" لأنه إذا كان كل الفضل والإفضال لله ومن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٦٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٠٢.

الله، وليس من غيره، فلا يكون أحد أكبر منه"[١].

ولأهمية التسبيح وفضله جاء في رواية أخرى للحديث الذي معنا أن رسول الله ﷺ سئل: «أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو عباده: سبحان الله وبحمده»[٢].

قال الإمام القرطبي: (قلت: هذا الحديث يعارضه قوله في حديث أبي هريرة المتقدم في فضل التهليل. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك[٣]. وقوله: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[٤]. وقد تقدم في حديث سمرة ابن جندب قوله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[٥].

فقد مضى هذا الحديث بأن الأربعة متساوية في الأفضلية والأحبية من غير مراعاة تقديم بعضها على بعض، ولا تأخيره، وأن التسبيح وحده لا ينفرد بالأفضلية، ولا التهليل وحده أيضًا ينفرد بها. وإذا ثبت ذلك فحيث أطلق أن أحد هذه الأذكار الأربعة أفضل الكلام أو أحبه، إنما يراد إذا انضمت إلى أخواتها الثلاث المذكورة في هذا الحديث. إما مجموعة في اللفظ، أو في القلب بالذكر؛ لأن اللفظ إذا دلَّ على واحد منهما بالمطابقة دلَّ على سائرها باللزوم. وبيان ذلك: أن معنى سبحان الله: البراءة له من كل النقائص، والتنزيه عما لا يليق بجلاله، ومن جملتها تنزيهه عن الشركاء، والأنداد وهذا معنى لا إله إلا الله. هذا مدلول اللفظ من جهة مطابقته، ولما وجب تنزيهه عن صفات النقص لزم اتصافه بصفاته الكمال، إذ لا واسطة بينهما، وهي المعبر عنها

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٤/٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٥٩.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢١٥/١، رقم ٩٠٨، وأخرجه الترمذي ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، ٢١٣٧.

بالحمد لله. ثم لما تنزه عن صفات النقص، واتصف بصفات الكمال وجبت له العظمة والجلال.

وهو معنى: الله أكبر. فقد ظهر لك أن هذه الأربعة الأذكار متلازمة في المعنى، وأنها قد شملها لفظ الأحبية، كما جاء في الحديث. فمن نطق بجميعها فقد ذكر الله تعالى بأحب الكلام إلى الله، لفظًا ومعنى، ومن نطق بأحدها فقد ذكر الله ببعض أحب الكلام نطقًا، وبجميعها معنى من جهة اللزوم الذي ذكرناه. فتدبر هذه الطريقة، فإنها حسنة، وبها يرتفع التعارض المتوهم بين تلك الأحاديث -والله تعالى أعلم-. ولم أجد في كلام المشايخ ما يقنع، وقد استخرت الله فيما ذكرته[1].

وبالجملة فذكر الله على كل حال من أحب الأمور إلى الله، ولقد أخبر جل وعلا أن الذكر أكبر من كل شيء فقال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

قال ابن القيم: (وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له فعلى هذا: المصدر مضاف إلى فاعل، وعلى الأول: مضاف إلى مذكور.

الثالث: أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تمَّ الذكر محق كل خطيئة ومعصية. هذا ما ذكره المفسرون والرابع ما سمعته من شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: معنى الآية أن في الصلاة فائدتين عظيمتين: إحداهما: نهيًا عن الفحشاء والمنكر، والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٥٩، ٦٠.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) مدارج السالكين ٣/٢٦٢، ٢٦٣.

ومن عظم فضل ذكر الله نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة فقد ختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبه أمّه، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[2].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصل)[3].

وختم سبحانه وتعالى به الصلاة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]، وختم سبحانه وتعالى به صلاة الجمعة فقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٦١/٢.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ٢٨٩/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٤٤/٢٢.

الحديث رقم (١٤١٥)

١٤١٥- عن أَبي مالك الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن يتكون من ثلاث جل لو أردنا أن نستخرج ما فيها من المعاني لسودنا الصحف الطوال ولما أتينا على معناها، فقوله الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالإيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإيمَان، وقوله (وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ) كناية عن عظمة الثواب ومن المعلوم أن الكناية تحتمل الحقيقة بمعنى أن تتحول الأعمال إلى أجسام توضع في ميزان العبد حقيقة، وتملؤه وتثقل به، ويحتمل أن تكون معنوية مجازا عن عظمة الثواب، وبين هذا العبارة

---

(١) برقم (١/٢٢٣)، وتقدم برقم (٢٥)، أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١) بتمامه.

وسابقتها سجع بديع يحقق قبولا في النفس، وراحة في السمع، وتيسيرا في الحفظ، وفيها ترصيع يعمل في نفس اتجاه السجع، ويضبط توازن الإيقاع بين العبارتين وكأن الرسول ﷺ يريد منها أن تكون نشيد الصالحين تقربا لله بما يحقق رضاه، ويحقق الأجر العظيم للعبد، وقوله (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الطباق بين السماء، والأرض يؤكد استغراق المكان بالملأ دليلا على عظمة الأجر وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: الْحَمْد رَاجِع إِلَى الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى بِأَوْصَاف كَمَالِهِ فَإِذَا حَمِدَ اللَّه تَعَالَى حَامِد مُسْتَحْضِر مَعْنَى الْحَمْد فِي قَلْبه امْتَلأ مِيزَانه مِنْ الْحَسَنَات فَإِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُبْحَان اللَّه الَّذِي مَعْنَاهُ تَبْرِئَة اللَّه وَتَنْزِيهه عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِهِ مِنْ النَّقَائِص مَلأَتْ حَسَنَاته وَثَوَابهَا زِيَادَة عَلَى ذَلِكَ مَا بَيْن السماوات وَالأَرْض إِذْ الْمِيزَان مَمْلُوء بِثَوَابِ التَّحْمِيد وَذِكْر السماوات عَلَى جِهَة الاعْتِنَاء عَلَى الْعَادَة الْعَرَبِيَّة. وَالْمُرَاد أَنَّ الثَّوَاب عَلَى ذَلِكَ كَثِير جِدًّا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَجْسَامًا لَمَلا مَا بَيْنهمَا[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر حاشية السندي على سنن النسائي الحديث (٢٣٦٤).

(٢) ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥).

الحديث رقم (١٤١٦)

١٤١٦- وعن سعد بن أبي وقاص ﵁ قَالَ: جَاءَ أعْرَابيٌّ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أكْبَرُ كَبيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وَ[1] سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ)) قَالَ: فهؤلاء لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

يقوم المعنى في الحديث على الأسلوب الحواري الذي ربى الرسول ﷺ عليه المسلمين في الاستفسار عن أمور دينهم وقوله (جاء أعرابي إلى رسول ﷺ) التعبير بالمجيء يفيد القصد إلى الرسول ﷺ لغرض السؤال، وكون السائل الأعرابي يشير إلى بعد المسافة التي قطعها ليأتي للنبي ﷺ مما يشير إلى حرصه على العلم والعمل الذي يقربه من الله تعالى، ويدل على ذلك قوله (علمني كلاما. .) وتخصيصه السؤال بالكلام يشير إلى أنه يريد أن يتعلم ذكرا لله يتقرب به إليه يناسب طبيعة عمل أهل البادية في الرعي الذي يستغرق معظم اليوم، والذكر لا يعطله عنه، وقد أجابه الرسول ﷺ بما يريد (قُلْ...) الأمر بالقول توجيه لما يحقق الغاية والصيغة التي علمه إياها اشتملت على جملة من الفضائل تجعلها من أعظم الأذكار ثوابا منها: أنها اشتملت على كلمة التوحيد (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) وأكدها بنفي ضدها لأن القوم كانوا حديثي عهد بتعدد الآلهة (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) كما اشتملت على تكبير الله، وتوكيده بقوله كبيرا

(١) عند مسلم بدون الواو، والزيادة من المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٣٣/٢٦٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٠٦).

يستغرق أركان النفس حتى لا يرى في الكون شاغلا عنه يشغله عن هذا الكبير كما تضمنت الثناء على الله على ما بين يديه من نعمه، وتنزيهه عن كل نقص، مع الإقرار بأنه صاحب القدرة، والتصرف في الكون فينطلق هذا الأعرابي ما ينطلق في صحرائه يرى الجبل فيرى قدرة الله فيه، ويرى سعة الصحراء فيرى فيها بسط سلطانه، ويرى في ارتفاع سمائه علوه وقهره، وهذا الدعاء من أكثر الأدعية التي احتوت على الأجر العظيم الذي أخبر عنه في أحاديث أخرى.

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه.

أولاً - من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم:

حيث جاء في الحديث: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ.."، ولاشك أن من أهم حقوق المدعو تعلم الأدعية المشروعة فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[1]"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ومعلم أو متعلم"[2]. وهذا يدل على فضل التعلم أي سؤال أهل العلم فهذا ما أرشدت إليه نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، قال السعدي: "وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم

---

(١) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩١).

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك[1].

ثانيًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه:

حيث جاء في الحديث: "قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له..." وقوله: قل اللهم اغفر لي وارحمني..."، والداعية الناجح من أهم واجباته أن يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم ويدلهم عليه لأنه بهذا يتضح حرصه على المدعوين وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقال الرسول الكريم في فضل الإرشاد إلى الخير: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، أو قال عامله"[3].

فعلى الداعي أن لا يبخل بتعليم ما يحسن، ولا يمتنع من إفادة ما يعلم، فإن البخل به ظلم ولؤم والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ للمرشدين البخل بما منحوه جودًا من غير بخل وأوتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما لو بذلوه لزاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى؟ ولو استن بذلك من تقدمهم ما وصل العلم إليهم وانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

نزلت في أحبار اليهود، والحكم عام كما تدل عليه الأخبار، والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصدًا مع مساس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره. والبينات الواضحة الآيات الدالة على الحق، ومن ذلك ما أنزلناه على موسى وعيسى في أمر محمد صلوات الله عليهم أجمعين، والهدى كل ما يهدى إلى وجوب اتباعه ﷺ والإيمان به، وهى الآيات الشاهدة على صدقه عليه الصلاة والسلام، والعطف باعتبار التغاير في المفهوم، ويلعنهم الله يبعدهم عن رحمته، ويذيقهم أليهم نقمته، ويلعنهم اللاعنون يدعو عليه بالإبعاد عن رحمة الله كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والثقلين، والآية كما ترى تدل على وجوب إظهار علم الشريعة وحرمة كتمانه.

وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال بعض الحكماء: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وفي منثور الحكم: من كتم علمًا فكأنه جاهله.

ثم له بالتعليم نفعان: أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله تعالى، والنفع الثاني: زيادة العلم وإتقان الحفظ فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا لما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يُخمدها أن لا تجد حطبًا. كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه فإياك والبخل بما تعلم. وقال بعض العلماء: علِّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذن أنت قد علمت ما جهلت. وحفظت ما علمت. وبالجملة فنشر العلم أعظم للأجر وأرفع للذكر وأرسخ للمعلوم[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء:

حيث جاء في الحديث: "علمني كلامًا أقوله.." وقوله: "فهؤلاء لربي فما لي؟"، وهذا يبين أن من آداب المدعو أن يحرص على ما ينفعه ويتحراه ويتبعه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ١٠٦، ١٠٧.

أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١]، قال الإمام القرطبي: قال علماؤنا: "أعلم ﷺ، أن من اتبع القرآن ومواعظه حالة الفترة، واقتضى العلم والسنن عند ظهور البدع لا يقصر حاله عن حال الصديقين، ولا تنزل درجته عن درجات الصحابة والتابعين"[٢].

ولقد كان من هدى الصحابة رضي الله عنهم الحرص على ما ينفعهم من عمل الخير، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «سألتُ النَّبيَّ ﷺ أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيلِهِ. قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: أغلاها ثمنًا، وأنفَسُها عندَ أهلِها. قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ؟ قال: تُعِينُ ضائعًا، أو تَصنَعُ لأخْرَقَ. قال: فإن لم أفعلْ؟ قال: تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنَّها صدَقَةٌ تَصَدَّقُ بها على نفسِك»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ »[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه:

حيث جاء في الحديث: «قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا...». وذكر الله تعالى من أفضل الأمور والأحوال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٦]، والواجب على المسلم ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهارًا وفي كل الأوقات إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة، والذين يفعلون هذا هم المؤمنون المتقون إذ الرحمن

---

(١) سورة الأعراف، آية : ٣.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار، الإمام القرطبي، ص٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٥٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

يصلي عليهم وملائكته كذلك[١].

ولقد حذر الله تعالى من نسيان ذكره، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢]. وبين الله تعالى أن ذكره أكبر من كل شيء قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[٣]. قال الإمام ابن القيم: (والذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بينهم وبين علام الغيوب به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصائب إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون. قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وفي قراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، وقال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان. والذكر هو روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه)[٤].

قال القاضي عياض: (والذكر ذكران: ذكر الله بالقلب: وهو الذكر الخفي، وذكر القلب - أيضًا- عند أوامره ونواهيه. وذكر باللسان: كما جاء عن عمر بن الخطاب، فذكره بالقلب، وهو الذكر الخفي وهو أرفع الأذكار، الفكرة في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في أرضه وسماواته، وبعده ذكره بالقلب عند أوامره ونواهيه، فينتهي عما نهى عنه، ويمتثل ما أمر به، ويتوقف عما أشكل عليه. وذكره باللسان مجردًا هو أضعف هذه الأذكار الثلاث، لكن له فضل عظيم، كما جاء في الآثار: لكل فضل بقدر مرتبته.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري، ١٧١.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) مدارج السالكين ٢٥٩/٣، ٢٦٠.

وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره اختلاف السلف: أيهما أفضل الذكر باللسان أو بالقلب؟ والخلاف عندنا إنما يتصور في تحديد الذكر بالقلب من التسبيح والتهليل وشبهه من أذكار اللسان إذا لم ينطق بها اللسان وعليه يدل كلامهم، لأنهم مختلفون في الذكر الخفي للذي ذكرناه أولاً من الفكر وإحضار دلائل المعارف والعظمة، فتلك لا يتلونها ذكر اللسان، فكيف يتفاضل معها، وإنما الخلاف فيما ذكرناه، وكل ذلك مع حضور الثلاث بذكر اللسان، فأما والقلب لاهٍ فلا.

فمن رأى ذكر القلب أفضل قال: لأن عمل السر أفضل. ومن قال: ذكر اللسان أفضل قال: لأن فيه زيادة أعمال الجوارح على عمل ذلك بالقلب، ففيه زيادة عمل منه تقتضي زيادة أجر، ولذلك اختلفت في ذكر القلب، هل تكتبه الملائكة ويعمل؟ فقيل ذلك وأن الله يجعل لها على ذلك علامة، وقيل: إنه لا يكتب لأنهم لا يطلعون عليه)[1].

وما من شك في أن ذكر الله من أجَلِّ الأمور في حياة المسلم وأنفعها له، إذ إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

بالذكر تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجئ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حد لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته، قال ذو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٩/٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته. قال ابن عمر: أخبرن أهل الكتاب أن هذه الأمة تُحبُّ الذكر كما تُحبُّ الحمامةُ وكرها، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها.

الذكر دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، والصلاة ذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2]، والحج شرع للذكر: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[3].

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين كلّموا الله كثيرًا، وكلموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلم الله كثيرًا؟ قال: اختلوا بمناجاته، اخلوا بدُعائه.

قيل لمحمد بن النضر: أما تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحشُ وهو يقول: أنا جليسُ من ذكرني؟

كتمت اسم الحبيب من العباد وردّدت الصبابة في فؤادي

فواشوقًا إلى بلد خليٍّ لعلي باسم من أهوى أنادي

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء، ولا يوازيه شيء[4].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة طه، آية: ١٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣٣٢، ٣٣٣.

الحديث رقم (١٤١٧)

١٤١٧- وعن ثوبانَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا انصرَفَ مِنْ صَلاتِهِ استغفَرَ ثلاثاً، وَقالَ: ((اللَّهُمَّ أنتَ السَّلامُ، وَمِنكَ السَّلامُ، تَبارَكتَ يا ذا الجَلالِ وَالإكْرامِ)) قِيلَ لِلأوْزاعِيِّ -(وَهُوَ أحَدُ رواة الحديث)[1]-: كَيْفَ الاسْتِغْفارُ؟ قالَ: تقول: أسْتَغْفِرُ الله، أسْتَغْفِرُ الله. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٩).

غريب الألفاظ:

إذا انصرف من صلاته: المراد بالانصراف السلام[3].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق قررت عن طريق التوجيه المباشر، والحوار الهادف، والتقرير النبوي بعض أذكار الرسول ﷺ التي رغب في أن يجعلها المؤمن في ورده قربة دون كلفة من ربه، وفي هذا الحديث يقرر بعض الأذكار عن طريق فعل الرسول ﷺ حيث تتلقاها وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان، ولذلك أشار الراوي ثوبان رضي الله عنه إلى أنها عادته بعد كل صلاة وقد دل على ذلك بالتعبير بفعل الكينونة الماضي، وأكدها بأسلوب الشرط الذي يربط الانصراف من الصلاة بالاستغفار، وقول هذا الدعاء في قوله: (كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا انصرَفَ مِنْ صَلاتِهِ استغفَرَ ثلاثاً) والاستغفار دبر الأعمال الصالحة بمثابة اعتذار عما وقع فيها من التقصير، حتى، وإن اجتهد العبد في تمامها، وأتمها، فإنها أقل من أن تصلح لتقدم لملك الملوك، وقوله (اللَّهُمَّ

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٥٩١/١٣٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٨٨٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) العبارة تفيض بالخضوع، والإجلال، والتعظيم، كما أنها تفيض بمعاني الأمن، والسلامة والرحمة المنبعثة من اسم الله السلام الذي هو منبع كل سلام، وفي العبارة سجع بديع متناسق مع المعنى مع انسجام في العبارات يجعل العبارة سهلة الحفظ، عذبة النطق مقبولة في النفس مهما تكررت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته..."، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة حيث يخبر المدعو بالأمور والأحكام الشرعية وقد أمر الله بالإخبار والبلاغ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]. "فهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلَّغ ﷺ، أكمل تبليغ ودعا، وأنذر وبشر ويسر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ. إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ. تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» وهذا

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٢٠١.

بيان لهدى النبي ﷺ. وما كان عليه. ولقد كان من هدى النبي ﷺ ذكر الله تعالى بعد الصلاة.

قال النووي: (وأما الذكر بعد الصلاة ففيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير. وفي رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وأنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته»[1].

هذا دليل لما قاله بعض السلف أنه يستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب المكتوبة وممن استحبه من المتأخرين ابن حزم الظاهري، ونقل ابن بطال وآخرون أن أصحاب المذاهب المتبوعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالذكر والتكبير، وحمل الشافعي هذا الحديث على أنه جهر وقتًا يسيرًا حتى يعلمهم صفة الذكر لا أنهم جهروا دائمًا قال: فاختار للإمام والمأموم أن يذكر الله تعالى بعد الفراغ من الصلاة ويخفيان ذلك إلا أن يكون إمامًا يريد أن يتعلم منه فيجهر حتى يعلم أنه قد تعلم منه ثم يسر وحمل الحديث على هذا)[2].

ثم قال النووي في موطن آخر:

(وقوله: "إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا"، المراد بالانصراف السلام)[3].

ولقد كان من هدى النبي ﷺ بعد الصلاة ألا يطيل الجلوس في مكانه الذي صلى فيه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لَمْ يَقْعُدْ. إِلاَّ مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[4].

قال الإمام القرطبي: (قول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا

---

(١) أخرجه مسلم ٥٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٣٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ٤٣٧.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٢.

بمقدار ما يقول: اللهم أنت السلام" الحديث) دليل لمالك: على كراهيته للإمام المقام في موضعه الذي صلى فيه بعد سلامه خلافًا لمن أجاز ذلك، والصحيح: الكراهة لهذا الحديث، ولما رواه البخاري من حديث أم سلمة: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سلَّمَ يَمكُثُ في مكانِهِ يَسيرًا. قال ابنُ شِهابٍ: فنرى. واللهُ أعلمُ. لكي يَنفُذَ مَن يَنصرِفُ مِنَ النِّساءِ» ووجه التمسك بذلك أنهم اعتذروا عن المقام اليسير الذي صدر عنه عليه الصلاة والسلام. وبينوا وجهه، فدل ذلك: على أن الإسراع بالقيام هو الأصل والمشروع، وأما القعود فإنما كان منه ليستوفى من الذكر ما يليق بالسلام الذي انفصل به من الصلاة، ولينصرف النساء. وقد روى البخاري أيضًا عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: ((أنه ﷺ كان إذا صلى أقبل بوجهه))[1]. وهذا يدل على أن إقباله على الناس كان متصلاً بفراغه، ولم يكن يقعد. وقد روى أبو أحمد بن عدي ما هو أنص من هذا كله عن أنس قال: صليت مع رسول الله ﷺ فكان ساعة يسلم يقوم، ثم صليت مع أبي بكر فكان إذا سلم وثب كأنه يقوم عن رضفه[2]. وهذا الحديث وإن لم يكن في الصحة مثل ما تقدم، فهو عاضد للصحيح، ومبين لمضمونه. وإذا كره له القعود في موضع صلاته، فأحرى وأولى أن تكره له الصلاة فيه. وقد روى أبو داود عن المغيرة بن شعبة، قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُصَلِّي الإِمَامُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ حَتَّى يَتَحَوَّلَ»[3]. ويعتضد هذا من جهة المعنى، بأن ذلك الموضع إنما استحقه الإمام للصلاة التي يقتدى به فيها، فإذا فرغت ساوى الناس، وزال حكم الاختصاص. والله أعلم.

و(قوله: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"، السلام الأول: اسم من أسماء الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾[4]، والسلام الثاني: السلامة، كما قال

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨٦.

(٢) أخرجه بن عدي في الكامل ١٥١٦/٤، والرضفة: الحجر المحمي على النار، انظر: النهاية لابن الأثير، ٣٦١.

(٣) أخرجه أبو داود، ٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٥٧٦).

(٤) سورة الحشر، آية: ٢٣.

تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾[١]. ومعنى ذلك: أن السلامة من المعاطب والمهالك إنما تحصل لمن سلمه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[٢].

(وقوله: "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" تباركت: تفاعلت، من البركة، وهي: الكثرة والنماء، ومعناه: تعاظمت:؛ إذ كثرت صفات جلالك وكمالك. و"ذا الجلال" ذا العظمة والسلطان. وهو على حذف حرف النداء. تقديره: يا ذا الجلال. و "الإكرام": الإحسان وإفاضة النعم)[٣].

وهذا واجب الدعاة إلى الله تعريف الناس بهدى النبي ﷺ. لأنه الأسوة والقدوة قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٤]، قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ. في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ. يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، فكأنه قال: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٥])[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه:

حيث جاء في الحديث: ((كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا))، ومما لا شك فيه أن الاستغفار مما أمر الله به في كتابه، فقال الله على لسان

---

(١) سورة الواقعة، آية: ٩١.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢١١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١

(٦) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٩١.

نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [(١)]. قال ابن علان: (وفي قوله استغفر الله ثلاثًا " إيماء إلى أنه ينبغي عدم النظر لما يأتي به العبد من الطاعة، فذلك أقرب للقبول، والتكرار للمبالغة في رؤية النقص فيما جاء به وأنه لشدته محتاج لتتابع الاستغفار عليه ليذهب بعضه ومعنى الاستغفار أى أسأله المغفرة، وحذف المتعلق ليعم كل ذنب وتكراره مرتين للتأكيد وإيماء إلى طلب الإكثار منه ولا يقتصر فيه على مسماه)[(٢)].

ولقد علم النبي ﷺ أمته سيد الاستغفار فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلا أنت، خلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ مااستطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغفِرْ لي، فإنه لايَغفرُ الذنوبَ إلا أنت. قال: ومن قالها من النهارِ مُوقِنًا بها فماتَ من يومِهِ قبل أن يمسي فهو من أهلِ الجنَة، ومن قالها من الليلِ وهو موقِنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبحَ فهو من أهل الجنة»[(٣)]. وفي فضل الاستغفار قال ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِن كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[(٤)]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على الله مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه)[(٥)].

وقال الفيروز آبادي: (والغفر: الستر. اللهم غفرًا. والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. وقد يقال: غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر وإن لم

---

(١) سورة نوح، آية: ١٠.

(٢) دليل الفالحين ١٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١٥١٧ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٣).

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٣٠٢/٢.

يتجاوز في الباطن، نحو: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[1]. والاستغفار: طلب المغفرة قولاً وفعلاً. وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[2]، لم يؤمروا أن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل به وبالفعل، فبدونه قول الكاذبين. وقوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[4]، وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[5]، فيه من تأميل الراجين، وتأنيس المذنبين ما لا يخفى.

كُلُّ الذُّنوبِ فإنَّ الله يغفِرها ... إن شَيَّعَ[6] المَرءَ إخلاصٌ وإيمانُ
وكُلُّ كَسْرٍ فإنَّ الله يَجبُرُهُ ... وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

واعلم أن كل أحد - من عهد آدم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة - من نبي ووليٍّ، ومؤمن موقن وصادق، وفاسق، وكافر ونافر، ومخلص، إلا وهو ينتظر بحفه المغفرة.

ثم إن الله تعالى نبه على أن المشرك غير أهل للمغفرة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[7]، ثم أمر الله نبيه ﷺ بالعفو والاستغفار، للأخيار والأبرار، فقال جل شأنه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[8]. وحملة العرش يتوسلون إلى الله بطلب المغفرة للمؤمنين من عباده، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة الجاثية، آية: ١٤.
(٢) سورة نوح، آية: ١٠.
(٣) سورة طه، آية: ٨٢.
(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٥) سورة غافر، آية: ٣.
(٦) شَيَّع: قوى وشجع.
(٧) سورة النساء، آية: ٤٨.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]. وتضرع أهل الإيمان وانتهاؤهم إلى الرحمان في طلب الغفران، قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]. وبشر عباده بأعظم البشرى بأنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4][5].

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة المدثر، آية: ٥٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤/١٣٦-١٣٩.

الحديث رقم (١٤١٨)

١٤١٨- عن المغيرة بن شعبة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

ولا ينفع ذا الجدِّ: الجد بمعنى الحظ والسعادة والغنى[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسوق ذكرا ينضم إلى سابقيه في كونه واقعا بعد الفراغ من الصلاة، ومتكررا منه، وقد دل على ذلك بالفعل الماضي (كان) مع أسلوب الشرط الذي يربط فراغه من الصلاة بقول هذا الدعاء (إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ) والدعاء الذي تضمنه الحديث يحتوي على توحيد لله تعالى، ونفي الشرك عنه، وهو أهم الأسس التي قررها الإسلام، وأكثر الرسول ﷺ من ترديدها في كثير من الأذكار حتى تختلط بلحم المؤمن، وعظمه، وتخامر نفسه مع الاعتراف بملكه، وقدرته، والثناء عليه، ثم تقرير قدرته على المنع، والعطاء عن طريق أسلوب المقابلة بين الصفات المتضادة (لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ) حيث قابل بين المنع، والعطاء، وبين العطاء، والمنع، وكل منهما يؤكد معنى الآخر كما أكد عن طريق الجناس أنه لا يغني عن غني غناه من الله شيئا في قوله: (ولا ينفع ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٠)، ومسلم (٥٩٣/١٣٧) ولفظهما سواء

(٢) النهاية في (ج د د).

والجد هُوَ بِمَعْنَى الْحَظّ وَالْبَخْت، وَمَعْنَاهُ لا يَنْفَع مَنْ رُزِقَ مَالاً وَوَلَدًا وَجَاهًا دُنْيَوِيًا شَيْء مِنْ ذَلِكَ عِنْدك، وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى (يَوْم لا يَنْفَع مَال وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّه بِقَلْبٍ سَلِيم) (الشعراء ٨٨ : ٨٩)

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ في الأذكار بعد الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد..." وهذه من أولى مهام الداعية أن يبين هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلوات حتى يلتزم بها المدعو، ويرددها ويقولها كما كان النبي ﷺ، يفعل ذلك، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في هذه الأحاديث الحض على الذكر في أدبار الصلوات وأن ذلك يوازي إنفاق المال في طاعة الله. سئل الأوزاعي هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال: ليس شيء يعدل القرآن، ولكن كان هدى السلف الذكر وفيها أن الذكر المذكور يلي الصلاة المكتوبة ولا يؤخر إلى أن يصلي الراتبة"[2].

وفي هذين الحديثين هدى النبي ﷺ في الحرص على الذكر والدعاء بعد الصلاة، قال الإمام القرطبي: (وقد اتفق سياق هذه الأحاديث والتي قبلها: على أن أدبار الصلوات أوقات فاضلة للدعاء والأذكار، فيرتجى فيها القبول، ويبلغ ببركة التفرغ لذلك إلى كل مأمول. وتسمى هذه الأذكار: معقبات؛ لأنها تقال عقيب الصلوات، كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "دبر كل صلاة"، أي: آخرها. ويقال: دبر بضم الدال.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٩).

(٢) فتح الباري ١١/١٣٩.

وحكى أبو عمر المطرز في "اليواقيت" دبر كل شيء بفتح الدال: آخر أوقات الشيء، الصلاة وغيرها. قال: وهذا هو المعروف في اللغة، قال: وأما الجارحة: فبالضم. وقال الداودي عن ابن الأعرابي: دبر الشيء، ودبره، بالوجهين: آخر أوقات الشيء، والديار جمعه، ودابر كل شيء: آخره أيضًا. وأما اجتهاد النبي ﷺ في الاستعاذة مما استعاذ في الدعاء بما دعا - وإن كان قد أمن قبل الاستعاذة، وأعطي قبل السؤال- فوفاء بحق العبودية، وقيام بوظيفة الشكر وبحق العبادة، كما قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»[1][2].

هذا وقد قال ابن القيم: (وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه ﷺ أصلاً، ولا روى عنه بإسناد صحيح، ولا حسن. وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر، فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه، ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضًا من السنة بعدهما، والله أعلم. وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها، وأمر بها فيها، وهذا هو اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه، يناجيه ما دام في الصلاة، فإذا سلم منها، انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه، والإقبال عليه، ثم يسأله إذا انصرف عنه؟! ولا ريب أن عكس هذا الحال هو الأولى بالمصلي، إلا أن ها هنا نكتة لطيفة، وهو أن المصلي إذا فرغ من صلاته، وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة، استحب له أن يصلي على النبي ﷺ بعد ذلك، ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية، لا لكونه دبر الصلاة، فإن كل من ذكر الله، وحمده وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ استحب له الدعاء عقيب ذلك، كما في حديث فضالة بن عبيد: «إذا صلى أحدكم، فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء» قال الترمذي: حديث صحيح[3]، [4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٤٧، ومسلم ٢/٢١٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٧).

(٤) زاد المعاد ١/٢٥٧، ٢٥٨.

ويرى ابن حجر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع حيث قال: (وقوله "باب الدعاء بعد الصلاة" أي المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكًا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لا يثبت إِلاَّ قَدْرَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفى استمراره جالسًا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه "كان إذا صلى أقبل على أصحابه" فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، وما ادعاه ابن القيم من النفي مطلقًا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: ((يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[2]، وحديث أبي بكرة في قول: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ وعَذابِ القَبْرِ، كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة»[3]. وغير ذلك، فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعًا، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة، قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات[4]، وقال حسن، وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة"، وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد بن القيم نفى الدعاء بعد الصلاة مطلقًا، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه يفيد استمرار استقبال المصلى القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) أخرجه النسائي ١٣٤٧، وقال الألباني: صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائي ١٢٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ"[١].

وقال ابن القيم في فضل اتباع هديه ﷺ: "وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما:

حيث جاء في الحديث: "أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم قال ابن الزبير: "وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة" وهذا يدل على فضل عبدالله بن الزبير ومدى اتباعه لهدى النبي ﷺ، قال ابن عبدالبر: "هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وكان أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة وفرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم: أن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم، قال علي بن زيد الجدعاني: كان عبدالله بن الزبير كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات، وكان رضي الله عنه شهمًا شرسًا ذا أنفة وكانت له لسانة وفصاحة وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه"[٣].

وقال ابن حجر: (ولد عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عام الهجرة وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدّث عنه بجملة من الأحاديث وهو أحد العبادلة، وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من ولى الخلافة منهم. وروى أن الزبير قال لابنه عبدالله أنت أشبه الناس بأبي بكر وجاء عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام قارئ القرآن أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه بنت الصديق وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ"[٤].

---

(١) فتح الباري ١/١٣٧-١٣٨.

(٢) زاد المعاد ١/٦٩-٧٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٩٩.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٧٧٢.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على التأسي بالنبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث قال ابن الزبير: "وكان رسول الله ﷺ يهلل بهم دبر كل صلاة مكتوبة"، وهذا يبين مدى حرص الصحابة على التأسي برسول الله ﷺ. لأنه الدعوة والقدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾[1]، قال السعدي: "فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ. فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن ما معه من الإيمان والخوف من الله يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[2].

ومن صور حرص الصحابة ﷺ على التأسي بالنبي ﷺ ما جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ: «أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[3]. وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب لسعد ﷺ: «قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلاَةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ»[4].

قال ابن حجر: (كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ)[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٠٩.

(٣) أخرجه البخاري، ١٥٩٧.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٧٠.

(٥) فتح الباري، ٢٥١/١٣.

الحديث رقم (١٤١٩)

١٤١٩- وعن عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ، حِينَ يُسَلِّمُ: ((لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)) قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الزبير بن العوام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: دبر الصلاة: ما بعد انتهائها[٢].

يهلل بهن: يرفع صوته بهن[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقيه في بيان أذكار رسول الله دبر الصلوات ومقدمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما تشير إلى أنه كان يواظب عليه دبر الصلوات اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الاقتداء يشير إلى انتقال النور من جيل إلى جيل في متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فعله، وقوله، والدعاء متضمن لكلمة التوحيد في أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) ومؤكد بنفي الشرك عنه (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) فلفظ وحده توكيد لمعنى الألوهية السابق مؤكد بقوله لا شريك له وكثافة هذه المؤكدات، والإلحاح على تقرير المعنى يخلع من النفوس ما علق بها من التعلق بغير الله كما أن جريان هذه

---

(١) برقم (٥٩٤/١٣٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٢.

(٣) النهاية في (هـ ل ل).

الصيغة على قلوب الناس في زماننا يلح على تصفية الإيمان من شوائب الشرك، والمعتقدات الخاطئة، والتعلق بغير الله من المخلوقين من الصالحين أو الطالحين، وتتذكر، وأنت تقرأ هذا الحديث حال جهلاء الأمة الذين يلتفون حول أضرحة الصالحين يتخذونهم أولياء من دون الله يدعونهم، ويذبحون لهم، وكأن هذا التأكيد على معنى الإخلاص ينادي بهؤلاء أن تنبهوا، وينادي علماء الأمة أن اتقوا الله فيهم وأيقظوهم من جهلهم، وأنقذوهم من شقائهم، وتلك العبارة ببنائها التركيبي تقرر ضرورة تخليص العقيدة من هذا الخلط المفسد للعمل الموبق لصاحبه، ولذلك نجده يكرر هذا المعنى في قوله (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) وينص صراحة على معنى الإخلاص في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك الظاهر، والشرك الخفي بالرياء في قوله: (وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ) كما تكررت هذه الكلمة في ختام الحديث عوداً على بدء كالإرصاد للمعنى في بدايته، بما يقرره في نهايته (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) وقوله ولو كره الكافرون إشارة إلى أن التوحيد الخالص له أعداء يقفون لأهله بالمرصاد هم جند الشيطان يدعون الناس إلى الغي لمصالح دنيوية.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٠)

١٤٢٠- وعن أَبي هريرة ﷺ : أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ[١]، يُصلُّون كَمَا نُصلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ[٢]، (وَلَهُمْ فَضلٌ مِنْ أمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ)[٣]. فَقَالَ: **((ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُون أحَدٌ أفْضَل مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟))** قالوا: بَلَى يَا رسول الله[٤]، قَالَ: **((تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ))**[٥].

قَالَ أَبُو صالح: (الراوي عن أبي هريرة، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ)[٦] قَالَ: يقول: سُبْحَان اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أكبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ[٧]. متفقٌ عَلَيْهِ.

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَراءُ المُهَاجرينَ إلَى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهْلُ الأمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: **((ذلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ))**[٨].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) عند مسلم زيادة: (فقال: وما ذاك).

(٢) إلى هنا لفظ مسلم.

(٣) إلى هنا لفظ البخاري.

(٤) إلى هنا لفظ مسلم.

(٥) إلى هنا لفظ البخاري.

(٦) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٧) إلى هنا لفظ البخاري.

(٨) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٤٢/٥٩٥). تقدم برقم (٥٧٣) أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

غريب الألفاظ:

الدرجات: جمع درجةٍ: المنزلة والمكانة عند الله تعالى[١].

الدُّثُور: جَمعُ: دَثْرٍ: المالُ الكثير[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض لصورة من صور التنافس في الخير بين المؤمنين، ويقوم المعنى فيه على الحوار بين فقراء المهاجرين، وبين الرسول ﷺ وقولهم (: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى) كناية عن تحصيلهم الأعمال الصالحة الكبيرة، والتعبير بالذهاب مبالغة في الحيازة كأنهم لم يبقوا لها أثرا، وقوله (أهل الدثور) كناية عن أهل الغنى، والجاه، وجمع الدرجات للتعظيم، ووصفها بالعلي مبالغة في العلو، وقول الرسول ﷺ (وَمَا ذَاك ؟) استفهام على حقيقته يضع على إثره الحل بعد الإحاطة بأبعاد المشكلة، وقولهم: (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) فيه جناس بين يُصَلُّونَ ونُصَلِّي، وبين يَصُومُونَ ونَصُومُ يؤكد المعنى، ويقرر التطابق في الفعل، والتساوي في العمل، وليس في هذا الجزء اعتراض والمفارقة في قوله (وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ) وفيه طباق سلب بين يَتَصَدَّقُونَ، وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَبين يَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، لأنهم يملكون المال، والفقراء لا يملكون، وقول الرسول (أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق، وترغيب يسيطر على العقل حتى يتقرر المعنى وقد جعل لهم فيه ما يبحثون عنه من إدراك السابق، وفوت اللاحق، والتفرد في المنزلة، وهو ما تسعى خلفه النفوس المؤمنة الطامحة وقوله (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً) يدل على فضل الذكر وعظمة ثوابه مع عدم الكلفة،

---

(١) النهاية في (د ر ج).

(٢) رياض الصلحين.

وقلة الجهد، وقولهم (سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟) يشير إلى روح المنافسة في الخير السائدة في الجيل الطاهر والتي تشبه منافستنا اليوم، ولكن على الدنيا، وقول الرسول ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يرد المسألة إلى أصلها، وهو توفيق الله، والإشارة (ذلك) للتعظيم، وإضافته لله تزيده تعظيماً مع التخصيص الذي يقرر أن مرد الأمر لمشيئة الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٧٣).

الحديث رقم (١٤٢١)

١٤٢١- وعنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وقال تَمَامَ المِئَةِ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[2].

زبد البحر: رغوةُ مائه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تناولت الذكر بعد انتهاء الصلاة خاصة وقد ورد في ثوب الشرط الذي يعطي الحكم اطراد يعم المصلين إلى يوم القيامة كما أنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل دون أن يفرضه عليهم مما يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار؛ لأنه أدى الفرض الواجب عليه، وهو في هذا الذكر بالخيار، ولكن الجزاء الموضوع إزاء هذه التسبيحات، والتحميدات، والتكبيرات يجعل المصلي حديث العهد بلقاء ربه في صلاته يسارع في أداء هذه الأذكار تخلصا من خطاياه، وإمعانا في التقرب لله تعالى وقوله (من سبح الله...) وما عطف عليه من التحميد، والتكبير هو فعل الشرط، وقوله (في دبر كل صلاة) يحدد وقته، والتعبير بحرف الجر (في) الدال على

---

(١) برقم (٥٩٧/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٣) لسان العرب في (ر غ و).

الظرفية يؤكد التوقيت، ويضبطه بحيث يكون بعدها مباشرة؛ لأن الحرف يدل على الظرفية الدالة على التمكن في العقب، وقوله (ثلاثا وثلاثين) يحدد عدده بعد كل فعل من أفعال الذكر المحددة (التسبيح، والتحميد، والتكبير) وتمام المائة هي كلمة التوحيد المشفوعة بالحمد، والثناء، وجملة جواب الشرط (غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) والتعبير بالماضي مفيد للتحقق، وجمع الخطايا لتكثير المغفور، وجملة (وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) جملة شرطية محذوفة الجواب لدلالة السابق عليه، أي: وَإنْ كَانَتْ خطاياه مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ غُفِرَتْ وتشبيه الذنوب بزبد البحر ليقرر الكثرة، وخص الكثرة بزبد البحر لاشتهاره بها عند المخاطبين لبيان المقدار الذي يبلغه العفو، وهو يفيد المبالغة في مقدار الذنوب التي تدركها المغفرة، وهو كم من الذنوب يستبعد أن يبلغه مصلٍ ولذلك استخدم (إن) كأداة شرط دلالة على الشك في حصول هذا المقدار من الذنوب من أحد المصلين، ولأن كل صلاة يقرأ هذا الذكر بعدها تكفر ما سبقها فيستبعد حصول هذا القدر من الذنوب بين صلاتين، ومع ذلك لو حصل له هذا المقدار لغفر له.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة:

حيث جاء في الحديث: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثًا وثلاثين وكبر الله ثلاثًا وثلاثين..... غفرت خطاياه"، وقوله ﷺ: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة" ولا شك أن هذا يدل على فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة وهي جميعها من صور الذكر الذي يحبه الله ويرضى عن قائله، الذكر لغة:

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٤٢١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٢).

مصدر ذكر الشيء يذكره ذكرًا وهو ما يجري على اللسان والقلب، واصطلاحًا بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته، ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه[١][٢].

وقال النووي: (الذكر هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه بما هو أهله. والإكثار منه واجب مأمور به ويذكر الله من يذكره والذاكر متفرد بالسبق حي على الحقيقة وفق لرأس الأعمال الصالحة واتخذ سبيل النجاة)[٣].

وقد قرن الله تعالى الذكر بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال: الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥]، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتِّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢١/٢١٩، ٢٢٠.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ٨/٣٨١.

(٣) الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي، ص٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان. قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخّص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[1]، ولرخّص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]"[3].

وقد أمر الله في مواضع من كتابه بالمداومة على ذكره. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[6]، وأمر الله بعدم طاعة من غفل قلبه عن ذكر الله قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[7]، وأخبر الله أن الذكر يورث ذكر الله تعالى للعبد، قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[8]، قال ابن القيم: "وذكر الله من أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك، والذكر يسير العبد، وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٧) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

وسقمه وفي حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديثين[٢] ومما لا شك فيه أن من أولى مهام الداعية أن يرشد المدعوين ويدلهم على الخير والهدى والصلاح لأنه بهذا يتضح حرصه عليهم وشفقته بهم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[٣]، وبين الرسول الكريم ﷺ ثواب من يدل ويرشد إلى الهدى والخير فقال: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله، أو قال عامله"[٤].

قال السيد سابق: (إن أسمى الغايات وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه، وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥].

أي أن غايات الناس مختلفة، وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات البدنية، ومنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية، كالجاه والرئاسة، والعلو في الأرض

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ضمن مجموعة الحديث النجدية، ٢/٣٠٤-٣١١.

(٢) رقم ١٤٢١، ١٤٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

بغير الحق، وهو ما يسمى عندهم بالكرامة والشرف.

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا. وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال جل شأنه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

ومدح المسارعين إليه، والحريصين عليه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3].

وجعل جزاءه الجنة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[4].

وروى ابن ماجه، عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ. وَلِهَذه الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ. فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ. وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مِغْلاَقًا لِلْخَيْرِ»[5]. والله سبحانه يوازن بين مباهج الدنيا ومفاتنها، وبين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين أن الفضائل أبقى أثرًا، وأعظم ذخرًا، وأجدر باهتمام الإنسان، وخير له في الدنيا والآخرة.

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[6]، والدلالة على الخير، وإرشاد الإنسان غيره إلى الحق، لا يقل أهمية

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٦) سورة الكهف، آية: ٤٦.

عن ممارسة الخير والنهوض به)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الأول في قوله ﷺ: "غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، وفي قوله ﷺ في الحديث الثاني: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ..."، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتشجعه على الطاعة، وتحثه على المسارعة إلى الأعمال الصالحة. "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتنابه، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم والإنسان مفطور الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة"[٢]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٣].

---

(١) سورة إسلامنا، الأيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٢.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٤٢٢)

١٤٢٢- وعن كعب بن عُجْرَةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: ((مُعَقِّباتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ (أَوْ فَاعِلُهُنَّ) دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَةً)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

كعب بن عجرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٠٧).

غريب الألفاظ:

معقبات: تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة، وسميت معقبات لأنها تفعل مرة بعد أخرى[٢].

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في الذكر بعد الصلاة يعتمد أسلوب التشويق في عرض المعنى ليضمن تمام إنصات المخاطب، وترقبه حتى يقع المعنى من نفسه موقعا لا ينساه بعده، وطريقة التشويق في هذا الحديث تقوم على ذكر لفظ مبهم موصوف بجملة تزيد التشويق إليه، ولا تكشف عن مضمونه فإذا بلغ المخاطبون من الترقب والاستشراف مبلغا معيناً كشف لهم سره، وقرر المعنى الذي أرصد له بدايةً فقد ذكر لفظ (معقبات) وهي نكرة موصوفة بما بعدها، والمعقبات إسْم فَاعِل مِنْ التَّعْقِيب أَيْ أَذْكَار يُعَقِّب بَعْضهَا بَعْضًا أَوْ تُعَقِّب لِصَاحِبِهَا عَاقِبَة حَمِيدَة سُمِّيَتْ مُعَقِّبَات؛ لأنَّهَا تُعَاد مَرَّة بَعْد مَرَّة أَوْ لأنَّهَا تُقَال عَقِب الصَّلاة وَالْعَقِب مِنْ كُلّ شَيْء مَا جَاءَ عَقِب مَا قَبْله وقوله (لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ) وهي جملة وصفت بها النكرة قبلها، ولم تزل إبهامها وزادت الشوق إلى معرفة المعقبات والعبارة كناية عن كثرة الثواب وحصوله لقائلها على

---

(١) برقم (٥٩٦/١٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٤٠.

(٣) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

كل حال، وقوله (دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ) دبر كل شيء آخره وتخصيص المكتوبة يحددها بالصلوات الخمس المفروضة، وقوله (ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَة) تفصيل لما أجمل في لفظ المعقبات وهو المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث بهذا الأسلوب الذي يقرر المعنى بطريقة طريفة تضمن تلقيه بوعي، وفهم ثم تؤكده بذكره مرتين إجمالا، وتفصيلا، وعناية المتكلم بالمعنى الذي يخبر به تشير إلى أهميته، وقيمته التي توجب العناية به.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى الحكم التالي:

١-استحباب ذكر الله تعالى والدعاء عقيب الصلاة بهذه الأدعية والتعوذ بما استعاذ منه النبي ﷺ[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) حاشية العدوي ١/٢٨٤، المجموع شرح المهذب ٣/٤٦٦ وما بعدها، المغني ١/٣٢٧، سبل السلام ١/٢٩٣.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٣)

١٤٢٣- وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ[1] دُبُرَ الصَّلَوَاتِ بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ)). رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

يتعوذ: يلجأ ويعتصم ويستجير[3].

دبر الصلوات: ما بعد انتهائها[4].

أرذل العمر: أي: آخره في حال الكبر والعجز والخَرِفَ[5].

الشرح الأدبي

التعوذ هو طلب العوذ، واللفظ يوحي بمرهوب يخشى أو يتوقع وقوعه وتعوذ الرسول ﷺ نوع من عبادة الله بإظهار الذل، والضعف، والحاجة، وتعليم لأمته لأن هذه الأمور المستعاذ منها لها اتصال بالفطرة ولها تمكن في النفس وبعضها أمور تجري على الخلق بقدر الله، وهي أمور لا يعيذ الإنسان منها إلا ربه عز وجل، وقول الراوي كان يتعوذ يشير إلى العادة -غالبا- وهو ما يجعله سنة فعلية عنه ﷺ وقوله (دبر الصلوات) يحدد وقت هذه الذكر، والتعريف في الصلوات بال للعهد أي الصلوات

---

(١) عند البخاري زيادة: (بهنَّ).

(٢) برقم (٢٨٢٢)، و(٦٣٦٥)، و (٦٣٧٠)، و (٦٣٧٤)، و (٦٣٩٠) بنحوه.

(٣) النهاية في (ع و ذ).

(٤) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٥) النهاية في (ر ذ ل).

المعهودات وهن الصلوات الخمس المفروضة، وقوله (اللهم نداء، ودعاء ينطلق من قلب الخشوع بكامل الخضوع، وضمير المتكلم المسبوق بحرف التوكيد يشير إلى الإلحاح في الدعاء، وإظهار مزيد الضعف، والذل المحقق للرجاء، والجار، والمجرور (بك) تخصيص لله بالطلب والتعوذ من الجبن؛ لأنه يؤدي إلى عذاب الآخرة؛ لأنه يفر في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لمن تولى يوم الزحف، وربما يمنعه من القيام بفرائض الله أو يرتكب المحرمات خوفا على نفسه أو منصبه ولقد ابتليت الأمة بلاءً شديدا من قبل جبن أصحاب المناصب الذين يخافون على الكراسي، والمناصب، ويضيعون مصالح الناس، ويضرونهم في دينهم، ودنياهم، ويضيقون عليهم حماية لمصالح شخصية، والتعوذ من البخل لأنه يحمل على الظلم، والحرص على جمع المال من حله، وحرامه، ومنع حقوق الله، وحقوق الناس، وقوله (أن أرد) أي من الرد وأن مصدرية، (وأرذل العمر) كناية عن سن الشيخوخة، وما يعتري الإنسان فيها من الضعف عن أداء الفرائض، وعن خدمة نفسه فما يستطيع أن ينظف نفسه، فيكون كلاً على أهله ثقيلا بينهم يتمنون موته، فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم ، والتعبير بالرد يشير إلى مرحلة الطفولة التي كانت يعتمد فيها على غيره في كل حركته في الحياة يعني يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولة ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم، وقوله (وفتنة الدنيا) هو أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال، ومال، وقوله (فتنة القبر) عند سؤال الملائكة، وهو موقف لا ينجي منه إلا الله تعالى، وهو أول منازل الآخرة، والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر كل صلاة بهؤلاء

الكلمات وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع.."، قال ابن كثير: "والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله بصدق، والالتجاء بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره[1]

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: وأما الاستعاذة من فتنة المحيا والممات فهذه كلمة جامعة لمعان كثيرة وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعًا عن أمته وتشريعًا لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية وأما التعوذ من فتنة القبر فالمراد سؤال الملكين وعذاب القبر، والتعوذ من فتنة النار هى سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[2]، وأما الاستعاذة من الجبن والبخل وغيره، فهى استعاذة مما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والاستعاذة من فتنة الدنيا، قد يراد بها فتنة الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا[3].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب القبر"، الفتنة هنا: هي ضلال أهل النار المفضي بهم إلى عذاب النار. وفتنة القبر: هي الضلال عن صواب إجابة الملكين فيه، وهما: منكر ونكير -كما تقدم- وعذاب القبر: هو ضرب من لم يُوَفَّق للجواب بمطارق الحديد، وتعذيبه إلى يوم القيامة. وشر فتنة الغني: هي الحرص على الجمع للمال، وحبه حتى يكتسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه. وشر فتنة الفقر: يعني به: الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/١١٤.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) انظر: فتح الباري ١١ /١٨٠-١٨١

حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الأديان، ولا بأهل المروءات، حتى لا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي ركاكة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها. وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يدل على أن الغنى أفضل من الفقر، ولا أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن الغنى والفقر المذكورين هنا مذمومان باتفاق العقلاء.

والكسل المتعوذ منه هو التثاقل عن الطاعات، وعن السعي في تحصيل المصالح الدينية والدنيوية. والعجز المتعوذ منه: هو عدم القدرة على تلك الأمور، والهرم المتعوذ منه: هو المعبر عنه في الحديث الآخر: بأرذل العمر، وهو: ضعف القوى، واختلال الحواس والعقل الذي يعود الكبير بسببه إلى أسوأ من حال الصغير، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وقوله: "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء" يُروى بفتح الراء وبإسكانها، فبالفتح: الاسم، وبالإسكان: المصدر، وهما متقاربان، والمتعوذ منه: أن يلحقه شقاء في الدنيا يُتعبه، ويثقله، وفي الآخرة: يعذبه. وجهد البلاء: يروى بفتح الجيم وضمها. قال ابن دريد: هما لغتان بمعنى واحد، وهو: التعب والمشقة، وقال غيره -وهو نفطويه- بالضم: وهو الوسع والطاقة، وبالفتح: المبالغة والغاية. وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال، وكثرة العيال. وشماتة الأعداء: هي ظفرهم به، أو فرحهم بما يلحقه من الضرر والمصائب. وقد جاء هذا الدعاء مسجعًا -كما ترى الآن- ذلك السجع لم يكن متكلفًا، وإنما يكره من ذلك ما كان متكلفًا -كما تقدم-، وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية، وبيانًا للمشروعية؛ ليُقتدى بدعواته -ويُتعوَّذ بتعويذاته- والله أعلم)[2].

جاء في فتح الملهم: قوله: "ومن فتنة المحيا" الخ: قال أهل اللغة: الفتنة: الامتحان،

---

(١) سورة يس، آية: ٦٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٣٣-٣٥.

والاختبار، قال عياض: (واستعمالها في العرف لكشف ما يكره). وتطلق على القتل والإحراق والنميمة وغير ذلك.

قال ابن دقيق العيد: (فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت).

قوله: "والممات" الخ: يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر. ولا يكون مع هذا الوجه متكررًا مع قوله: "عذاب القبر" لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب، وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا، وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن سفيان الثوري: "أن الميت إذا سئل: من ربك؟ تراءى له الشيطان، فيشير إلى نفسه: أني أنا ربك، فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يُسئل" ثم أخرج بسند جيد إلى عمرو ابن مرة: "كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا: "اللهم أعذه من الشيطان".

قوله: "فتنة المسيح الدجال" الخ: المسيح بفتح الميم، وتخفيف المهملة المكسورة، وآخره حاء مهملة، يطلق على الدجال، وعلى عيسى بن مريم ﷺ. لكن إذا أريد الدجال قيد به. وقال أبو داود في السنن: المسيح مثقل: الدجال، ومخفف: عيسى، والمشهور الأول.

وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر.

وأجيب بأجوبة: أحدها: أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته، فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية، وإلزام خوف الله وإعظامه، والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع، فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة.

وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا إشكال فيه على الوجهين الأولين. وقيل على الثالث: يحتمل أن يكون ذلك قبل تحقق عدم إدراكه، قوله: "من المأثم" الخ: إما مصدر "أثم الرجل" أو ما فيه الإثم"، أو ما يوجب الإثم، قوله: "والمغرم" إلخ: أي: الدين يقال: غَرِم - بكسر الراء - أي": أدان. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز، أو فيما يجوز ثم يعجز عن أدائه. ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين)[1].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه:

حيث جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات، وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع"، ولقد كان من هدى النبي ﷺ أنه كان يحرص على التعوذ ويعلم أصحابه ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لابْنِهِ: أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلاَتِكَ؟ فَقَالَ: لاَ. قَالَ: أَعِدْ صَلاَتَكَ. لأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلاَثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، أَوْ كَمَا قَالَ[2].

قال النووي: (هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه وظاهر كلام طاوس: أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه والله أعلم. قال القاضي عياض تعالى: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه، والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ١٧٢/٤، ١٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والله أعلم)[١].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء أن عائشة ﵂ قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ. وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدُ، يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٢].

قال القرطبي: (قول اليهودية: "إنكم تفتنون في القبور"، أي: تعذبون. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٣]، أي: عذبوهم. وقد قدمنا: أن الفتنة تتصرف على وجوه، وأن أصلها: الاختبار.

وهذا الحديث وما في معناه يدل: على صحة اعتقاد أهل السنة في القبر، وأنه حق، ويرد على المبتدعة المخالفين في ذلك.

وارتياع النبي ﷺ عند إخبار اليهودية بعذاب القبر إنما هو على جهة استبعاد ذلك للمؤمن، إذ لم يكن أوحى إليه في ذلك شيء. ولذلك حققه على اليهود. فقال: "إنما تفتن يهود" على ما كان عنده من علم ذلك، ثم أخبر؛ أنه أوحى إليه بوقوع ذلك، وحينئذ تعوذ منه، ولما استعظم الأمر واستهوله أكثر الاستعاذة منه، وعلمها، وأمر بها، وبإيقاعها في الصلاة؛ ليكون أنجح في الإجابة، وأسعف في الطلبة؛ إذ الصلاة من أفضل القرب، وأرجى للإجابة، وخصوصًا بعد فراغها، ولذلك قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٤]. وفي هذا الحديث حجة على أبي حنيفة، حيث منع الدعاء في الصلاة إلا بألفاظ القرآن.

وقوله: "ومن فتنة المحيا والممات" أي: الحياة والموت، ويحتمل زمان ذلك؛ لأن ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٤٩، ومسلم ٥٨٤.

(٣) سورة البروج، آية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨.

معتل العين من الثلاثي فقد يأتي منه المصدر، والزمان، والمكان، بلفظ واحد. ويريد بذلك: محنة الدنيا وما بعدها. ويحتمل أن يريد بذلك: حالة الاحتضار، وحالة المساءلة في القبر، فكأنه لما استعاذ من فتنة هذين المقامين سأل التثبت فيهما. كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[1]، والله أعلم.

وأمر طاوس ابنه بإعادة لما لم يتعوذ من تلك الأمور دليل: على أنه كان يعتقد وجوب التعوذ منها في الصلاة، وكأنه تمسك بظاهر الأمر بالتعوذ منها، وتأكد ذلك بتعليم النبي ﷺ إياها الناس، كما يُعلِّمهم السورة من القرآن، وبدوام النبي ﷺ على ذلك، ويحتمل: أن يكون ذلك إنما أمره بالإعادة تغليظًا عليه؛ لئلا يتهاون بتلك الدعوات، فيتركها فيحرم فائدتها، وثوابها. والله تعالى أعلم.

والمأثم: ما يجرُّ إلى الذم والعقوبة. والمغرم: الغُرمُ. وقد نبه في الحديث على الضرر اللاحق من الغرم، والله أعلم[2].

والواجب على المدعو أن يتلمس هدي النبي ﷺ ويلتزمه لأنه الأسوة والقدوة في جميع الأمور قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ومدح الله سبحانه الذين يتبعون هديه، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، وأمر باتباعه فقال جل شأنه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]، ومن هنا وجب على المدعو الاقتداء بسنة النبي ﷺ والتأسي به، قال النسفي: "قال الحسن: زعم أقوام على عهد

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢٠٧-٢٠٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله ﷺ فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل: محبة الله معرفته ودوام خشيته وقيل: هى اتباع النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به"[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾[4].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٥٦-١٥٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٣.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

الحديث رقم (١٤٢٤)

١٤٢٤- وعن معاذ ﷺ: أن رسُولَ اللهِ ﷺ، أخذ بيده، وقال: ((يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ)) فقَالَ: ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). رواه أبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

نرى دائما فعل الرسول ﷺ يسبق قوله، وإذا أمر بشيء كان أول من يفعله حرصاً منه على الخير، وإيجاداً للقدوة الصالحة للأمة في دروب الخير، وقول الرسول ﷺ (يا معاذ) نداء تنبيه، وتكريم، والقسم بالله توكيد لتعظيم ما بعده، وتنبيهاً إلى العناية به، والتوكيد بـ (إن) واللام الداخلة على الفعل المضارع الذي يعطي المعنى استمرارية، ويدل على دوام المحبة، وكثافة هذه المؤكدات تربي المهابة، والعناية والاهتمام بمضمون الخبر مع تمهيد النفوس له بما يدخله عليها دخول الخبر المأنوس، وفيه شرح لصدره ؛لأن الذي يخبره بأنه يحبه هو حبيب الله، والمؤمنين، وخير خلق الله ثم إن هذا الإحساس يبعثه على الاهتمام بما بعده من إرشادات، ونداؤه للمرة الثانية، وهو مقبل عليه مدرك لما يقول يدلل على محبته، وفيه مزيد تودد، وتكريم، والنهي في قوله: (لا تدعن) نهي عن ترك الذكر للتوجيه، والإرشاد، والتعبير بالدبر يفيد تعقيب الصلاة بالذكر مباشرة، وترتيب كلمات الدعاء بدأ بالذكر لأنه يؤدي إلى الشكر،

---

(١) برقم (١٥٢٢)، وكذا قال المؤلف في الخلاصة (١٥٤٨)، وتقدم برقم (٣٨٤). وصحّحه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٢٠)، وقال الحاكم (٢٧٣/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٠). تنبيه: عزاه المؤلف في الموضع الأول إلى أبي داود والنسائي، واكتفى هنا بأبي داود فقط.

والذكر والشكر يؤديان إلى حسن العبادة، وقد تضمَّن عناصر إصلاح الصلاة، ودوامها، ومواصلة الذكر، وتصدُّره الدعاء بصيغة (اللهم) التي تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً، وتوحي بحالة من السكينة تحقق القبول.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٨٤).

الحديث رقم (١٤٢٥)

١٤٢٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أرْبَعٍ، يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستعذ بالله: فَليلجَأْ إليه وليعتصم به[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التعوذ من العذاب، والفتنة في مواقف كل الناس عرضة لها، ولا ينجو منها إلا من نجّاه الله، ويقوم المعنى على الأسلوب الخبري المبني على أسلوب الشرط الذي ربط التشهد بالأمر بالاستعاذة من الأمور المذكورة والذي ينطوي على تحذير من الأسباب التي تؤدي إليها في قوله (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ) وذكر لفظ العدد أربع نكرة مبهمة من باب التشويق بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام حيث أبهم الأربعة في هذه النكرة بعد أن أمرهم بالتعوذ منها ثم فصَّلها في الجمل بعدها، وهذا الأسلوب يحقق مع التشويق، والترقب يحقق التوكيد لذكره مرتين مجملا ثم مفصلا، وبداية الدعاء بالنداء بصيغة اللهم يستحضر الخضوع، والخشوع ويعلن التوجه، والقصد بالقلب إلى الرب ثم يزيد تهالكا في الذل، والخضوع بتقديم ضميره (إني) مؤكدا لتوكيد الضعف، والاضطرار المهيأ للإجابة المحقق للإغاثة، وبدأ بالاستعاذة من العذاب المضاف للنار، والتعبير بلفظ جهنم يوحي بالخوف، والرهبة؛ لأنها

---

(١) برقم (٥٨٨/١٢٨). وكذا أخرجه البخاري (١٣٧٧) ولفظه: (كان رسول الله ﷺ يدعو) ثمّ ذكره.

(٢) المعجم الوسيط في (ع و ذ).

علم على الهول؛ لأن ذكر النار فقط يستحضر في الذهن دفئها، وضياءها مع إحراقها، ولظاها، ولكن ذكر جهنم يجردها من كل خير، أو فائدة، ويخلصها للعذاب، وذكر لفظ القبر من الألفاظ الموحية بطبيعتها بالظلمة، والوحشة وغرائب الأهوال، والاستعاذة من الفتن، لأنها تؤدي إلى العذاب في القبر، أو في النار، أو في الاثنين - والعياذ بالله - والطباق بين المحيا، والممات يستغرق بالعوذ كل الفتن، وبين هذه الكلمات مراعاة نظير (جهنم - القبر - الفتن - المسيخ الدجال) لأنها تتفق جميعا في كونها من الغيب المنتظر، وفي كونها مرهوبة مخوفة - نعوذ بالله منها جميعا - فعلينا أن نحرص على هذا الدعاء الذي يجنبنا هذا الهول العظيم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الاستعاذة من هذه الأمور: ذهب الظاهرية وطاووس إلى وجوب الاستعاذة من هذه الأمور وبطلان صلاة من تركها[1].

وذهب جمهور الفقهاء إلى ندب واستحباب الاستعاذة من هذه الأمور وصحة صلاة من ترك الاستعاذة من هذه الأمور[2].

٢-في الحديث دلالة على ثبوت عذاب القبر[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) مغني المحتاج ٢/٣٨٤، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٢) حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/٣٣٣، مغني المحتاج ١/٣٨٣، المغني ١/٣٢٠، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٣) سبل السلام ١/٣٦٦.

(٤) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٤٢٦)

١٤٢٦- وعن عليٍّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وما أسرفت: من الإسراف وهو مجاوزة الحد، والمقصود هنا: الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقاب [أي: ارتكاب] الأوزار والآثام[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بسنة فعلية عن النبي ﷺ دعاءه في آخر صلاته، وقول عليٍّ ﷺ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ. ...) يقرر أنها عادة متكررة في صلوات الرسول ﷺ يدل على ذلك قوله (كان رسول الله ﷺ) كما يقرر ذلك استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين قيامه للصلاة قبيل التسليم، وبين قول هذا الدعاء، وقوله (بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ) يحدد بدقة موضع الذكر، وقد قام المعنى في الدعاء الوارد في هذا الحديث على أسلوب المطابقة التي تستغرق كل ذنوب العبد، وتؤكد على إحاطة الله بذنوب عبده، وبكل خلقه، فقد قابل بين قوله قَدَّمْتُ، وأَخَّرْتُ التي تستغرق الزمان بالمغفرة، وبين أَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، ليستغرق الظاهر، والباطن وهو استغراق للمكان، لأن الذنب إما أن يقع في مكان ظاهر للعيان، أو في مكان خفي

(١) برقم (٧٧١/٢٠١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س ر ف).

عن الناس، والدعاء يحيط الاثنين بالمغفرة، كما طابق بين وصفه بالْمُقَدِّمُ، والمُؤَخِّرُ، ليشير إلى إحاطته بكل شيء ثم ختمه بكلمة التوحيد إعلانا لتفرده بكل شيء بما فيها المغفرة (لا إلهَ إِلاَّ أَنْتَ) أي يغفر الذنوب، ويقبل الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء بعد التشهد قبل التسليم[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال" وكان رسول الله إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: "اللهم اغفر..."، قال النووي: وقوله: "أنت المقدم وأنت المؤخر" معناه تقدم من شئت بطاعتك وغيرها، وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، وفي هذا الحديث استحباب دعاء الافتتاح بما في هذا الحديث إلا أن يكون إمامًا لقوم لا يؤثرون التطويل، وفيه استحباب الذكر في الركوع والسجود والاعتدال والدعاء قبل السلام[3]، والمسلم يجب أن يحرص على

---

(١) حاشية الجمل ٣٨٩/١-٣٩٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٤٢٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٢٦.

الاقتـداء بالنبي ﷺ في جميـع أمـوره، وخـاصة في الدعاء والعبادة، فقد جعل الله الهداية في اتباعه وطاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

قال القاسمي: "أي إنه ﷺ في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة إذ كان منها ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة، ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى وهو الرفيع الشأن كان غيره أجدر إن كان ممن يتبع بإحسان ويرجو رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته"[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفس المدعو من خلال الترغيب في العبادة والدعاء والذكر، "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه، ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه ويفزعه كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها"[4].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك " أنه بالدعاء تكبر النفس وتشرف وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) محاسن التأويل ١٣/٢٣٦.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

رقهم ويسلم من منتهم، وبالدعاء يسلم من ذلك كله[1]، والمدعو يجب أن يحرص على جوامع الدعاء كما في هذا الحديث وكما جاء عن نبي الله يوسف، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾"[2]. قال الإمام ابن القيم: "وهذه دعوة جامعة جمعت الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء[3]، ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج من تضرع الأنبياء عليهم السلام فمن دعاء أيوب عليه السلام: "﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4]، ومن دعاء يونس عليه السلام وتضرعه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

قال ابن مفلح: (فالعارف -يعني الذي يعلم حق الله عليه- يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك، ولا يمل ولا يسأم، ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة فإنه أنجح فالواجب النظر في الأمور، فإن عَدِم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع؛ فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها، ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[6]، وليعلم أن كل شيء عنده بأجل مسمى)[7].

---

(١) الدعاء مفهومه وأحكامه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٩.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٣) الفوائد ٢٨٥.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٧) الآداب الشرعية ١٤٩/١.

قال الغزالي تعالى: (من آداب الدعاء:

١- أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

٢- أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

٣- أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

٤- الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

٥- أن يُلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطأ الإجابة.

٦- أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

٧- التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكُنْه الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة وتحري أكل الحلال)[1].

وأما عن فائدة الدعاء فيقول:

(فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[2]، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر، فيقلل إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٥٥١، ٥٥٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ «الدعاء هو العبادة»[1].

والغالب على الخلق أنه لا تتصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2])[3].

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٥).

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦،٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/٥٩٢، ٥٩٣.

الحديث رقم (١٤٢٧)

١٤٢٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يشير إلى تحقق الفعل من ناحية، و يشير إلى كثرة إتيانه للفعل من ناحية أخرى، وهو ما يؤكده قولها (يكثر) الذي تشير إلى تعدد الذكر أكثر من مرة في اليوم، وعدة مرات في كل صلاة يدل على ذلك قولها في (في ركوعه، وسجوده)، وهما متكرران في كل ركعة، وفي كل صلاة، وهو ما يفسر تعبيرها بالكثرة، واستخدام (في) الظرفية تشير إلى تمكن الذكر في الوقت المحدد، وتخصيص هذا الدعاء بالصلاة؛ لأنها أفضل من غيرها، وتخصيصه في الركوع، والسجود لما فيهما من زيادة خشوع، وتواضع ليست في غيرهما، وقوله (سبحانك) منصوب على المصدر وحذف فعله وهو أسبح ونحوه لازم وهو علم للتسبيح ومعناه التنزيه عن النقائص، قوله (وبحمدك) أي: وسبحت بحمدك أي بتوفيقك، وهدايتك لا بحولي، وقوتي، والواو فيه إما للحال، وإما لعطف الجملة على الجملة سواء قلنا إضافة الحمد إلى الفاعل، والمراد من الحمد لازمه مجازا وهو ما يوجب الحمد من التوفيق، والهداية، أو إلى المفعول، ويكون معناه وسبحت ملتبسا بحمدي لك، وقوله (اللهم اغفر لي) هو نداء بغرض الدعاء أي يا الله اغفر لي، وإنما قال ذلك النبي ﷺ، وإن كان غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر لبيان الافتقار إلى الله والإذعان له، وإظهار العبودية، والشكر، وطلب الدوام، أو الاستغفار عن ترك الأولى، أو التقصير في

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٢١٧/٤٨٤) ولفظهما سواء.

بلوغ حق عبادته مع أن نفس الدعاء هو عبادة، وهذا من رسول الله ﷺ عمل بما أمر به من التسبيح والاستغفار على أحسن الوجوه، والله تعالى أعلم.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

خامسًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك..." وفي الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده" "كان يقول في سجوده...."، قال النووي: "لقد كان النبي ﷺ يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[٢]، فكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل ومعنى التسبيح: التنزيه فسبحان الله معناه: براءة وتنزيهًا له من كل نقص وصفة للمحدث، وقوله "وبحمدك"، أي وبحمدك سبحتك ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبحتك لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله تعالى وأن كل الأفعال له سبحانه وتعالى[٣].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١).

(٢) سورة النصر، آية : ٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٨٧.

قال القاضي عياض: (وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء": القرب ها هنا من الله معناه: من رحمة ربه وفضله، ولذلك حضه على السؤال والطلب.

وقوله في الحديث: "سبحانك" قال أهل العربية: هو نصب على المصدر، سبحت الله تسبيحًا وسبحانًا، ومعناه: براءة وتنزيهًا لك، ويقال: إن التسبيح مأخوذ من قولهم: سبح الرجل في الأرض إذا ذهب فيها، ومنه قيل للفرس الجواد: سابح، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]، فكأن التسبيح على هذا المعنى بمعنى التعجب، من المبالغة في الجلال والعظمة والبعد عن النقائص.

وقد يكون على هذا جمع سباح، كحساب وحسبان، يقال: سبح يسبح سبحًا وسباحًا، أو جمع سبيح للمبالغة من التسبيح، مثل خبير وعليم، ويجمع سبحان كقضيب وقضبان، وقال المازني: معنى "سبحانك": سبحتك، "قالوا: وقوله: "وبحمدك": أي بحمدك سبحتك ومعنى هذا: أي: بفضلك وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتك واستعملتني "لذلك لا بحولي وقوتي".

وقوله: "سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن"، جاء مفسرًا في الحديث الآخر فيما أمر به من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2]. وفيه حجة لمن أجاز الدعاء في الركوع، وقوله: "اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، أي صغيره وكبيره")[3].

وقال القرطبي: (وقوله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح" يقال: سبوح قدوس بضم السين والقاف وفتحها، مرفوعان على خبر المبتدأ المضمر، تقديره: أنت سبوح قدوس، وقد قيلا بالنصب فيهما على إضمار فعل، أي: أُعَظِّم، أو اذكر، أو أعبد، وعُدِلا عن التسبيح، والتقديس للمبالغة، وقد تقدم معنى: سبحان، وأما القدوس فهو من القدس،

---

(١) سورة يس، آية: ٤٠.

(٢) سورة النصر، آية: ٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢/٣٩٨، ٣٩٩.

وهي الطهارة، ومنه: بيت المقدس، أي: المطهر. ورب الملائكة: أي: مالكهم، وخالقهم، ورازقهم، أي: مُصلح أحوالهم، وقد تقدم الكلام في الملائكة. والروح هنا: جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[1]، وخصه بالذكر وإن كان من الملائكة تشريفًا وتخصيصًا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]. فخصهما بالذكر تشريفًا لهما.

وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" هذا قرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة والمساحة؛ إذ هو منزه عن المكان والزمان)[3].

وأما عن السبب في تخصيص الركوع بالتعظيم والسجود بالدعاء والقيام في الصلاة بقراءة القرآن فيقول صاحب فتح الملهم: (قيل: كأن حكمته أن أفضل أركان الصلاة: القيام، وأفضل الأذكار: القرآن، فجعل الأفضل للأفضل، ونهى عن جعله في غيره، لئلا يوهم استواءه مع بقية الأذكار. وقيل: خصت القراءة بالقيام أو القعود عند العجز عنه، لأنهما من الأفعال العادية، ويتمحضان للعبادة، بخلاف الركوع والسجود، لأنهما بذواتهما يخالفان العادة، ويدلان عل الخضوع والعبادة. ويمكن أن يقال: إن الركوع والسجود حالان دالان على الذل، ويناسبهما الدعاء والتسبيح، فنهى عن القراءة فيهما تعظيمًا للقرآن الكريم، وتكريمًا لقارئه القائم مقام الكليم، والله بكل شيء عليم.

ولما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع، وكذلك السجود، ولم تنبغ هذه الصفة أن تكون لله تعالى قال النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله تعالى في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، "اجعلوها في ركوعكم" وفي قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[5]،

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣، ١٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٠، ٩١.

(٤) سورة الواقعة، آية: ٧٤.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١.

اجعلوها في سجودكم يقول: نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع فإن الخضوع، إنما هو لله، لا بالله فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع.

وقوله: "فعظموا فيه الرب" إلخ: أي: سبحوه، ونزهوه، ومجدوه.

واستحب الشافعي وغيره من العلماء أن يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، ويكرر كل واحدة منهما ثلاث مرات، ويضم إليه ما جاء في حديث علي رضي الله عنه ذكره مسلم بعد هذا: "اللهم لك ركعت، اللهم لك سجدت..." إلى آخره، وإنما يستحب الجمع بينهما لغير الإمام، وللإمام الذي يعلم أن المأمومين يؤثرون التطويل، فإن شك لم يزد على التسبيح، قوله: "فاجتهدوا في الدعاء" إلخ: أي: بالغوا في الدعاء حقيقة، وهو ظاهر، أو حكمًا كما في "سبحان ربي الأعلى".

وقال بعضهم ادعوا بعد قول"سبحان ربي الأعلى" فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح.

قوله: "فقمن" إلخ: بفتح القاف وفتح الميم وكسرها، لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، وفي لغة ثالثة: قمين، بزيادة ياء وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه: حقيق، وجدير.

قوله: "أن يستجاب لكم" إلخ: لأن السجود أقرب ما يكون العبد فيه إلى ربه، فيكون الدعاء في تلك الحالة أقرب إلى الإجابة.

قال الحافظ: (والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤاله، واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه)[1].

وقال ابن علان: "والمراد تعظيم الرب سبحانه وتعالى في الركوع بأي لفظ كان، ولكن الأفضل أن يجمع بين الأذكار الواردة فيه إن مكن من ذلك بحيث لا يشق على غيره فإن أراد الاقتصار فليقتصر على التسبيح، ويستحب إذا اقتصر على البعض أن يفعل في بعض الأوقات بعضًا آخر، وهكذا حتى يكون فاعلاً لجميعها وكذا ينبغي في

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٣/٤٥٨-٤٥٩.

أذكار جميع الأبواب"[1].

والواجب على المسلم أن يتبع هدى النبي ﷺ في هذه الأذكار فيكثر منها ويلتزم بها في الركوع والسجود، قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة، والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفرح والنجاة، فالله ﷻ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفته الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود:

حيث جاء في الحديث: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء"، قال النووي: "ومعنى: قمن" بفتح القاف وفتح الميم وكسرها أى حقيق وجدير وفيه الحث على الدعاء في السجود فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح، وقوله: "أقرب ما يكون" أى أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وفيه دليل لمن يقول: "إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة"[3]. وقال ابن عثيمين: "والعبد يكون أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام، ويضع أعلى ما في جسده حذاء أدنى ما في جسده، يعني أن وجهه أعلى ما جسده، وقدميه أدنى ما في جسده فيضمهما في مستوى واحد تواضعًا لله عز وجل، وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار من الدعاء في حال السجود فيجتمع في ذلك الهيئة والمقال تواضعًا لله عز وجل، وأما في قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه، لأن الدعاء عبادة فكل ماكرره الإنسان ازداد عبادة لله عز وجل، ثم إنه في تكراره هذا

---

(١) دليل الفالحين ١٤٩٢

(٢) زاد المعاد ٣٧/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٨٥-٢٨٦.

يستحضر الذنوب كلها، السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه، وكذلك دقه وجله، وهذا هو الحكمة في أن النبي ﷺ فصل بعد الإجمال فينبغي على الإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ لأنها أجمع الدعاء، وأنفع الدعاء"[1].

وقال ابن القيم: "وأمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: "إنه قمن أن يستجاب لكم، ويحمل هذا الحديث على أن الدعاء نوعان" دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين والاستجابة نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثنى بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]، والصحيح أنه يعم النوعين.

والسجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها، وبأن الساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد، فلهذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة، والسجود هو سر العبودية، فإن العبودية هي الذل والخضوع، يقال طريق معبد: أي: ذللته الأقدام، ووطأته، وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجدًا[3]، وإذا كان السجود بهذا الفضل فواجب المسلم أن يجتهد في الإكثار من الدعاء لله فيه وقد قال رسول الله ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي وقد سأله مرافقته في الجنة: "أعني على نفسك بكثرة السجود"[4].

وإذا كان الدعاء في السجود له هذا الفضل فهل يلزم من هذا أفضليته على القيام؟ وقد قال النبي ﷺ في الحديث عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) زاد المعاد ١/٢٣٤-٢٣٦.

(٤) أخرجه مسلم، ٤٨٩.

عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»[1].

قال القرطبي: (قوله في حديث ثوبان وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله؟ فقال: "عليك بكثرة السجود" الحديث دليل على أن كثرة السجود أفضل من طول القيام، وهي مسألة اختلف العلماء فيها: فذهبت طائفة إلى ظاهر هذا الحديث، وذهبت طائفة أخرى إلى أن طول القيام أفضل؛ متمسكين بقوله ﷺ: ((أفضل الصلاة طول القنوت))[2]. وفسروا القنوت بالقيام كما قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾[3]، ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي، والصحيح من فعل النبي ﷺ: أنه كان يطول في قيام صلاة الليل، وداوم على ذلك إلى حين موته، فدلَّ على أن طول القيام أفضل. ويحتمل أن يقال: إن ذلك يرجع إلى حال المصلي. فربَّ مصلٍ يحصل له في حال القيام من الحضور والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، ورب مصل يحصل له في السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام، فيكون الأفضل في هذه الحال التي حصل له فيها ذلك المعنى؛ الذي هو روح الصلاة.

وأما ما جاء عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[4].

فقوله في حديث ربيعة: "أو غير ذلك" رويناه بإسكان الواو من أو، ونصب "غير" أي: أو سل غير ذلك، كأنه حضه على سؤال شيء آخر غير مرافقته؛ لأنه فهم منه أن يطلب المساواة معه في درجته، وذلك مما لا ينبغي لغيره، فلما قال الرجل: هو ذلك، قال له:

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٩.

"أعني على نفسك بكثرة السجود"، أي: الصلاة؛ ليزداد من القرب ورفعة الدرجات؛ حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها. ولا يعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب: ((ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة))، لأن هذا مثل قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم...﴾[1]، لأن هذه المعية هي النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة على مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم، وقد دل على هذا أيضًا قوله ﷺ: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب»[2])[3].

وجاء في فتح الملهم: (قيل: إن الصيغة الدالة على التفضيل إنما وردت في فضل طول القيام، ولا يلزم من فضل الركوع والسجود أفضليتهما على طول القيام. وكذلك أيضًا لا يلزم من كون العبد أقرب إلى ربه حال سجوده أفضليته على القيام، لأن ذلك إنما هو باعتبار إجابة الدعاء.

وأقربية الشيء من وجه لا تستلزم أفضليته من كل الوجوه، كما أن العبيد والمملوكين الذين يخدمون الملوك ويحضرون بين أيديهم ليلاً ونهارًا يحصل لهم نوع من قربهم ما لا يحصل للولاة والوزراء الذين يفضلونهم في مراتب الشرف ومنازل العلو بما لا يقاس، ولهؤلاء أقربية أخرى معنوية رتبية ليس لأقربيته الأولين مقدار بالنسبة إليها، وقس على هذا ألوان القرب مع الله سبحانه وتعالى، فالعبد في سجوده له لون من القرب الإلهي ليس هو في سائر أركان الصلاة، وفي قيامه ومناجاته مع الله لون آخر يفضل اللون الأول، فالمراد في حديث الباب: الأقربية من حيث بعض ألوانه، والله أعلم.

قوله: "من ربه" إلخ: أي من رحمة ربه وفضله.

قوله: "وهو ساجد" إلخ: أي: أقرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجدًا، وإنما كان في السجود أقرب من سائر أحوال الصلاة وغيرها لأن العبد بقدر ما يبعد عن نفسه يقرب من ربه، والسجود غاية التواضع وترك التكبر وكسر النفس، لأنها

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٤٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٢-٩٤.

لا تأمر الرجل بالمذلة ولا ترضى بها ولا بالتواضع، بل بخلاف ذلك، فإذا سجد فقد خالف نفسه وبعد عنها، فإذا بعد عنها فقد قرب من ربه.

قوله: "فأكثروا الدعاء" إلخ: أي: في السجود، لأنه حالة قرب، كما تقدم، وحالة القرب مقبول دعاؤها، لأن السيد يحب عبده الذي يطيعه ويتواضع له ويقبل منه: ما يقوله وما يسأله.

قوله: "ذنبي كله" إلخ: كله للتأكيد، وما بعده تفصيل لأنواعه، أو بيانه. وقوله: "دقه" إلخ: بكسر الدال، أي: دقيقه وصغيره.

قوله: "وجله"إلخ: بكسر الجيم، وقد تضم، أي جليله وكبيره، قيل: إنما قدم الدق على الجل لأن السائل يتصاعد في مسألته، أي يترقى، ولأن الكبائر تنشأ غالبًا من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها، فكأنها وسائل إلى الكبائر، ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتًا ورفعًا.

قوله: "أوله وآخره" إلخ: المقصود الإحاطة.

قوله: "وعلانيته وسره" إلخ: أي: عند غيره تعالى، وإلا فهما سواء عنده تعالى، يعلم السر وأخفى[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- الأمــر: حيث جاء في الحديث: "فعظموا فيه الرب"، "فاستهدوا"، "فأكثروا"، ومما لا شك فيه أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعــر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيـذه والاستجابة له وقد أمر الله بهذا في القرآن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2]، ومن صور استعمال القرآن الكريم، لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَقِيمُوا

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٤٦٣/٣-٤٦٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[١].

٢- الترغيب: ويتضح هذا من سياق الأحاديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين بالإيجاب حيث تقبل نفوسهم على الطاعة لما ينتظرون من الأجر والثواب، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣].

رابعًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث: "فأكثروا الدعاء"، وقوله: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، والداعية مهمته الأولى دلالة الناس على الخير وإرشادهم إلى ما ينفعهم ذلك لأن الأصل فيه دائمًا الحرص على مصلحة المدعوين وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، ولا زال الناس يحتاجون إلى من يدلهم على الخير ويرشدهم "فالأنبياء هم المعلمون، وبالتعليم يتم نظام العالم، والعلم الذي جاء به الأنبياء هو العلم الكاشف عن حقيقة الطريق المستقيم الموصل إلى دار السعادة"[٥]، وقد قال الرسول الكريم في فضل من يرشد إلى الخير من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من دل على خير فله مثل

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٥) الدعوة والدعاة، على سرور الزنكلوني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ص٣٤.

أجر فاعله. أو قال عامله"[١].

خامسًا – من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالمغفرة ويكثر من الدعاء في السجود وفي هذا تواضع لله عز وجل، ومن أهم صفات الداعية أن يتواضع لله وللخلق حتى يكتب الله له القبول بين الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه"[٤]. قال النووي:(فيه وجهان أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا)[٥].

والتواضع من أهم الصفات في حق الدعاة إلى الله تعالى: "إن التواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع ومن التواضع طيب الحديث والتبسم في وجه الناس، والرفق بهم، وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم وتهدئة روعهم إذا فزعوا، ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبته"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٣) سورة الحجر، آية : ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٥٤٦.

(٦) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٥٧.

الحديث رقم (١٤٢٨)

١٤٢٨- وعنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يقولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سبُّوح: مُنَّزه من الشريك وكل ما لا يليق بالألوهية[2].

قدوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق. وقيل: المبارك[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول ذكر الرسول ﷺ في السجود، والركوع، وهما من المواضع التي تدل على الذل، والخضوع بدلالة الحال مع ما تتضمن من الذل، والخضوع من دلالة المقال، وقوله (سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ) قيل: سبوح من صفات الله. وقال ابن فارس والزبيدي وغيرهما: سبوح هو الله عز و جل والمراد المسبح والمقدس فكأنه يقول مسبح مقدس. ومعنى سبوح المبرأ من النقائص، والشريك، وكل ما لا يليق بالإلهية. وقدوس المطهر من كل ما لا يليق بالخالق، وفي العبارة إيجاز بالحذف لأنهما خبران مبتدؤهما محذوف تقديره ركوعي، وسجودي لمن هو سبوح قدوس، والقدوس صيغة مبالغة من القدس، وقال الهروي: قيل القدوس المبارك، وقوله (رب الملائكة والروح) هو من صور الإطناب بعطف الخاص على العام عناية به، واهتماما؛ لأن الروح من الملائكة، وهو ملك عظيم يكون إذا وقف كجميع الملائكة. وقيل

---

(١) برقم (٢٢٣/٤٨٧).

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٨٨، النهاية في (س ب ح).

(٣) المرجع السابق ٢٨٨.

يحتمل أن يكون جبريل، وقيل خلق لا تراهم الملائكة كنسبة الملائكة إلينا، والفرق بين التسبيح، والتقديس أن التسبيح للأسماء، والتقديس للآلاء، وكلاهما يؤدي إلى العظمة، وهي عبارة عميقة الدلالة من جوامع الكلم تسبح بالعبد في ربوع الملكوت ير بها عظمة ربه المسبح المقدس[١].

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء في الركوع والسجود بهذا الدعاء وبهذا الذكر[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) ينظر شرح الحديث في نيل الأوطار للشوكاني حديث (٣)

(٢) حاشية الجمل ١/٣٦٤، ٣٧٨، المغني ١/٣٠٧، سبل السلام ١/٣٣٩.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٩)

١٤٢٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قَمِن: حقيق وجدير[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول ذكر الركوع، والسجود، وهما موطنا القرب من الله تعالى، وهما من نقاط التحول في استغراق العبد مع ربه بشدة قربه، وبعده عن الدنيا بتقليل الجهات التي يقع عليها نظره وقصره على موضع السجود قصرا عمليا، وقد فصل الرسول ﷺ الذكر للمصلي فيهما، بقوله (فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ - عز وجل -) وأما تفصيلية تؤكد، وتفصل ما بعدها، وقوله (فعظموا) أمر نصح، وإرشاد لما تتم به الصلاة، والتعظيم باللسان، وبالقلب، وهو الذي يحقق غرض الخضوع، والذلة، والتعبير بلفظ الرب دون لفظ الجلالة ا(الله) لأن لفظ الرب يذكر العبد بما تستلزمه الربوبية من رعاية، وحفظ، وتربية مما يستلزم من العبد تعظيمه باستشعار باطني يوافق النطق الظاهر، وقوله (وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ) أما تفصيلية تؤكد من بعدها وقوله (فاجتهدوا) أي ابذلوا الجهد وهو استجماع القلب على الله عند الدعاء، وتفريغ القلب من الدنيا بل إن عليه أن يفرغ نفسه من هموم الدنيا قبل الدخول في الصلاة بأن يخلعها مع نعليه، قبل دخول المسجد لأن العبد إذا كبَّر عند تكبيرة الإحرام؛ فإنه يعلن

---

(١) برقم (٢٠٧/٤٧٩).

(٢) اللسان في (ق م ن).

أن الله الذي هو مقبل عليه أكبر من كل ما يشغله من أمور الدنيا، وقوله: (فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ) أي حقيق وجدير أن يستجاب لكم وهو ترغيب لهم وحث على كثرة الدعاء في هذا الموطن الفاضل.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان من طلب خير الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة[١].

٢-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذه الأدعية المأثورة[٢].

٣-الحث على الدعاء في السجود[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) سبل السلام ١/٣٢٨.

(٢) حاشية الجمل ١/٣٧٨، المغني ١/٣٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٢٠٠.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٠)

١٤٣٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث نصا معنى أشار إليه سابقه، وهو قرب العبد من ربه في هذا الموطن، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٨٢/٢١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٥٥١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٠٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣١)

١٤٣١- وعنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في سجودِهِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دقه: قليله وصغيره[2].

جله: كثيره وكبيره[3].

الشرح الأدبي

السجود موطن القرب، ومتنزل الرحمة، والدعاء فيه أقرب ما يكون للإجابة وقوله (للهم) نداء وتضرع بهذه الصيغة ذات الخصوصية في الدعاء مع أنه قريب منه إعلانا لتوجهه بقلبه ووجدانه إلى ربه بنداء يستغرق أركان النفس فيخشع معها العظم واللحم وكل البدن وهو استغراق شامل وتهالك في الدعاء وقوله (اغفر لي) أمر قصد به الدعاء، والمغفرة هي ستر الذنوب، وطلب الرسول ﷺ للمغفرة مع أنه بلا ذنب من باب تعبد الله بموجب اسمه الغفار، مع ما فيه من تواضع وخضوع وإظهار للذلة، والافتقار، بالإضافة إلى أن الاستغفار في حد ذاته عبادة ثم استغرق بالدعاء بالمغفرة جميع الذنوب إجمالا عن طريق لفظ الشمول (كل) المضاف للضمير العائد على الذنوب، وهو إجمال تلاه تفصيل يؤكده، ويدل على حرصه على تحقق المغفرة وجاء هذا التفصيل المؤكد لما سبقه في أسلوب المطابقة بين الصفات لشمول جميع الذنوب بالمغفرة في جميع الأحوال

---

(١) برقم (٤٨٣/٢١٦).

(٢) النهاية في (د ق ق)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

(٣) النهاية في (ج ل ل)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

فقد طابق بين قوله (دقه، وجله)حتى يستوعب كبير الذنب وصغيره، وهو تعليم لنا؛ لأنه ﷺ معصوم عن الصغائر، والكبائر، وطابق بين قوله، أوله، وآخره ليستوعب الذنوب في الزمن ما مضى، وما هو حاضر، وما يستقبل؛ لأن الإنسان لا يعلم آخر ذنوبه، وطابق بين العلانية، والسر حتى يستغرق الذنب في المكان فلا يقع ذنب، في زمان، ولا مكان إلا شملته المغفرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٢)

١٤٣٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: افْتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ، ذَاتَ لَيْلَةٍ[1]، فَتَحَسَّسْتُ، فإذا هُوَ راكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، يقولُ: ((سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت))[2].

وفي روايةٍ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)). رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

افتقدت النبي: أي: لم أجده[4].

فتحسَّست: تطلبته ﷺ وسألت عنه[5].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على حدث من بيوت النبي ﷺ ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتضمن تقرير ذكر من أذكار الرسول ﷺ في الصلاة، وقولها (افتقدت النبي ﷺ) التعبير بالفقد يشعر بعزيز غاب وهو ما يصور حالها مع الرسول ﷺ محبة، ورحمة ومعناه أنها لم تجده بجوارها في فراشه، وقولها (فتحسست) يشير إلى الحنو؛ لأن التحسس لمسة حانية باليد تبحث عن قريب في المكان، وقوله (فإذا هُوَ راكِعٌ - أَوْ سَاجِدٌ) أي أنه كان في الصلاة، وهو التوقيت الذي تؤقت للحدث به، وهو الدعاء

(١) عند مسلم زيادة: (فظننتُ أنّه ذهب إلى بعض أهله).

(٢) برقم (٢٢١/٤٨٥).

(٣) برقم (٢٢٢/٤٨٦).

(٤) النهاية في (ف ق د).

(٥) اللسان والوسيط في (ح س س).

المخصوص، وهو قوله (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت) قد يَكُونَ الْمُرَادُ أنّه يُسَبِّحَ بِنَفْسِ الْحَمْدِ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ الْحَمْدُ مِنْ مَعْنَى التَّسْبِيحِ، الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهُ، لاقْتِضَاءِ الْحَمْدِ نِسْبَةَ الإِفْعَالِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَفِي ذَلِكَ نَفْيُ الشَّرِكَةِ ، وقد يَكُونَ الْمُرَادُ: فَسَبِّحْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَمْدِ، فَتَكُونُ الْبَاءُ دَالَّةً عَلَى الْحَالِ وَهَذَا يَتَرَجَّحُ، لانَّ النَّبِيَّ قَدْ سَبَّحَ وَحَمَدَ بِقَوْلِهِ "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ "وَعَلَى مُقْتَضَى الْوَجْهِ الإوَّلِ: يُكْتَفَى بِالْحَمْدِ فَقَطْ، وَكَأَنَّ تَسْبِيحَ الرَّسُولِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ دَلِيلٌ عَلَى تَرْجِيحِ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَقَوْلُهُ "وَبِحَمْدِكَ "قِيلَ مَعْنَاهُ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُ، وَهَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَذْفٌ، أَيْ بِسَبَبِ حَمْدِ اللَّهِ سَبَّحْتُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالسَّبَبِ هَهُنَا: التَّوْفِيقَ وَالإِعَانَةَ عَلَى التَّسْبِيحِ، وَاعْتِقَادَ مَعْنَاهُ، وقوله في الرواية الأخرى (اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) يقوم الدعاء على الطباق والمعنى يدور على التعوذ، وهو مقام مختلف في الإحساس عن موقف الثناء السابق، وقد طابق بين قوله: (رِضَاكَ وبين سَخَطِكَ، في عياذ من الثاني بالأول، وبين معَافَاة، والعُقُوبة، في إشارة إلى طلاقة القدرة بين العقاب أو العفو، كما يقرر أنه الملجأ والملاذ (وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ)إذا أحتاج العبد بعد الوقوع في الذنب إلى من يجيره من عقابه فليس له غيره، ثم ضمنه الاعتراف بالتقصير في شكره مهما جد في ذلك.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- حكم نقض الوضوء بلمس المرأة: ذهب الشافعية والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء مطلقاً[1] وروي ذلك عن ابن مسعود، وابن عمر، والزهري، وزيد بن أسلم، ومحكول، ويحيى الأنصاري وربيعة والأوزاعي، وسعيد بن عبدالعزيز[2].

---

(١) مغني المحتاج ١/١٤٤-١٤٥، حاشية الجمل ١/٦٩-٧٠، المغني ١/١٢٤.

(٢) المغني ١/١٢٤.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1] أي لمستم حيث قرئ به فعطف اللمس على المجيء من الغائط ورتب عليهما الأمر بالتيمم عند فقد الماء فدل على أنه حدث كالمجيء من الغائط لا جامعتم لأنه خلاف الظاهر إذ اللمس لا يختص بالجماع[2].

ويناقش هذا بأن المراد باللمس في الآية الجماع كما قال ابن عباس وهو ترجمان القرآن[3].

وذهب الحنفية، والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقًا وروي ذلك عن علي، وابن عباس، وعطاء، وطاووس، والحسن، ومسروق[4]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن هذه الحادثة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقبل بعض نسائه ثم يخرج للصلاة ولا يتوضأ، ولأن اللمس ليس بحدث ولا سبب لوجود الحدث فأشبه مس الرجل الرجل والمرأة المرأة[5].

وذهب المالكية، والحنابلة في المشهور إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء إذا كان بشهوة، ولا ينقض إن لم يكن بشهوة، وهذا قول علقمة، وأبي عبيدة والنخعي، والحكم، وحماد، والثوري، وإسحاق، والشعبي[6]. واستدلوا على ذلك بأنه لمس بغير شهوة لم ينقض كلمس ذوات المحارم يحققه أن اللمس ليس بحدث في نفسه وإنما لأنه يفضي إلى خروج المذي أو المني فاعتبرت الحالة التي تفضي إلى الحدث فيها وهي حالة الشهوة[7].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٢) مغني المحتاج ١/١٤٤.

(٣) بدائع الصنائع ١/٣٠.

(٤) بدائع الصنائع ١/٣٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ١/١٢، المغني ١/١٢٣-١٢٤.

(٥) بدائع الصنائع ١/٣٠.

(٦) مواهب الجليل ١/٢٩٦، حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/١٤٢-١٤٣، المغني ١/١٢٣-١٢٤، شرح منتهى الإرادات ١/٧٣.

(٧) المغني ١/١٢٤-١٢٥.

والراجح هو رأي المالكية، والحنابلة.

٢-حكم نصب القدمين في السجود: اتفق الفقهاء على استحباب نصب القدمين في السجود، وأن يكون السجود على أطراف أصابع رجليه ويثنيهما إلى القلة ويسجد على صور قدميه[١].

٣-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذا الدعاء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فتحسست فإذا هو راكع أو ساجد يقول: "سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت" "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك..." ومما لا شك فيه أن هذا يدل على حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود، قال الإمام النووي "وقوله: " لا أحصى ثناء عليك" أى لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل: لا أحيط به وقال مالك معناه: لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك، وقوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" إعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى الله ﷻ المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما

(١) بدائع الصنائع ١٠٥/١، حاشية رد المحتار ٤٤٧/١، حاشية العدوى ٢٧٠/١، الفواكه الدواني ١٨٢/١، أسنى المطالب ١٦٠/١، حاشية الجمل ٣٧٦/١، المغني ٣٠٦/١، كشاف القناع ٣٥٠/١-٣٥١.

(٢) حاشية الجمل ٣٧٨/١-٣٧٩.

أنه لانهاية لصفاته لانهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ"[١].

هذا وقد تواترت الكثير من أحاديث النبي ﷺ التي تبين مدى حرصه على الدعاء والذكر في الركوع والسجود فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"[٣].

قال القرطبي: (وقوله: "لا أحصي ثناء عليك" أي: لا أطيقه. أي: لا أنتهي إلى غايته، ولا أحيط بمعرفته؛ كما قال ﷺ مخبرًا عن حاله في المقام المحمود حين يخر تحت العرش للسجود قال: «فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهَا إلا آنَ يُلْهِمُنِيهَا اللّه»[٤]. وروى عن مالك: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء عليك، وإن اجتهدت في ذلك. والأول أولى لما ذكرناه. ولما جاء في نص الحديث نفسه: "أنت كما أثنيت على نفسك"، ومعنى ذلك اعتراف بالعجز عن أداء وفهم ما يريده الله من الثناء على نفسه، وبيان صمديته، وقدوسيته، وعظمته، وكبريائه، وجبروته ما لا يُنتهي إلى عدّه، ولا يوصل إلى حدّه، ولا يحصّله عقل، ولا يحيط به فكر، وعند الانتهاء إلى هذا المقام انتهت معرفة الأنام؛ ولذلك قال الصديق الأكبر: العجز عن درك الإدراك إدراك. وقال بعض العارفين في تسبيحه: سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته)[٥].

قال الطيبي: (قوله: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك"،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٩٤، ومسلم ٤٨٤ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤١٠، ومسلم ١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٩٠.

وفي رواية أخرى بدأ بالمعافاة ثم ثنى بالرضا، وإنما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة لأنها من صفات الأفعال كالإماتة، والإحياء، والرضى، والسخط من صفات الذات،وصفات الأفعال أدنى رتبة من صفات الذات، فبدأ بالأدنى مترقيًا إلى الأعلى، ثم لما ازداد يقينًا وارتقى ترك الصفات، وقصر نظره على الذات فقال: "أعوذ بك منك". ثم لما ازداد قربًا استحى من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء، فقال: "لا أحصى ثناء عليك"، ثم علم أن ذلك قصور فقال: "أنت كما أثنيت على نفسك"، وأما على الرواية الأولى فإنما قدم الاستعاذة بالرضى من السخط، لأن المعافاة من العقوبة يحصل بحصول الرضاء، وإنما ذكره لأن دلالة الأول عليها دلالة تضمن، فأراد أن يدل عليها دلالة مطابقة، فكنى عنها أولاً، ثم صرح بها ثانيًا، ولأن الرضى قد يعاقب للمصلحة، ولإستيفاء حق الغير.

وقوله: "لا أحصى ثناء عليك": أي لا أطيق أن أثنى عليك كما تستحقه وتحبه، بل أنا قاصر عن أن يبلغ ثنائي قدر استحقاقك، "أنت كما أثنيت على نفسك" كقولك سبحانك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وما أشبه ذلك من الآيات التي حمدت نفسك فيها.

أقول: أصل الإحصاء العد بالحصى، والإحصاء التحصيل بالعدد، يقال: أحصيت كذا من لفظ الحصى، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدون عليها بالعد، كاعتمادنا فيه على الأصابع؛ فعن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[2]. أي: لن تحصوا ذلك، ووجه تعذر إحصائه وتحصيله هو أن الحق واحد، والباطل كثير، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالمرمى من الهدف، فإصابة ذلك شديدة.

أقول: وإذا علم ذلك فنقول: إن "ما" في قوله: "كما أثنيت" يجوز أن يكون

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤).

موصوفة، وأن يكون موصولة، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[(١)]، أي: الحكيم الباهر الحكمة سوّى هذه النفس العجيبة الشأن، والكاف بمعنى مثل، كالمثل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(٢)]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[(٣)]، والمراد أي: أنت الذات التي لها صفات الجلال والإكرام، ولها العلم الشامل والقدرة الكاملة، يعلم بالعلم الشامل صفات جلالك وإكرامك، وتقدر بقدرتك الكاملة أن تحصى ثناء نفسك، فنفى في قوله: "لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" القدرة والعلم عن نفسه، عجزًا واعترافًا بالقصور، وأثبتهما في قوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" لله عز وجل إعظامًا وإجلالاً، وذلك أن صفات الجلال والإكرام لا نهاية لها، فلا يدركها ولا يطاق إلا بعلم وقدرة لا نهاية لهما. وهذا الثناء يجوز أن يكون بالقول، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[(٤)]، وبالفعل كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[(٥)]، قالوا: ما أثنى الله على نفسه تعالى فهو في الحقيقة إظهار فعله، محمدة لنفسه من بث آلائه، وإظهار نعمائه، بمحكات أفعاله، والله أعلم)[(٦)].

جاء في فتح الملهم: (وقوله "لا أحصي ثناءً عليك" أي لا أطيق أن أعدّ وأحصر فردًا من أفراد الثناء الواجب لك عليّ في كل لحظة وذرة، إذ لا تخلو لمحة قط من وصول إحسان منك إليّ، وكل ذرّة من تلك الذرات لو أردت أحصي ما في طيّها من النعم

---

(١) سورة الشمس، آية: ٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٤) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢/٢٤٠، ٢٤١.

لعجزت، لكثرتها جدًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(١)] فأنا العاجز عن قيام شكرك، فأسألك رضاك وعفوك.

قوله: "على نفسك" إلخ: أي: على ذاتك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(٢)])[(٣)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن الرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة لنا جميعًا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٤)]، وإذا كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله في ركوعه وسجوده ويتطلع إلى مرضاته والثناء عليه فواجب المسلم أن يكون كذلك، قال النووي: "ومعنى استعاذته ﷺ الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"، وقال الخطابي: "وفي استعاذته ﷺ وسؤاله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته معنى لطيف حيث إن الرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله ﷻ استعاذ منه لاغير" ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه[(٥)]، هذا وقد جعل الله في طاعته واتباعه ﷺ الهداية والفلاح قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(٦)]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[(٧)].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٣/٤٦٩-٤٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٨٨.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٧) سورة النور، آية: ٥٤.

والواجب على المسلم الاقتداء بالرسول ﷺ في المحافظة على الأذكار والأدعية، قال ابن القيم: (فإذا فرغ من صلاة الصبح أقبل بكليته على ذكر الله، والتوجه إليه بالأذكار التي شرعت أول النهار؛ فيجعلها وردًا له لا يخل بها أبدًا، ثم يزيد عليها ما شاءَ من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاءَ ركع ركعتى الضحى وزاد ما شاءَ، وإن شاءَ قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعًا إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامنًا عليه متصرفًا فى مرضاته بقية يومه، فلا ينقلب إلا فى شيء يظهر له فيه مرضاة ربه، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قَلَبَه عبادة بالنية، وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب.

وبالجملة فيقف عند أول الداعى إلى فعله، فيفتش ويستخرج منه منفذًا ومسلكًا يسلك به فينقلب فى حقه عبادة وقربة، وشتان كم بين هذا وبين من إذا عرض له أمر من أوامر الرب لا بد له من فعله وفتش فيه على مرادٍ لنفسه وغرضٍ لطبعه، ففعل لأجل ذلك، وجعل الأمر طريقًا له ومنفذًا لمقصده، فسبحان من فاوت بين النفوس إلى هذا الحدّ والغاية، فهذا عباداته عادات، والأول عاداته عبادات.

فإذا جاءَ فرض الظهر بادر إليه مكملاً له ناصحًا فيه لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذى قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما، فهو لا يبقى مجهودًا، بل يبذل مقدوره كله فى تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحى العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون فى عمله هكذا، وهو يرى المحبين فى أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون فى إيقاعها على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة، ومن أنصف نفسه وعرف أعماله استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلا فعله.

وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه فى جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفى هذا

المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل وكان النبى ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[1]. قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2])[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يؤخذ هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في طاعة الله، والحرص على مرضاته: "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخفيه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي والمطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[4].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[5]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٨٦.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٦) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

الحديث رقم (١٤٣٣)

١٤٣٣- وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه قالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ، فقَالَ: ((ايعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ فِي كلّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ!)) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: ((يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ ألْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ ألفُ خَطِيئَةٍ)). رواه مسلم[1].

قَالَ الحُمَيْدِيُّ[2]: كذا هُوَ فِي كتاب مسلم: ((أَوْ يُحَطُّ)).

قَالَ البَرْقاني: ورواه شُعْبَةُ وأبو عَوَانَة، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عن موسى الَّذي رواه مسلم من جهتِهِ فقالوا: (ويحط) بغير ألِفٍ[3].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

ترجمة الراوي:

يُحَطُّ: يُسقط ويُمحى[4].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الذكر، وهو أيسر الأبواب لكسب الحسنات الكثيرة التي بها يكون العبد من أغنياء الآخرة الذين ليس لهم عملة إلا الحسنة لأن التعامل في الآخرة يكون بالحسنة، أو السيئة، وأسلوب الحديث يقوم على الاستفهام التشويقي بالأمر المحبب، وهو كسب ألف حسنة، لاسيما أن المخاطبين هم الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على تحصيل الحسنات (أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ فِي كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ!) أي لا يعجز أحدكم أن يكسب ألف حسنة، والاستفهام الذي

---

(١) برقم (٢٦٩٨/٣٧). اورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٩).

(٢) الجمع بين الصحيحين (١٩٩/١).

(٣) بنصه في الترغيب للمنذري (٤٠٦/٢).

(٤) النهاية في (ح ط ط).

صدر من السائل كان صدى لاستفهام الرسول ﷺ (كَيْفَ يَكْسِبُ أَلفَ حَسَنَةٍ ؟) وهذه الاستفهامة بذكر الأجر نصا فيها تعكس لهفته على ما يوصله إليها، وهو أسلوب راقٍ من النبي ﷺ في التمكين للمعنى في وجدان المخاطبين، وقوله في إجابته (يسبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ) والمقابلة بين الكتابة، والحط تؤكد حصول أحد الأجرين، كما أن التعبير بالكتابة يوحي بالثبات، والتحقق، والتعبير بالحط يوحي بزوال ثقل عن حامله، و(أو) معناها التنويع بمعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه خطيئة، وإن كانت عليه فيحط بعض، ويكتب بعض، ويمكن أن تكون، أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما، وفضل الله أوسع من ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف سنة"، وأسلوب الحوار والاستجواب من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو وتحرك فكره وعقله، وتخلق فيه روح المشاركة والحوار، "ولقد كان النبي ﷺ يكثر من الأساليب الحوارية والاستجوابية مع أصحابه ومع من يلتقي بهم حين كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى وما ذلك إلا يثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[1].

(١) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٧.

ثانيًا- من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة"، والداعية الحكيم الموفق هو الذي يستطيع أن يخلق روح التنافس في نفوس المدعوين لتكون عندهم همة عالية نحو الطاعة وهذا ما علمنا الله إياه من الحث على المسارعة والمسابقة إلى الخيرات للفوز بالجنة والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2]. ومدح الله سبحانه أنبياءه فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾[3]. وحث الله على التنافس لنيل الجنة فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[4].

قال السعدي: "وفي ذلك النعيم المقيم الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله فليتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال"[5]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: "وعلو الهمة مندوب إليه في العبادة والاستقامة ولقد فقه سلفنا الصالح عن الله أمره وتدبروا في حقيقة الدنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وارتفعت همتهم عن سفاسفها، فلا تراهم إلا صوامين قوامين وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات"[6].

قال العز بن عبدالسلام: (التنافس في الطاعات: طلب أنفسها وأفضلها. ومن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٨٤٧.

(٦) موسوعة نضرة النعيم ٢٩٨٩/٧.

المأمورات الباطنة للعبد طلب الحرص على طاعة الله فالحرص يشرف بشرف المحروص عليه، ومراتبه في الشرف مبنية على مراتبه، فالحرص على المعرفة والإيمان أفضل من كل حرص لأنه وسيلة إلى أفضل الأعمال وأشرفها، ومن المأمورات الباطنة للعبد الحزن على فوات الطاعات. قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1]، فالحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها لأن المرء لا يحزن إلا على ما عزَّ عليه)[2].

ولا يخفى أن نجاح الداعية يتوقف على مدى تأثيره في نفوس المدعوين وإثارة روح الإقبال على الطاعة مما يكون له أثره الحميد على الفرد والمجتمع.

"يترتب على وجود مبدأ التسابق في الخيرات في الحياة الإسلامية الكثير من المصالح الدنيوية والأخروية للفرد والمجتمع، في وقت واحد.

١- سترتفع المعاصي من المجتمع، فالكل يتسابق في فعل الخير، والكل يبحث عن خير، يرتفع به عن الآخرين، ومن باب أولى فالكل يعمل على البعد عن الخطايا، والذنوب.

وهذه الفائدة لا يستهان بها، فكون المعاصي ارتفعت من المجتمع يعني أن الخيرات تواجدت في كل مكان، وهذا أمر يريد منا الإسلام أن نصل إليه.

٢- أن بالتسابق في الخيرات سيشعر كل فرد أنه مسئول عن إصلاح شأنه، والتحلي بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وأنه مطالب بالتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

وهذا يعني صلاح الفرد، وفي صلاح كل فرد ونقائه، صلاح كل المجتمع وطهارته من كل خبيث.

٣- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني شيوع المحبة بين أبناء المجتمع، وهذا مما يساعد على استقرار المجتمع، وأمنه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٦٥-٦٧.

٤- التسابق في الخيرات، سيجعل من كل فرد يعمل على إجادة عمله، والتفنن فيه، مما يساعد على زيادة الإنتاج، فيحيا المجتمع حياة سعيدة، وعيشة هنيئة.

٥- التسابق في الخيرات سيجعل من أبناء المجتمع متراحمين، لأن كل منهم يتسابق في كسب ود أخيه ومحبته، والعمل على سروره، وبهجته.

وإذا تراحم أبناء المجتمع شاعت بين أفراده المحبة والسرور، وارتفعت البغضاء والخصام، وعاش الجميع يعمل الخير ويتسابق عليه.

٦- التسابق في الخيرات سيحرك همم أفراد المجتمع للعمل للآخرة، والبعد عن ما يجلب الخسارة، فيشعر المرء بمعنى التسابق في الخيرات الباقية، لا الخيرات الفانية.

٧- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني التخلي عن الحقد والحسد، والبعد عن البغضاء والشحناء.

وفي كل ذلك خلاص المجتمع من آفات عظيمة، وأمراض سقيمة.

٨- أن المجتمع ستأتي عليه اللحظة التي يشعر فيها أنه يستطيع أن يكون على قلب رجل واحد، وهذا من المعاني الطيبة التي تراد في الإسلام.

٩- أن التسابق في الخيرات سيجعل من السهل على المسلمين الذين اجتمعوا من قبل في الخيرات أن يقفوا صفًا واحدًا أمام كل محنة وبلاء.

١٠- سيخلوا المجتمع من البطالين، والعاطلين بعد أن وجد كل منهم طريقه السليم، وعمله الدائم الذي لا يفارقه سواء كان يعمل أولاً، صحيحًا أو مريضًا، فالتسابق في الخيرات قد فتح أمام الكل آفاق أوسع، وأشمل لمعنى كلمة الحياة[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "كيف يكسب ألف حسنة"، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجعه على السؤال والاستفسار، وقد أمر الله تعالى بالسؤال فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

(١) المسابقة إلى الخيرات، مجدي فتحي السيد، ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

"وعلى حامل الرسالة الدعوية أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، محترمًا لأسئلة السائلين ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن، وإذا لم تحضره الإجابة الصحيحة على السؤال فلا يجوز له أن يجيب بغير علم، وليحذر أشد الحذر من ذلك فإن أجاب بغير علم عرّض نفسه للسقوط من الاعتبار والاحترام والتقدير بين الناس، وعرّض نفسه لسخط الله وغضبه"[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح:

حيث جاء في الحديث: "يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة"، قال المباركفوري: "ويحصل الإنسان على ألف حسنة من مائة تسبيحة لأن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها، وهو أقل المضاعفة الموعودة في القرآن، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2]، وفي قوله "وتحط" قال القاري: "كأن المعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه فيحط بعض ويكتسب بعض ويمكن أن تكون أو بمعنى الواو أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما وفضل الله أوسع من ذلك"[3].

قال ابن حجر: (التسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عمّا لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل. ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وجماع معناه)[4].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/ ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/ ٢٤٦٥.

(٤) فتح الباري ١١/ ٢١٠.

وقد جاء عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[1].

ومن فوائد التسبيح أنه يصل المؤمن بربه، ويعمق الإيمان في القلب بالاستحضار الدائم لعظمة الله، ووسيلة قربى إلى الله واستزادة من فيض عطائه، ووسيلة الفقراء في إدراك درجات ثواب الأغنياء، وصدقة على جوارح الإنسان، ومن الوسائل العالية في تحصيل الثواب، والتحلي به يؤدي إلى الجنة والرضوان وفيه كسب لحب الله ومرضاته، ويبقى اللسان رطبًا بذكر الله[2].

وقال الفيروز آبادي: (والتسبيح: تنزيه الله تعالى، وأصله المَرّ السّريع في العبادة. وجُعل ذلك في فعل الخير، كما جُعل الإبعاد في الشرّ، فقيل: أبعده الله. وجُعل التسبيح عامًا في العبادات، قولاً كان أو فعلاً أو نية. وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[3].

وقوله تعالى: "تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن" ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[4]. وذلك يقتضي أن يكون سجودًا على الحقيقة، وتسبيحًا له على وجهٍ لا نفقهه، بدلالة قوله: "ولكن لا تفقهون"، ودلالة قوله: "ومن فيهن" بعد ذكر السماوات والأرض. ولا يصح أن يكون تقديره: يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض، لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله: "ومن فيهن".

والأشياء تسبح وتسجد، بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف أن السماوات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير، من حيث إن أحوالها تدل على حكمة

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١٠٠٣/٢.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

الله تعالى، وإنما الخلاف في السماوات والأرض هل تسبح باختيار، والآية تقتضي ذلك.

وسبحان الله أي تنزيهًا لله من الصاحبة والولد. وهي معرفة ونصبها على المصدر، أي أبرىء الله من السوء براءة، أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته. وسبحان من كذا: تعجب منه. وأنت أعلم بما في سبحانك، أي: بما في نفسك. وسبح تسبيحًا: قال: سبحان الله. وسبوح قدوس - وقد يفتح أولهما- من صفات الله تعالى؛ لأنه يسبح ويقدس.

وتسبيح نبينا محمد ﷺ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1].

وقد ذكر الله تعالى (سبحان) في القرآن في خمسة وعشرين موضعًا، في ضمن كل واحد منها إثبات صفة المدح، ونفي صفة من صفات الذم[2].

(١) أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/١٧٢-١٧٦ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٤)

١٤٣٤- وعن أَبي ذر ﷺ : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ: ((يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وامْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيجْزِئُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول ﷺ أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه ، وقوله (وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٨٤/٧٢٠)، وتقدم برقم (١١٨)، و (١١٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨، ١١٤٢).

الحديث رقم (١٤٣٥)

١٤٣٥- وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقال: ((مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارقْتُكِ عَلَيْهَا؟)) قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: ((سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

وفي رواية الترمذي[3]: ((ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٤٧٩).

غريب الألفاظ:

بكرة: البكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس[4].

مسجدها: موضع صلاتها[5].

---

(١) برقم (٢٧٢٦/٧٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٩).

(٢) لمسلم بعد حديث رقم (٢٧٢٦/٧٩، بدون رقم). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٣) برقم (٣٥٥٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٤) المعجم الوسيط في (ب ك ر).

(٥) اللسان في (س ج د).

أضحى: دخل في وقت الضحى[١].

لوزنتهُنَّ: لفاقتهُنَّ في الوزن[٢].

مِدادَ كلماتِه: مثل عددِها وكثرتها؛ وقيل: قَدْرَ ما يُوازيها في الكثرة عِيارَ كيلٍ أَو وزن أَو عَدَد أَو ما أَشبهه من وجوه الحصر والتقدير؛ قال ابن الأَثير: وهذا تمثيل يراد به التقدير لأَن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن وإِنما يدخل في العدد[٣].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، ويحكى بأحداثه مدى حرص الثلة الطاهرة من أصحاب النبي ﷺ على كل خير أخروي مهما كان بسيطا كحرصنا اليوم على كل خير دنيوي، مهما كان بسيطا، فأم المؤمنين جويرية بنت الحارث ظلت على حالة الذكر لله حتى أضحت، وعاد النبي ﷺ فوجدها على حالها، فسألها إيناسا لها، وتلطفا بها، وتمهيدا لتعليمها المزيد لما وجد عندها من شدة الحرص على ما يقربها من الله تعالى : (ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها؟) ثم يُلقى على سمعها جملا من التشويق تبعث في نفسها الطامحة علامات الترقب، وتبلغ بدرجة الانتباه لديها منتهاها (لقد قلت بعدك كلمات - ثلاث مرات - لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن - سبحان الله، وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) وأي شيء يساوى عدد خلق الله؟ أو يبلغ رضى نفسه، أو يزن عرشه، أو يبلغ مداد كلماته، قال النووي: قوله : (مداد كلماته) قال: العلماء: واستعماله هنا مجاز؛ لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد، ولا غيره، والمراد: المبالغة به في الكثرة؛ لأنه ذكر أولا ما يحصر العدد الكثير من خلق الله، ثم زنة عرشه، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك، إنها كنوز هي نفسها مثال لبساطة العمل في انبساط

---

(١) النهاية في (ض ح ى)، ودليل الفالحين ١٤٩٦.

(٢) الوسيط في (و ز ن).

(٣) النهاية واللسان في (م د د).

لثواب غير محدود للأجر، وعلى الجملة: فإن باب الذكر من أيسر الأبواب مؤنة؛ وأعظمها ثواباً.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

الحديث دليل على فضل هذه الكلمات، وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

أولاً - من ميادين الدعوة: المسجد:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، مما لا شك فيه أن المسجد من أهم ميادين الدعوة لأنه مكان العبادة اليومية والصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٣)، وحرص الرسول ﷺ على بناء المساجد فعند وصوله المدينة المنورة مهاجرًا كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء وما إن حطت رحاله داخل المدينة إلا وبدأ في إقامة مسجده الشريف بل وشارك ﷺ مشاركة فعلية في بناء المساجد.

قال د. البوطي: "فقد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة

---

(١) سبل السلام ٤/٣٧٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين، الأنصار والمهاجرين الذي جمعتهم المدينة المنورة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر: بناء المسجد.

ولا غرو ولا عجب، فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما كان يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه. وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين. ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميًا، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم.

إن من نظام الإسلام وآدابه، أن تشيع روح المساواة والعدل فيما بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم. ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن يتم ما لم يتلاق المسلمون كل يوم صفًا واحدًا بين يدي الله عز وجل، وقد وقفوا على صعيد مشترك من العبودية له، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد جلّ جلاله، ومهما انصرف كل مسلم إلى بيته يعبد الله ويركع له ويسجد دون وجود ظاهرة الاشتراك والاجتماع في العبادة، فإن معنى العدالة والمساواة لن يتغلب في المجتمع على معاني الأثرة والتعالي والأنانية.

وإن من نظام الإسلام وآدابه، أن ينصهر أشتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه، ولكن ما لم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بهما عن معرفة وعلم، فإن وحدتهم تؤول إلى شتات، وسرعان ما تفرقهم عن بعضهم الشهوات والأهواء.

فمن أجل تحقيق هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة، أسرع رسول الله ﷺ قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد"[1].

---

(١) فقه السيرة ٢١٣ - ٢١٤.

ومن خلال هذا يتضح أن المسجد ميدان هام من ميادين الدعوة، "إن المسجد مكان عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح والعبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وأخراه، ومن المسجد تحصل منافع كثيرة لدعوة الإسلام من خلال الحصول على العلم وطلبه، وتحقيق الإخاء والمحبة من خلال التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد، والبلاغ عن الدين لمن يأتي إلى المسجد وتعليم القرآن والحديث وإعداد الدعاة الذين يحملون الدعوة لناس كافة"[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: "وأما بناء المساجد وعمارتها ووظائفها فإنه يجب بناء المساجد في الأمصار والقرى والمحال -جمع محلة- ونحوها حسب الحاجة وهو من فروض الكفاية.

والمساجد هي أحب البقاع إلى الله تعالى في الأرض وهي بيوته التي يوحّد فيها ويعبد، يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[2].

قال ابن كثير: "أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها. كما قال ابن عباس: نهى الله سبحانه عن اللغو فيها، وقال قتادة: هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها و عمارتها ورفعها وتطهيرها. وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: مكتوب في التوراة ألا إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر"[3].

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ))[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْمَسَاجِدِ أَنْ تُبْنَى فِي الدُّورِ،

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ١٩٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٢٢.

وَأَنْ تُطَهَّرَ وَتُطَيَّبَ))[1].

وقد بنيت المساجد لذكر الله والصلاة فيها كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: ((إنَّ هذهِ المساجدَ لا تَصلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هِيَ لِذِكْرِ الله تَعَالَى والصلاةِ وقراءَةِ القرآنِ))[2]. فهي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه [3].

وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4].

ولذا يستحب لزومها والجلوس فيها لما في ذلك من إحياء البقعة وانتظار الصلاة، وفعلها في أوقاتها على أكمل الأحوال"[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه:

حيث جاء في الحديث: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)، وهذا ذكر له وثناء عليه سبحانه وفي هذا فضل كبير وأجر عظيم.

قال النووي: "والمراد بـ (مداد كلماته) مثلها في العدد، وقيل: مثلها في أن لا تنفد، وقيل: في الثواب، قال العلماء: واستعمله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره والمراد: المبالغة به في الكثرة لأنه ذكر أولاً ما يحصره العد الكثير من عدد

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٥٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٩٣/٣.

(٤) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٩٥/٣٧ - ١٩٦.

الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أي ما لا يحصيه عد، كما لا تحصى كلمات الله"[1].

وقال المباركفوري: "والحديث دليل على فضل هذه الكلمات وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور ولا يتجه أن يقال: إن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله وأرشدهم ودلهم عليه تخفيفًا لهم وتكثيرًا لأجورهم من دون تعب ولا نصب"[2]، وقال تعالى في فضل الذاكرين: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

هذا والواجب على المسلم أن يكثر من ذكر الله تعالى، "ولقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا وينفث شذى، تغمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس.

ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته، وأكد لهم ذلك بقوله وفعله، فكان أعظم الناس ذكرًا، وأشدهم دعاء، وأكثرهم ثناء، فسار الصالحون على نهجه، واقتفى العُباد أثره، فأثمر الذكر في حياتهم، وارتفعت به درجاتهم، وعظمت مكانتهم.

لقد كان كثير من العباد بمجرد أن يسمع أحدهم ذكر خالقه يرتجف خوفًا ويطرب شوقًا لسماع الحبيب:

وَداعٍ دَعَا إذْ نَحْنُ بِالخَيْفِ مِنْ مِنىً ... فَهَيَّجَ أَطْرابَ الفُؤادِ ولَمْ يَدْرِ

دَعَا باسْمِ لَيْلَى غَيْرَها فكأنَّما ... أطَارَ بلَيْلَى طائِرًا كانَ في صَدْرِي

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٦٠١.

(٢) تحفة الأحوذي ٢٥٠٥/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

وقال الربيع بن أنس عن بعض أصحابه: علامةُ حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره.

وقال فتح الموصلي: المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

وقال ذو النون: من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل إلا أفاد منه حب الله، وكان بعض السلف يقول في مناجاته: إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأما فلسفة الذكر: فليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصر على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا هم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. وقال بعض السلف: ليس الذاكر من هَمْهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقًا ولم يعط إلا حقًا.

يا طول حزن الغافلينا ... عن ذكر رب العالمينا
يا همضمهم يومًا يرون ... ثواب ذكر الذاكرينا
ستطول حسرتهم لما ... كانوا به متشاغلينا
يتحسرون على فوات ... من فعال الطائعينا
يا حسرة يصلون ... جمرتها خزايا نادمينا [1]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، قال ابن عبدالبر: "هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ، زوج النبي ﷺ سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع وهو غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها وكانت امرأة جميلة، وكان اسمها برة فغير رسول الله ﷺ اسمها وسماها جويرية"[2].

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٢٣٤ - ٢٤٣ بتصرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٨٠.

وقال ابن الجوزي: "تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية ست وخمسين وهي بنت خمس وستين"[١].

وقال ابن حجر: "ولما تزوجها رسول الله ﷺ قال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، قالت عائشة رضي الله عنها: "فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها، وروت جويرية عن النبي ﷺ أحاديث"[٢].

قال محب الدين الطبري: "تزوجها النبي ﷺ، وكانت قبله تحت مُشافع بن صفوان -المصطلقي- وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس -الأنصاري- في غزاة بني المصطلق، فكاتبها. وعن ابن شهاب قال: سبى رسول الله ﷺ جويرية يوم "المريسيع" فحجبها وقسم لها. قال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة. قال غيره: وهي ابنة عشرين سنة[٣].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَقَعَتْ جُوَيْرِيةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، أو ابنِ عَمّ لَهُ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ))[٤].

ولقد كانت رضي الله عنها أصغر سنًا من رسول الله ﷺ، وُلِدت جويرية في السنة التاسعة قبل الهجرة (٦١٠م) فهي أصغر سنًا من رسول الله ﷺ بأربع وأربعين سنة.

تزوجت جويرية في سن مبكرة من عمرها، وهي في منتصف العقد الثاني من عمرها، وكان زواجها من مسافع بن صفوان أحد فتيان خُزاعة.

وبعد أن سبيت في غزوة بني المصطلق وتزوجها رسول الله ﷺ عاش رسول

---

(١) صفة الصفوة ١/٣٦٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ص ١٦٦٠.

(٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، الإمام محب الدين الطبري، اعتناء وتعليق عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٣٥-١٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٣١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٧).

الله ﷺ مع جويرية رضي الله عنها خمس سنوات، ثم انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. وعاشت هي بعده راضية مرضية مُنعمة عند الجميع مدة خمس أربعين سنة إذ توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في المدينة المنورة، وصلّى عليها أمير المدينة يومذاك مران بن الحكم.

وروى الحديث عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وجابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، وروى عنها من بعدهم: كريب مولى عبدالله بن عباس، ومجاهد، والطفيل ابن أخيها، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي"[1].

---

(١) انظر: أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، محمود شاكر، ط١ المكتب الإسلامي، ص ١٨١-١٩٠ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٦)

١٤٣٦- وعن أبي موسى الأشعري ﵁، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**)). رواه البخاري[1].

ورواه مسلم[2] فَقَالَ: ((**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**)).

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بينت الأحاديث السابقة فضل الذكر، ورغبت فيه، وأشارت إلى عظمة الأجر الذي يترتب عليه مع قلة الكلفة، وهذا الحديث يقرر أثر الذكر على قلب الإنسان، ويقوم المعنى على أسلوب التشبيه الذي يشبه الذاكر لربه بالحي، والذي لا يذكره بالميت، وحاصل الصورتين تشبيه الذكر بالروح، لأنها الفارقة بين الحي، والميت، وبها كل حركة الحي مما يشير إلى أهمية الذكر في حركة القلب، والذي يحرك بدوره الجوارح في طاعة الله ، وتشبيه الذاكر بالحي يشير إلى النفع، والنصرة، والإفادة بعكس الميت الذي لا يفيد ولا ينفع بل لا يزيده البقاء إلا نتنا ، وإيذاءً لمن حوله كما أنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه عادية عادٍ، وفائدة التشبيه بالميت، والحي الترغيب في الذكر، والترهيب، والتنفير من تركه، وفي الرواية الثانية تشبيه للبيت الذي يذكر الله فيه، والذي لا يذكر فيه بالحي، والميت (مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)، والبيت لا يوصف بالحياة، والموت حقيقة، والذي يوصف بهما هو الساكن فيكون هذا من قبيل المجاز بذكر المحل، وإرادة

---

(١) برقم (٦٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

(٢) برقم (٧٧٩/٢١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

الحال ، ووجه الشبه بين الذاكر، والحي الاعتداد به والنفع، والنصرة، ونحوها، وبين تارك الذكر، والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن، وهو تنفير من عدم ذكر الله في البيوت؛ لأن الذكر يطرد عنها الشيطان، وتعمها السكينة من الملائكة الطوافون الذي يلتمسون حلق الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال الطيبي: "وأما قوله: (مثل الذي يذكر ربه) شبه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، وبالتصرف التام فيما يريد، وباطنه منوّر بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مزين ظاهره بنور العمل والطاعة، وباطنه بنور العلم والمعرفة، فعليه مستقر في حظيرة القدس، وسره في مخدع الوصل، وغير الذاكر عاطل ظاهره، وباطل باطنه"[1].

وأسلوب ضرب المثل من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى إلى المدعو، "ومن أغراض ضرب المثل تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، والإقناع بفكرة من الأفكار، والترغيب بالتزيين والتحسين أو التنفير بكشف جوانب القبح، ومن أغراضه أيضًا شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر"[2].

وأسلوب ضرب المثل يقنع المدعو فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٢٢/٤.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١١٩ - ١٢٠.

الحسية، "إن ضرب المثل يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم وهو يحرك العواطف والوجدان فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات"[1].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب ضرب المثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال ابن حجر: "والمراد بالذكر هنا: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها والذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل.

فإن انضاف إلى ذلك استحضار معني الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائض عنه ازداد كمالاً فإن وقع ذلك في عمل صالح مهمًا فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقد وقع في رواية مثل البيت، وإطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت"[3].

وقال ابن علان: "وفي التعبير بقوله: (يذكر ربه)، بعث على الذكر والرمز إلى الذم لمن تركه"[4]، قال العيني: "وجه التشبيه بين الذاكر والحي الاعتداد به والنفع أو

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١ – ٢١٤ بتصرف.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٤٩٧.

النصرة ونحوها وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن"[١].

قال ابن القيم: "في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته، والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل"[٢].

وقال ابن القيم أيضًا: "والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به من قطع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب...، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه مجلؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون..، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلال، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتتقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٣/٢٧.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ضمن مجموعة الرسائل النجدية ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

الصماء، واليد الشلاء"[١].

وقلب المؤمن العامر بذكر الله هو قلب فيه من نور الله ما يباعد بينه وبين المعاصي، قال أبو الفرج بن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾[٢]، قال: "مثل ضربه الله المولى البصير السميع لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة في القرآن من نور الملك الرحمن، فقال خالق الطول والعرض، الذي عبد بالنوافل والفرض: (الله نور السماوات والأرض)، أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السماوات والأرض.

ثم قال تبارك وتعالى: (مثل نوره) يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين (كمشكاة) يعني قلب المؤمن، والمشكاة هي الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج لا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذًا فتكون الكوة أكثر نورًا مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن.

ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروبا مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السماوات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام. فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله في كتابه العزيز. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

---

(١) مدارج السالكين ٢٥٨/٣ – ٢٦٠ بتصرف.

(٢) سورة النور، آية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١]، فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدي إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه. فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئًا من المنكرات، ولا يضيع شيئًا من الطاعات"[٢].

ويتضح من خلال ما سبق فضل ذكر الله وأن العبد يثاب عليه بالأجر العظيم، والثواب الكبير، وإذا ما كان الذكر سهلاً على اللسان غير مجهد للأبدان فالواجب على العبد أن يستحضر عظمة وجلال الله حين ذكره فلا يكون قلبه - مع ذكر لسانه - غافل ساهٍ لاهٍ.

قال أبو حامد الغزالي: "فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان، وقلة التعب فيه، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟ فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة.

والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة، أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى. وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضًا قليل الجدوى.

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية، وللذكر أوّل وآخر؛ فأوّله يوجب الأنس والحب لله وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الأنس والحب.

فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

ذكر الله عز وجل. فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور. ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في العادات أن تذكر غائبًا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أوّلاً صار مضطرًا إلى كثرة الذكر آخرًا بحيث لا يصبر عنه.

فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره. ومن أكثر ذكر شيء -وإن كان تكلفًا- أحبه. فكذلك أوّل الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخرًا فيصير الموجب موجبًا والثمر مثمرًا. وهذا معنى قول بعضهم. كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب. ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا. فكيف يستبعد هذا؟ وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أوّلاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقًا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف. هي النفس ما عوّدتها تتعوّد.

أي: ما كلفتها أوّلاً يصير لها طبعًا آخرًا. ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل. فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل، ولا يبقى بعد الموت عائق؛ فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعًا فيه عما به أنسه. وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء. رذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل؟ فإنه لم يعدم عدمًا يمنع الذكر بل عدمًا من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت.

ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة، لأن المطلوب الخاتمة ونعني

بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره. فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقًا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال. فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته، وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى.

ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة. فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه. فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا. وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه. فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة" [١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو في الطاعة والاستقامة.

قال ابن رجب: "لقد كانت مجالس النبي ﷺ مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب فكانت تلك المجالس توجب لأصحابه ﵃ رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ورقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه" [٢].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٥٤٧ - ٥٤٩ بتصرف.

(٢) لطائف المعارف ص ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٤٣٧)

١٤٣٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((يقول الله تَعَالَى: انا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إذَا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي فِي ملأٍ ذَكرتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الملأ الأولى: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرجع إلى قولهم، والملأ الثانية: الملائكة المقرون[2].

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ) ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (يقول الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني ؛لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، وقوله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) ترغيب في حسن الظن بالله؛ لأنه سيعامله بمقتضى ظنه فيه، وإضافة العبد إليه تشريف للعبد، ووصفه بالعبودية فيه مزيد تشريف، وقوله (وَأَنا معه إذا ذكرني) يشير إلى أن الذاكر لله في معيته، وأكرم بها من معية! -مما يعني أنه في تمام الأمان، لا يقربه شيطان، وقوله (فإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) أسلوب شرط يربط ذكر الله للعبد بذكر العبد لله فعلا، وهيئة وأسلوب الشرط هنا له بعد نفسي لأن يجعل يشعر العبد بأن ذكره عند الله مرتبط به هو، وبفعله ويلمح له بأنه إن نسي ذكر الله ينساه الله

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥/٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٦) بتمامه.

(٢) النابة في (م ل أ).

من رحمته، وقوله (وإنْ ذَكَرني في ملأ ذَكرتُهُ في مَلأ خَيْرٍ مِنْهُمْ) وهي جملة شرط ثانية تؤكد ربط ذكر لله للعبد في الملأ الأعلى بذكر العبد لله في ملأ في الأرض، وهو ما يرغب العبد في ذكر الله على حال حتى يحظى بمعية الله، وفضله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى:

إن حسن الظن بالله تعالى طريق موصل إلى الجنة ومرضاة الله واستحقاق ثوابه، إذ أن حسن الظن بالله دليل وبرهان على كمال الإيمان وحسن الإسلام وهو برهان على سلامة القلب وطهارة النفس. إذ أن حسن الظن بالله لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله تعالى ومدى مغفرته ورحمته[1]، وقد ورد في الحديث بيان ما لحسن الظن بالله تعالى من فضل وعطاء، فقال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"، قال ابن حجر: أى قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه، بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر، وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده"[2].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٢) فتح الباري ٣٩٧/٣.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي ترشد وتدعو إلى إحسان الظن بالله تعالى منها ما روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[١].

وعن حيان بن أبي النضر قال: «دخلت مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي في مرضه الذي مات فيه فسلم عليه وجلس قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود: وأشار برأسه أي حسن، قال واثلة: أبشر إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[٢].

وإحسان الظن بالله دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وبرهان على سلامة القلب وطهارة النفسي ولا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته وهو طريق موصل إلى الجنة"[٣]، ولله در أحمد بن العباس النمري، حين قال:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع[٤]

لقد غرس الإسلام في نفس المؤمن حسن الظن بالله تعالى، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليأمر المسلم وهو يدعو ربه أن يعزم في الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ. اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ. فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ » وفي لفظ «وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المسألة وَلْيُعظِمِ الرَّغْبَةَ، فإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أعْطاهُ))[٥].

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعظم في نفس الصحابة رضي الله عنهم جانب حسن الظن بالله تعالى مبينًا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٢) أخرجه أحمد ٤٩١/٣، رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٢٩٨/٢٥، والدارمي ٢٧٣١، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٦).

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٤) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٣٩، ومسلم ٢٦٧٩ واللفظ له.

لهم أن الله تعالى أرحم بخلقه من الأم بولدها، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ على النبيِّ ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثَديَها تَسقي، إذا وَجدَت صَبيًّا في السبي أَخَذَته فألصَقَته ببَطنها وأرضَعَتْه. فقال لنا النبيُّ ﷺ: أتُرَونَ هذهِ طارحةً وَلَدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تَقدِر على أن لا تَطرَحهُ. فقال: اللّهُ أرحمُ بعبادِه من هذهِ بولَدِها»[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

لقد جاءت النصوص الكثيرة المبينة لفضل ذكر الله تعالى وبيان أن فضل ذكر الله وعطاء الله للذاكر من جنس عمله وعلى قدر نيته.

إن الإنسان إذا ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله في نفسه وإن ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ، يعني إذا ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسانك سرًا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك؛ فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملأ أي: عند جماعة، فإن الله تعالى يذكرك في ملأ خير منهم، أي في ملأ من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثني عليك جل وعلا. ففي هذا دليل على فضيلة الذكر، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه؟ إلا أن يخاف الإنسان على نفسه الرياء، فإن خاف الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول: إذا ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فلا أذكر الله. فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عز وجل كما ذكر ربّه[2].

وجاء ذلك في الحديث في قوله عز وجل: وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" أى إن ذكرني بالتنزيه والتقديس ذكرته بالثواب والرحمة، وقال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩ واللفظ له، ومسلم ٢٧٥٤.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٢٣.

مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[1]، قال الحسن البصري أي: اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[2].

قال القاضي عياض: (وقوله: "أنا عند ظن عبدي بي": قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني والقبول إذا أناب إلي والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوى يقينه. قال القابسي: يحتمل أن يكون تحذيرًا مما يجري في نفس العبد، مثل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[4]. وقال الخطابي في قوله: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله" يعني: في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون من الرجاء وتأميل العفو[5].

ويبين ابن القيم فضل الذكر ومنزلته وأهميته، فيقول: والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم التي متى فارقهم انتكست منه القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحيانًا فننتكس[6]

ثالثًا - من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه:

جاء في الحديث بيان فضل ذكر الله وأنه سبب لمعية الله للعبد وذكره له، يقول

---

(١) سورة البقرة، آية : ١٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٦٥/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٥) إكمال المعلم ١٧٢/٨.

(٦) مدارج السالكين ٤٥١/٢.

الله تعالى: "وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"، وفي ذلك حث وترغيب في الإكثار من ذكر الله تعالى، وقد جاءت الآيات والأحاديث في الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[١].

أى اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد (ذكرًا كثيرًا) أي يعم الأوقات والأحوال. في الليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغني والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي في أول النهار وآخره، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل. لأن ذكره وتسبيحه، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال[٢].

والتسبيح من جملة الذكر. وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة، ليتبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته، عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال. ومثال فضله على غيره من الأذكار، فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي، والطهر من أرجاس المآثم، على سائر أوصافه، من كثرة الصلاة والصيام، والتوفر على الطاعات كلها. ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره، تكثير الطاعات والإقبال على العبادات. فإن كل طاعة وكل خير، من جملة الذكر. ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا. وهي الصلاة في جميع أوقاتها. لفضل الصلاة على غيرها[٣].

ومدح الله عباده المؤمنين، بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٢) محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٨/١٣/٢٧٨.

(٣) الكشاف، الإمام الزمخشري، ٨٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

يَعْذِر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[1]، بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، ترغيبًا في إحسان الظن بالله، وترغيبًا في ذكره تعالى، وبيان أن ذلك سبب لمحبة وذكر الله تعالى لعبده، ويقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". وفي ذلك ترغيب في الذكر أيما ترغيب، إن ذكر الله تعالى أفضل أحوال العبد، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3]، وهو سبب من أسباب طمأنينة القلوب وإثلاج الصدور، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[4].

وإن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وكذلك بما يصيب المدعـوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم[5]، ومن أدلة ذلك قـوله تعـالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[6].

---

(1) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(2) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٣٢/٦.

(3) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(4) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(5) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧، ٤٣٨.

(6) سورة النور، آية: ٥٥.

فالترغيب من أوفق الأساليب الدعوية لما جبلت عليه النفس البشرية من حب ورغبة في السعادة وصلاح الأمر ودفع للإنسان إلى طلب أسباب النجاة والتمسك بها، قال ابن القيم: قال صاحب المنازل أبو إسماعيل الهرويّ: الرغبة هي من الرجاء بالحقيقة لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، والرغبة سلوك على التحقيق، أي الرغبة تتولد من الرجاء لكنه طمع، وهي سلوك وطلب[1].

(١) مدارج السالكين ٢/٥٨.

الحديث رقم (١٤٣٨)

١٤٣٨- وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ)) قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ يَا رسولَ الله قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتِ)). رواه مسلم[1].

وَرُوي: (المُفَرِّدُونَ) بتشديد الراء وتخفيفها والمشهُورُ الَّذي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْديدُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول سبق الذاكرين لله لغيرهم من الغافلين ترغيبا في اللحاق بركبهم، ويقوم المعنى في الحديث على سؤال، وجواب، والحق أن مبعث السؤال هو أسلوب النبي ﷺ التعليمي الراقي الذي يلقى على أسماعهم اللفظ الغريب غير المفهوم لديهم فيستخرج به أسئلتهم، ويجيب عنها. - ولكن بعد أن يثير فضولهم ويجذب انتباههم ويضمن إصغائهم حتى إذا ما ألقى الخبر ألقاه، وقد مهد له تربة أفئدتهم؛ فينبت فيها، ويثمر، وهذه إحدى وسائل التشويق في حديثه الشريف.، وقوله (سبق المفردون)، وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقولهم: (وما المفردون) قال البيضاوي: ولما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لأنهم أرادوا تفسير اللفظ وبيان ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به، وتعريف أشخاصهم فعدل في الجواب عن بيان اللفظ إلى حقيقة ما يقتضيه توقيفا للسائل بالبيان المعنوي على المعنى اللغوي إيجازا فاكتفى فيه بالإشارة المعنوية إلى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية، وقوله (الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيراً والذَّاكِرَاتِ) وفيه إيجاز بالحذف أي هم الذاكرون. .. والتقييد بالكثرة إلى أن الذي يستحق هذه الصفة هو من أكثر من الذكر، وداوم عليه.

---

(١) برقم (٢٦٧٦/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٦) بتمامه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدون، قالوا: وَما المُفَرِّدونَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ))، قال النووي: وأصل المفردون الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقال ابن الأعرابي، يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي، وقد فسرهم رسول الله ﷺ. في الحديث بالذاكرين الله كثيرا والذاكرات"[١]، فسبقوا إلى مرضاة المولى والدرجات العلى والشهود الأكمل والحال الأفضل[٢]، وبين الحق تبارك وتعالى أن ذكر الله من صفات عبادة المؤمنين وأنها من الصفات التي يجزى عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣]، قال مجاهد: لا يكون ذاكرًا لله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا[٤]، أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيما أى هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا

(١) شرح صحيح مسلم، ص ١٥٨٤.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج١٤/٧/١٨٦.

عظيما وهو الجنة[1].

إن ذكر الله تعالى يولد الطمأنينة في القلب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]. وسبب لذكر الله للإنسان، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3].

وبين الله تبارك وتعالى أن الذكر سبب للنجاة من الضيق والشدة، وذكر مثلاً لذلك بما حدث ليونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4].

وجعله الله عز وجل من أسباب النصر والفلاح عند اللقاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

وجاء في السنة النبوية أن أهل الذكر من أهل السبق، كما جاء في الحديث: "سبق المفردون، قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات".

وبين النبي ﷺ أن ذكر الله يجلب الملائكة والرحمة والسكينة روي عن الأغر أبي مسلم، قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[6][7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٢١/٦.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٧) انظر: رياض الدعاة والمصلحين، بهاء الدين عقيل، د. عبدالعزيز مصطفى، ٢٩٧-٣٠٢.

إن ذكر الله له من الفضائل والثواب ما لا ينكره أحد، وبالجملة فإن ذكر الله سبب للفلاح وتركه سبيل الخسران، بل إن الله سبحانه ليعلق الفلاح على استدامة ذكره وكثرته، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. وأخبر سبحانه بخسران من غفل عن ذكره ولهى عنه بغيره، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله "قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات"، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة وذلك لعدة أسباب منها:

أ- أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على الفهم، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه.

ب- أن طارحي الأسئلة إذا كانوا لا يعانون من مشكلة ولكن يريدون اكتساب معرفة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك.

فيجب على الدعاة أن يستثمروا هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن لما في ذلك من فائدة ونفع ونشر للمعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[3].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين وترغيبهم من الإكثار من ذكر الله

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١/٥٨-٦٢.

تعالى، وذلك ببيان فضله وأثره، كما جاء في الحديث من بيان أنه سبب لمحبة وذكر الله له، " وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" إضافة إلى ما في الذكر من ارتباط العبد بربه ومراقبته وقربه من الله تعالى، ويورث الهيبة والإجلال لله تعالى فيبتعد عن المعاصي والآثام، وقد ذكر ابن القيم ثمان وسبعين فائدة، منها أنه يطرد الشيطان ويقمعه، ويرضى الرحمن عز وجل وأنه يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويجلب الرزق إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[1].

وقد وردت هذه المعاني في كثير من آيات القرآن، وبيان أن أهل الذكر هم أهل الانتفاع بآيات الله وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[2][3].

ومما يدل على أهمية الذكر أن الله سبحانه قرنه بكل عبادة ورغب فيه بعد الفراغ من كل عبادة كالصلاة والحج وغيرهما، فعن الصلاة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]. وعن الحج قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[5].

بين ابن القيم أهمية الذكر وأنه لا يقتصر عند مجرد تحريك اللسان بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الحياة وكل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال فيقول،

---

(١) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، الإمام ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، السعودية ط١، ١٩٨٩، ص ٨٣-١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٤٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

ومنزلة الذكر هي: منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل؛ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا : ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا ، به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[1].

قال ابن حجر: والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك

(١) مدارج السالكين، ٢/٤٤٠، ٤٤١.

والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحَّ التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرا فقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]. ونقل عن بعض العارفين قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء[2].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٢) فتح الباري ١١/٢١٢، ٢١٣.

الحديث رقم (١٤٣٩)

١٤٣٩- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقولُ: ((**أفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وتوحيده، وحده وسخر لهم الكون كله يعينهم على أداء المهمة، وهو معهم مسبح لله على وجه يعلمه الله، وعبارة التوحيد هي بوابة الدخول في الإسلام لأنها تحقق غرض العبودية الذي خلق من أجله الخلق، فقوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) هي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، ، وهذا ما أكده هذا الحديث بأسلوب التفضيل بأفعل مع دلالة الكلمة على الأفضلية بمدلولها مع صيغتها، وإضافتها للذكر تعطيها بعدا إيحائيا يرتقي بها قمة الكلم الطيب، والباقيات الصالحات من الكلمات لما تضمنت من معانٍ.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله.

---

(١) برقم (٣٣٨٣). وقال: حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٤٦)، وقال الحاكم (١/٥٠٣): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٥٨).

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى:

إنَّ من أهم صفات الداعية الواجب التحلي والاتصاف بها التبيين والتوضيح، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]،[2]، ومن ذلك الإيضاح الواجب ما جاء في الحديث من البيان والإيضاح لأفضل أنواع الذكر في قوله ﷺ "أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إن البيان والإيضاح أهم المؤهلات اللازمة للداعية، التي تؤهله للقدرة على الدعوة والقدرة تشمل البيان باللسان والشجاعة النفسية الأدبية، إذ كثير من الناس يعوزهم البيان وتنقصهم الجرأة[3].

إن البيان والإيضاح وإقناع المدعوين بما يلقيه الداعية على المدعوين من الأهمية بمكان.

إن القيام بأعباء الدعوة من البيان والإيضاح والإقناع وما شاكل ذلك يستلزم أن يكون عند الداعية من قوة البيان وفصاحة اللسان ما يمكنه القيام بدعوته خير قيام وإلا كان النفع بعيدًا فإن مدار الأمر على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبين كان أقوى وأجمل. كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد وأكمل. وقد سألها موسى عليه السلام ربه حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته. فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه، والحُبسة التي كانت في بيانه ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾[4]. الحُبسة بالضم تعذر

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٨.

(٣) مرشد الدعاة، الشيخ، محمد نمر الخطيب، ٧٩، ٨٠.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

الكلام عند إرادته. وقال: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾[1]، وقال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾[2]، رغبة منه عليه السلام في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة. لتكون الأعناق إليه أميل. والعقول عنه أفهم. والنفوس إليه أسرع. فإن خصمه فرعون كان مشاغبًا سبابًا مذهب كل جاحد معاند. وشأن كل مختال مكايد، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[3]. أي ضعيف حقير لا يكاد يبين الكلام. قال افتراءً عليه وتنقيصًا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام؛ من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾[4].

وذكر الله عز وجل عظيم منته في تعلم البيان. وجميل نعمته في تقويم اللسان. فقال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[5]. أي مكنه من التعبير عما في ضميره لإفهام الغير، كما مكنه من فهم بيان غيره، وضرب لنا مثلاً لعي اللسان ورداءة البيان حيث شبه أهله بالنساء والولدان فقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[6].

أي: أو جعلوا له تعالى من شأنُهُ أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى أمره بنفسه وهو مع هذا القصور في الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه إنسان في العادة غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه لقبح ما يحدث عن العي

---

(١) سورة القصص، آية: ٣٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٣.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٥٢.

(٤) سورة طه، آية: ٣٦.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤.

(٦) سورة الزخرف، آية: ١٨.

من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة، وأصل البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى. والعي صد البيان والحصر كالفرح ضيق الصدر عند النطق؛ وبالجملة فقوة البيان وفصاحة اللسان من جلائل نعم الله تعالى على الداعي، بهما يملك القلوب، وبهما يؤثر في الأرواح[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله:

جاء في صريح الحديث أن لا إله إلا الله أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنها أجمع للقلب مع الله وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث النفس وأطرد للشيطان[2]، لذا كانت "لا إله إلا الله من أحب الكلمات إلى الله تعالى"، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الكلام إلى الله أربع: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت"[3].

إن أفضل الكلمات كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" إذ أن هذه الصيغة جامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلهية لله تعالى، فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر، وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النفي والإثبات ولا انضمام لفظ آخر.

إن كلمة "لا إله إلا الله" أبلغ الألفاظ في إثبات الوحدانية لله تعالى ونفيها عمن سواه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الخصائص واللطائف لكلمة "لا إله إلا الله" منها:

أ- أنه بدأ فيها بالنفي، وأهل المعاني يقولون في ذلك إنما بدأ بالنفي لأن النفي تفريغ القلب فإذا كان خاليًا كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه، وإشراق نور الله تعالى عليه.

---

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ٩٧، ٩٨.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢١٣٧.

ب- أن قول لا إله إلا الله فيه خاصيتان:

إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين.

الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

وفي ذلك أيضًا إشارة إلى من قالها بحق وعمل بمقتضاها وداوم عليها لا يبقى على قلبه نقطة من سواد الكفر والذنوب. قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[(١)(٢)].

ثالثًا- من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله:

من آداب المدعو ملازمته والإكثار من ذكر الله تعالى، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[(٣)]، وأفضله لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" وهي خير الأقوال، كما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ. قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[(٤)]، قال الطيبي: قال بعض المحققين إنما جعل التهليل أفضل الذكر، لأن لها تأثيرًا على الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في باطن الذكر، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[(٥)]، فيفيد نفي عموم الإلهية بقوله "لا إله" ويثبت الواحد بقوله: "إلا الله" ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قالبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه، وجد حلاوة هذا من ذاق"[(٦)].

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) انظر: معنى لا إله إلا الله، الإمام بدر الدين الزركشي، ص: ٨٨-٩٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٤) أخرجه الترمذي، ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (الصحيحة، ١٥٠٣، وصحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٧).

(٥) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٩/٥.

لذا ينبغي على الذاكر استحضار معاني الذكر ومرامي ألفاظه، قال ابن القيم وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده[١].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي عن فضل قول "لا إله إلا الله": وأما التهليل وحده فإنه يصل إلى الله من غير حجاب بينه وبينه، وخرّج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما قال عبد: "لا إله إلا الله" مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر[٢].

وقال أبو أمامة: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش وورد أنه لا يعد لها شيء في الميزان كما جاء في حديث البطاقة، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي، عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فينشرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وتسعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظونَ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[٣].

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا

---

(١) الفوائد ٢٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٣٩ ، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٢١٣/٢ ، رقم ٦٩٩٤ ، وقال محققو المسند إسناده قوي ٥٧١/١١.

يعقل؟، ثم قال: إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن، لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر، قال: قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمص الناس»[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في قول "لا إله إلا الله" بتصريحه أنه أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إنها كلمة إن قالها الإنسان بصدق ويقين رزق الجنة ونجي من النار فقد بشر رسول الله ﷺ من قالها موقنًا بالجنة وتحريم الله له على النار.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٠/٢، رقم ٦٥٨٣، وقال محققو المسند إسناده صحيح ١٥١/١١.

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لاِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لاِسْتِي. قَالَ: ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: يَا عُمَرُ! مَا حَمَلك على ما فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: فَخَلِّهِمْ»[1].

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النبيَّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ـ قال: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ. قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيكَ. قال: يا مُعاذُ. قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيك (ثلاثًا). قال: ما مِنْ أَحَدٍ يَشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأن محمدًا رسولُ اللّهِ، صِدْقًا مِن قَلبِه إلاّ حرَّمهُ اللّهُ عَلَى النَّار. قال: يا رسولَ اللّهِ أَفَلا أُخبِرُ بهِ النّاسَ فيَستَبْشِروا؟ قال: إذًا يَتَّكِلوا. وأخبرَ بها مُعاذٌ عندَ مَوتِه تَأثُّمًا»[2].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوة نفعًا وأشدها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في العبادة والعمل الصالح مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[3].

ومما يدل على أهمية الترغيب في الدعوة إلى الله أن ما جاء به الشرع الحنيف كله

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

-بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[1]، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

الحديث رقم (١٤٤٠)

١٤٤٠- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: ((لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

شرائع الإسلام: جمع شريعة: ما شرع الله تعالى وأظهر لعباده من الفرائض والسنن[٢].

أتشبث: أتعلق به وألزمه[٣].

رطبًا من ذكر الله: طريًا مشتغلاً قريب العهد منه وهو كناية عن المداومة على الذكر[٤].

الشرح الأدبي

تنكير السائل لعدم تعلق غرض بتعريفه وقوله (إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ) هو خبر أريد به لازم فائدته، وهو التمهيد لما يريد أن يرتبه عليه من طلب، وشرائع الإسلام أحكامه، وقوله (فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ) الأمر لطلب الاسترشاد، وتنكير شيء للتقليل أي شيء قليل، لأنه عجز عن الكثير، وجاء يشتكي منها قال الطيبي التنكير في (بشيء) للتقليل المتضمن لمعنى التعظيم كقوله تعالى (ورضوان من الله

---

(١) برقم (٣٣٧٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨١٤)، وقال الحاكم (٤٩٥/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٠).

(٢) القاموس المحيط في (ش ر ع)، وتحفة الأحوذي ٢٤٢٣/٢.

(٣) الوسيط في (ش ب ث).

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٢٤٢٣/٢).

أكبر) ومعناه أخبرني بشيء يسير مستجلب لثواب كثير، وقوله (أتشبث به) أي أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه، ويوحي بحرص الرجل على تعلم شيء يمكنه إتقانه، وقول الرسول ﷺ (لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله) كناية عن دوام ذكر الله تعالى، والتعبير بالفعل الدال على الاستمرارية بصيغته، ودلالته (لا يزال) يقرر التواصل مع الذكر والاستمرار عليه، ودلالة الفعل المضارع تشير إلى التجدد كلما قطعه عن الذكر قاطع، وهو حال المؤمنين مع ربهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران١٩١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى.

ثانيًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى:

جاء في الحديث ما يدل على وجوب التشبث بشرع الله تعالى، فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ، «يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ» أى أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه[1]، فإن التمسك بالإسلام وشرائعه فيه صلاح المجتمع الإسلامي، بل صلاح المجتمع الإنساني كله لا يتحقق إلا بالإسلام[2]، الذي فيه صلاح للمجتمعات وحياة الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٣.

(٢) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان عبدالله الأشقر، ص١٩.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] ففي الآية: "تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة والحرية حياة واستقامة أحوال العيش حياة"[2].

ثانيًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال:

قد جاءت الدلالة على ذلك في سؤال الرجل للنبي ﷺ. إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله" والمعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني عنها غيرها فالفرائض لابد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به الخلل[3]، لذا ينبغي على المدعو السؤال عن شيء من النوافل يلائم إمكاناته الجسدية والمادية يتشبث به ويحافظ عليه، ليزداد المؤمن بها قربًا من الله وعلو منزلته عنده، وليجبر النقص أو الخلل الذي قد يحدث في أدائه للفرائض، قال ابن رجب الحنبلي: "درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب محبة الله"[4].

ثالثًا- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنهم من العلماء العاملين والهداة المرشدين إرشاد الناس ودلالتهم على كل خير، فإنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين[5]، ومن ذلك الدلالة على ذكر الله تعالى، وليكن في ذلك القدوة

---

(١) سورة الأنفال، آية:٢٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٤/٩/٣١٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٢٤.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٣٣٧.

(٥) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٧٢.

الحسنة في رسول الله ﷺ. الذي لم يجد فرصة للحث على ذكر الله إلا اغتنمها، كما جاء في الحديث من سؤال الرجل عن شيء يتشبث به، فقال له ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله".

ودلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير وإيقافهم عليه، وتلك وظيفة الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(١). قال أبو عبدالله القرطبي في تفسير الآية: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المعنى: بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أن لا يكتم شيئًا من وحيه"(٢).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى:

لقد جاء الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٣)، وجاء في الحديث الإشارة إلى الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"، قال الطيبي: رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر(٤)، فإن مداومة الذكر حياة حقيقية للإنسان، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "مثل الحي والميت"(٥)، ومن فوائد ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾(٦)، ولو

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، مج٣/٦/٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٤١-٤٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٤١/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا"[١].

إن دوام ذكر الله تعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده وأن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق"[٢].

وإن مداومة ذكر الله تعالى تؤهل صاحبها إلى الانتفاع بآيات الله، وكمال العقل وحسن التدبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٣].

لقد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]. وأهل ذكر الله تعالى هم أهل السبق والفوز، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول ﷺ مر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا ومن المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[٥]. ولقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس ذكرًا فكان يذكر الله على جميع أحواله، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[٦].

إن كثرة ذكر الإنسان لربه علامة على محبته لربه، قال الربيع بن أنس: عن بعض أصحابه علامة حب الله كثرة ذكره فإنك لن تحب شيئا إلا أكثر ذكره.

---

(١) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ٨٣، وقد ذكر ابن القيم في الكتاب ثماني وسبعين فائدة لذكر الله تعالى انظر ص ٨٢-١٥٣، صحيح الوابل الصيب، تحقيق: سليم بن عيد هلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام.

(٢) انظر: مدارج السالكين، الوابل الصيب، لابن القيم، ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٦٧٦.

(٦) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

قال إبراهيم الجنيد كان يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان وكلما ولع المرء بذكر الله إلا أفاد منه حب الله وكان بعض السلف يقول في مناجاته إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبك من مناجاتك وذكرك.

وقال أبو جعفر المحولي ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه ولا يسأم من خدمته وقد ذكرنا قول عائشة كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والمعنى في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه وشئونه كلها.

إن المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه فلو كلف أن ينسي تذكره لما قدر ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر.

كيف ينسي المحب ذكر حبيبه اسمه في فؤاده مكتوب

لقد كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول أحد أحد فإذا قالوا له قل واللات والعزى قال لا أحسنه.

يراد من القلب نسيانكم وتأبي الطباع على الناقل

فكلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه، الله، الله، ولهذا يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس وتصير لا إله إلا الله لهم كالماء البارد لأهل الدنيا كان الثوري ينشد.

لا لأني أنساك أكثر ذكراك لكن بذاك يجري لساني[1]

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٥١٤-٥٢٤.

الحديث رقم (١٤٤١)

١٤٤١- وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((من قَالَ: سُبْحان الله[1] وبحمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ)). رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في تسبيح الله، وتحميده جاء في أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربطه بالجواب، وترك العاقل لكي يختار فعلا بعاقبته، ولذلك عبر بأداة الشرط (من) التي تنادي من له عقل باغتنام هذا الجزاء بالتزام التسبيح، والتحميد، وهذا الحديث يربط غرس نخلة في الجنة بقول هذه العبارة اليسيرة، واختيار النخلة التي تشبه المؤمن الذاكر في طيب كلامه بطيب ثمرها؛ لأنها كلها منافع بكل جزء فيها، وليس هذا لشجرة غيرها مع طيب ثمرها، وكثرة جناها، وصلاحيته لأن يكون طعاما، أو فاكهة، وسهولة نقله، وقلة تلفه، وغيرها كثير، مما يشير إلى عظمة العبارة الموجدة لها، وهي قوله (سُبْحان الله وبحمدِهِ) فهي مثلها في العطاء من المعاني الدالة على التقديس، والتنزيه المتضمن نفي الشريك، والمثيل، وتأكيد الوحدانية، مع الثناء، والحمد المتضمن الاعتراف بكل النعم، وغيرها من المعاني التي يصعب استقصائها فجدير بقارئها أن يتخذها وردا له يزرع بها بستانا في الجنة كل يوم يصير له به ملكا في الجنة، لا بد يوم أن يبلغه، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

---

(١) عنده زيادة: (سبحان الله العظيم).

(٢) برقم (٣٤٦٤) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، و(٣٤٦٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٢٧)، وقال الحاكم (٥٠١/١): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده:

إن ذكر الله تعالى أسهل الأعمال وأكثرها ثوابًا وصاحبه أشد قربًا من الله تبارك وتعالى، ولقد جاءت النصوص آمرة ومرشدة بالتسبيح، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[1]، وفي هذه الآية يأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب[2].

وأصل التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص[3]، ومن ألفاظ التسبيح المستحبة والتي حث عليها النبي ﷺ، سبحان الله وبحمده كما جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" ولا ريب أن التسبيح يعد من الأصول المهمة والأسس المتينة التي ينبنى عليها المعتقد، من إبعاد صفات النقص من أن تضاف إلى الله، وتنزيه الرب سبحانه عن السوء وعما لا يليق به[4].

وتسبيح الله دليل على إيمان الإنسان وفقهه، قال ابن رجب الحنبلي وكان الحسن البصري كثيرًا ما يقول إذا لم يحدث ولم يكن له شغل: سبحان الله العظيم، فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة، فقال: إن صاحبكم لفقيه[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٣١/٦.

(٣) النهاية في (س ب ح).

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الأول والثاني، ١٩٥.

(٥) جامع العلوم والحكم ٣٨٨/١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

لقد صرح النبي ﷺ في الحديث بفضل قول سبحان الله وبحمده وثواب ذلك، فقال ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" أى المعدة لقائلها، وخصت النخلة لكثرة منفعتها وطيب ثمرتها، ولذلك ضرب الله تعالى مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرتها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

فقوله كلمة طيبة يراد بها كلمة التوحيد، كشجرة طيبة وهى النخلة[2]، كما جاء في حديث آخر بيان أن هذه الصيغة حبيبة إلى الله تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلى الرَّحمن سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيم»[3]. فهذا من جملة الأحاديث الواردة في التسبيح والدالة على عظيم فضله وثوابه عند الله، وفي أكثر هذه الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تعالى، وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد فيه إثبات المحامد كلها لله عز وجل والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا لكن ورد مقرونًا بما يدل على إثبات الكمال فتارة يقرن بالحمد كما في قوله: "سبحان الله وبحمده" وتارة يقرن باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال، كقوله سبحان الله العظيم، وقوله سبحان ربي الأعلى، ونحو ذلك[4].

إن فضل التسبيح يظهر في كونه تنزيهًا لله تعالى عملاً يليق به.

قال ابن حجر: التسبيح يعني قوله سبحان الله ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٦٦.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٤٠٦، ومسلم، ٢٦٩٤.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٢٠٤.

به جميع ألفاظ الذكر وجماع معناه[١].

وقال الجرجاني: التسبيح تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث[٢].

إن الكون كله وجميع ما خلقه الله يسبح الله تعالى، كما جاء في صريح قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٣]. أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغتكم، وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد وهذا أشهر القولين[٤].

وقال القاسمي: وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٥]. أي تنزه الله وتقدسه وتجلّه السماوات والأرض ومن فيهن من المخلوقات عما يصفه به المشركون، وتشهد جميعها له بالوحدانية في إلوهيته وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[٦][٧].

فما من شيء إلا يسبح بحمد ربه بلسان الحال ولسان المقال "ولكن لا تفقهون تسبيحهم" لأنها على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب[٨].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في تسبيح الله،

---

(١) فتح الباري ٢١٠/١١.

(٢) التعريفات ٥٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧٩/٥.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٦) سورة مريم، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٧) محاسن التأويل، مج٦/١٠/٢٢٢.

(٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٤١.

فقال ﷺ:"من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة"، أي نخلة على كل مرة[١]، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، "ولقد حفلت آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة بالترغيب فيما عند الله من ثواب ونعيم، ترغيبًا للمؤمنين وحثا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٢]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها، وكان من عباد الله المتقين المحسنين المنيبين الذين ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣]،"[٤]. أي خوفًا من وبال عقابه وطمعًا في جزيل ثوابه[٥]، "فهم يجمعون بين الوصفين، الخوف والرجاء فهم يعبدون الله وحالهم الخوف من أن ترد أعمالهم والطمع في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم، ٢١٢٧/٦..

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٣/٦.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٠٣.

الحديث رقم (١٤٤٢)

١٤٤٢- وعن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَقِيْتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرِىءْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاء، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكْبَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

قيعان: جمع قاع وهو المكان المستوي الواسع في وطاءٍ من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته[2].

غراسها: الغِراسُ: ما يغرس من شجر ونحوه[3].

الشرح الأدبي

لقاء النبي ﷺ بإبراهيم ﵇ لقاء حبيب لحبيب، وأخ لأخ، وقوله (ليلة أسري بي) يشير إلى زمان اللقاء، وأنه ليس لقاءً في رؤية منامية، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول ﷺ، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول ﷺ لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع، وسيلة نقل

---

(١) برقم (٣٤٦٢). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٠٢/١): حسّنه لشواهده، ومن ثمَّ قيّد الغرابة، وإلا فعبد الرحمن بن إسحاق ضعّفوه، وهو أبو شيبة الواسطي، وله شاهد أخرجه أحمد (٢٣٥٥٢)، قال الحافظ ابن حجر: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٤).

(٢) النهاية في (ق ي ع).

(٣) الوسيط في (غ ر س).

فيه هي الإبل، والخيل -كما أسلفنا الذكر-، وقول إبراهيم عليه السلام (يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ) نداء تودد ومحبة، وقوله (أقرئ) يشير إلى محبته للرسول ﷺ، وأمته، يدل على ذلك تحيته، لأمة لم يرها، وحرصه على نفعها بالخبر الذي نقله عن حال الجنة، وغراسها، ووصفه لها في قوله (وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ) وهو أمر أراد به التكريم للرسول ﷺ ولأمته، والترغيب في ذكر الله الموصل للجنة، لذلك وصف الجنة بما يداعب النفس، ويشغل الوجدان بما يحقق الغرض، ويدفع للعمل الذي هو الذكر الوارد في وصية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والتي تضمنت تنزيه الله -تعالى، والثناء عليه، وتوحيده، ثم تكبيره، وهو من الأحاديث الجامعة لجملة من الأذكار التي تحقق الأجر العظيم، والتي ينبغي لكل من يقرأها أن يضعها من نفسه المنزلة التي تغيب عنها شمس فكره حتى يلقى بها جزاءه عند ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ. نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء:

وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث في قوله ﷺ، لقيت إبراهيم ﷺ، ليلة أسرى بي، وكان الإسراء في السنة العاشرة من سني البعثة النبوية، وكان مكافئة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ، من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، لقد كان الإسراء بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة رضي الله عنها، إنه كان بعد إعراض وصدود ثقيف وما

ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها، بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه، فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونَصَبٍ وتعب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ﷺ[١].

ومعجزة الإسراء حادثة ثابتة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فلقد نص الكتاب العزيز على أن معجزة الإسراء قد تمت ليلاً حين تم انتقال الرسول ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف بأرض فلسطين[٢]، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

إن من الآيات البينات والمعجزات الخارقات إسراء الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إمامًا، ومن هناك عرج به إلى السماوات العلا، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق وكلمه الرحمن وقربه: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٤].

وقد استعظمت قريش الإسراء برسول الله ﷺ فقد كانت القوافل تمضي الأسابيع في الذهاب إلى بيت المقدس والعودة منها، فكيف يتسنى لرجل أن يمضي ويعود في جزء من ليلة! ذلك عجيب، وهو حقًا عجيب، ولكن العجب يتلاشى إذا علمنا

---

(١) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، ١٠٧.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٢٤٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٢-١٨.

أن الذي أسرى به هو الله تعالى، والله على كل شيء قدير[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به:

جاء بالتصريح بذلك في قول رسول الله ﷺ: "لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسرى بي" قال ابن علان: لا مانع من رؤية له على ما كان عليه حال حياته، لأن الأنبياء أحياء والأرض لا تأكل أجسادهم، فلا حاجة لجعل اللقاء بالروح لأن في الحديث مضافًا مقدرًا[2]. وقد ورد التصريح بذلك في أكثر من رواية ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أتيت البراق... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ. مسندًا ظهره إلى البيت المعمور..."[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث وذلك في قول إبراهيم عليه السلام: "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" والمعنى أعلمهم بأن هذه الكلمات ونحوها سبب لدخول قائلها الجنة ولكثرة "أشجار" منزله فيها، لأن كلما كررها نبت له أشجار بعددها[4]، وأن الله سبحانه بفضله أوجد في الجنة أشجارًا وقصورًا على حسب أعمال العاملين، لكن لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ثم إن الله تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال به ذلك الصواب، جعله كالغارس لتلك الأشجار[5]، وتلك من فوائد ذكر الله تعالى، فهو غراس الجنة، وأن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي للسائلين، إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[6].

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٢٤.

(٢) دليل الفالحين ١٥٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٢.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٦٤/٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٨٦/٥.

(٦) ذكر الإمام ابن القيم ثماني وسبعين فائدة للذكر، في كتابه القيم: "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ص٨٢-١٥٣.

إن ذكر الله تبارك وتعالى من أفضل الأعمال وأعظمها أجرًا وأسهلها على العبد، وقد حث الله تبارك وتعالى على ذكره والإكثار منه، وذكر الله لا يقتصر على مجرد تحريك اللسان به وإنما هو أوسع من ذلك بكثير فيشمل أعمال القلب واللسان والجوارح.

قال ابن عثيمين: " وليُعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، وذكر الله تعالى بالقلب: أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر: ويشمل كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل والتسبيح والتكبير، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة السنة، وقراءة العلم، كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر لله عز وجل.

وأما الأفعال: ذكر الله بالجوارح، فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1]. فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى ذكرًا كثيرًا في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾. أي قولوا: سبحان الله في البكور والأصيل، يعني: في أول النهار وآخر النهار، ويحتمل أن يراد بالنهار كله وفي الليل كله، وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]. وهذا ذكره الله عز وجل في سياق لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب، وقال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]. قيل: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، وقيل: المعنى ذكر الله عمومًا أكبر، وهو أن الإنسان إذا صلى كان ذلك سببًا لحياة قلبه وذكره لله عز وجل كثيرًا، وقال تعالى في وصف الخلق من عباده: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3]. والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على فضيلة الذكر والحث عليه، وقد أثنى الله تعالى على الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وبين أنهم هم أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]. فالمهم أن نحث أنفسنا وإياكم على إدامة ذكر الله، وهو لا يكلف اللسان شيئا، واللسان لا يعجز ولا يتعب، بل يبقى دائمًا: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ليس فيه تعب فهو سهل ولله الحمد

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩١، ١٩٠.

وأجره عظيم. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات إنه على كل شيء قدير[(١)].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا بالترغيب في كلمات من الذكر في كونها غراس الجنة "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" فهذه الكلمات سبب لدخول قائلها الجنة، وكثرة أشجار منزله فيها، لأنه كلما كررها نبتت له أشجار بعددها[(٢)].

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(٣)]، وحثه على الطاعات وتحمل مشاق العبادات رغبة فيما عند الله، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب ملائمة للنفس البشرية، لما جبلت عليه من رغبتها فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها[(٤)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام:

يتضح هذا في وصية إبراهيم عليه السلام التي أمر رسول الله ﷺ أن ينقلها إلى أمته، "وأخبرهم أن: الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". وهذا إن دل فإنما يدل على أن توحيد الله هو دين الله الذي بعث به رسله من الأزل إلى الأبد، وأن المتتبع للدعوة والناظر في سيرة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليرى اتفاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى الملة الواحدة القائمة على توحيد الله عز وجل ومحاربة الكفر والشرك والأمر بالطاعات والنهى عن المحرمات، فكلهم يدعون إلى الله عز وجل،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٥٠٤، ١٥٠٥.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٥٠٢.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

ويرمون في دعوتهم عن قوس واحدة[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[4]. فما من نبي إلا دعا قومه إلى عبادة الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[5]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[6]، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين.

وتلك هى الغاية التي من أجلها وُجد الخلق، قال ابن رجب الحنبلي: إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه[7]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[8].

إن عقيدة التوحيد وجدت كاملة منذ اللحظة الأولى، لأنها ليست نابعة من أفكار البشرية كما يرى أصحاب مذهب التطور. وإنما هى فطرة الله التي فطر عباده عليها، فقد خلقهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأضلتهم، هذا ما يقرره القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعليه التصور الإسلامي، فقد أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ليقوم فيها بالخلافة التي اختاره الله للقيام بها، بعد أن تلقى كلمات من ربه فتاب عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله، وأن لا يتبع الشيطان

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمود أبو الفتح البيانوني، ٧٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٦٥.

(٦) سورة هود، آية: ٦٢.

(٧) التخويف من النار ٦، ٧.

(٨) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

فيضله عن سبيله. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

وما من شك أن آدم عليه السلام علَّم بنيه الإسلام، وهو عقيدة التوحيد جيلاً بعد جيل، وأن الإسلام كان أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض، ثم انحرفت عن منهج الله وهديه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ...﴾[2]. أي كان الناس أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

يوضح ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]. فحين اختلفوا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب، وينذرون من عصى الله فكفر به بشدة العقاب وسوء الحساب والخلود في النار.

فكان أول رسول إلى الناس بعد اختلافهم نوح عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

وقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[5]. وقد ردوا عليه دعوته متمسكين

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة يونس آية: ١٩.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢، ٣.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

بعبادة آلهتهم التي اتخذوها من دون الله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾[1].

فنوح عليه السلام أرسل لإعادة الناس إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ويقول رسول الهدى ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه»[3]. وقوله ﷺ: قال الله تعالى: «خَلَقْتُ عِبادي حُنَفاءَ كلَّهُمْ. وأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[4].

وهنا نقول كذب علماء الأديان المقارنة القائلين بتطور العقيدة، من التعدد إلى الانتخاب ثم التوحيد[5]. وإنما كانت البشرية على دين الإسلام وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها حتى اجتالتهم شياطين الجن والإنس، فأشركوا بالله خالقهم وعبدوا معه غيره، فأرسل الله إليهم الرسل ليعيدوهم إلى الطريق السوي قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[6].

وقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بأنواع من الأساليب الواضحة المتصلة بحياة الناس ومشاعرهم، وبين لهم أن كثيرًا من أعمالهم التي يتوجهون بها لغير الله هي حق لله لا يجوز صرفها لغيره، حتى استقاموا على أمر الله واتبعوا رسوله الذي تركهم على المحجة البيضاء، ثم اختلط هذا الأمر بعد ذلك على كثير من الناس لا سيما في العصور المتأخرة فخلطوا بين ما هو حق خالص لله لا يجوز صرفه لغيره، وبين أمور من هذا الباب ظنوا أنها من الأمور التي يجيزها الشرع[7].

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ١٣٥٩، ومسلم ٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

(٥) انظر: كتاب الدين، د. محمد عبدالله دراز، ١١١-١١٩.

(٦) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٧) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، ص١١٧-١٢٠.

الحديث رقم (١٤٤٣)

١٤٤٣- وعن أبي الدرداء ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمَالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((ذِكر الله تَعَالَى)). رواه الترمذيُّ[1]، قَالَ الحاكم أَبُو عبد الله[2]: (إسناده صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

أزكاها: أطهرها وأنماها وأكثرها بركة[3].

مليككم: المليك: صاحب الملك. ومليك الخلق: ربهم ومالكهم[4].

أرفعها: أشرفها وأعلاها قدرًا[5].

الشرح الأدبي

ألا في قول الرسول ﷺ: (ألا أنبئكم) جاءت للعرض بدليل دخولها على الجملة الفعلية. واكتسب الأسلوب تشويقه من بقية السياق حيث تلي (ألا) بالفعل (أنبئكم) الذي يدعم التشويق بصيغته، كما يصعده بمتعلقاته، والنبأ يشير إلى الخبر العظيم واستعمال هذه الأداة -في الأغلب مع هذا الفعل وأمثاله- كـ (أخبركم، أعلمكم، وأدلكم) تمهيد لشيء. خطير. ثم بدأ في رفع درجة التشويق شيئًا فشيئًا؛ فقال (بِخَيْرِ

(١) برقم (٣٣٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٤).

(٢) المستدرك (١/٤٩٦).

(٣) النهاية في (ز ك و).

(٤) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٥) القاموس المحيط في (ر ف ع).

أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ...) فصعد التشويق بعبارات أثارت فضول النفوس المجبولة على حب الخيرات، وزادها حرصا بأفعل التفضيل متصدرة كل عبارة (خير أعمالكم، خير لكم. أزكاها، أرفعها) كل ذلك بعد أداة (العرض) (ألا) يليها الفعل (أنبأ) الذي يتصدر الأمر العظيم، والخبر الصادق، (وفائدة السؤال والجواب أن يكون الكلام أوقع في النفس بحكم الإبهام والتبيين' ولعل الذي دفع الرسول ﷺ إلى كل هذه الإثارة للخبر، والتشويق إليه وبعث الاهتمام، والترقب له هو: غفلة الناس عن هذا العمل مع أهميته، وشدة حاجة الإنسان إليه مع يسره، وخفة مؤنته، وقدرة جميع الناس على القيام به وكونه عبادة قلبية لا يتعلق بها العجب، ولا الرياء، وملازمة الإنسان له على كل حال مما يثمر اتصال الإنسان الدائم بربه، وبقائه في حضرته، هذا ما جعل الرسول ﷺ يؤكد ويشوق بهذا الإلحاح الشديد على فضل الذكر والتنبيه له: ليصرف أعنة القلوب إلى مواطن الفلاح، ومعارج النجاح[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم..)، أي: أخبركم[2]، وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع، والتشريف للمخاطب به[3]، وهذا ما يعرف بالاستفهام

---

(١) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ص ٢٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

(٣) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، ص ١٢١٨.

التمهيدي، وقد ورد ذلك كثيرًا في آيات القرآن مثل قوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى)، (هل أتاك حديث الغاشية)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة لما له من تأثير في إيجاد الاستعداد الفكري والنفسي عند المدعوين لمعرفة الإجابة على تلك الأسئلة والاستفهامات المطروحة عليهم، كما أن الاستفهام استخدام السؤال والجواب له بالغ الأثر في نشر الدعوة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[1].

ثانيًا - من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها:

إن من أهم صفات الداعية الملازمة له الممزوجة في شخصيته البيان والتوضيح، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[3]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[4]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان خير الأعمال وأزكاها، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم؟..)، قال: ذكر الله تعالى: فإن الإنسان بعلمه بخير الأعمال يحصل بها على كثير من الأجر دونما شرط للنَصَب والتعب، قال العز بن عبدالسلام في قواعده: "هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل العمل أكثر مما يأجر على كثيره، فإذًا ترتب الثواب على تفاوت الرتب في الشرف"[5].

إن بيان الداعية الدين وتوضيح أحكامه للناس وإرشادهم إلى ما فيه من نور وهدى ودلالتهم على فعل الخير له من الأجر والمثوبة عظيمهما ومن أوجه ذلك الثواب أن الداعية

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٢٠٠٨/٦٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦، ٢٧.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان، ١٥٠٣.

يأخذ مثل أجر العامل، فإن الدال على الخير كفاعله، روي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: مَا عِنْدِي فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))(١).

كذلك من أوجه الثواب أن ما يعطيه الله على هدايته للناس ودلالتهم على الخير أفضل من نفيس الأموال فروي عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)) قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: ((أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟)) فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: ((انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ. حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))(٢).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

جاء في صريح الحديث بيان فضل ذكر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم - أي: أنماها وأنقاها - وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم.

قال المباركفوري: "والمعنى: ألا أنبئكم بما هو خير لكم من بذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله"(٣)، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى، وقد وردت النصوص الكثيرة التي أمر الله سبحانه فيها بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦ واللفظ له.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

كثيرًا[١]، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٢]، وبيّن أنه سبب للمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣]، وأنه سبب للفلاح، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

وأخبر سبحانه عن خسران من لهى عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٥]، وجعل سبحانه ذكره لهم جزاءً لذكرهم له كما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٦][٧].

إن ذكر الله تبارك وتعالى له من الفضل ما لا ينكر، ومن الثواب ما لا يعلم حده ومنتهاه إلا الذي أعطاه سبحانه وتعالى وله من الفوائد الكثير.

قال ابن القيم: "في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

(١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه.

(٢) أنه يرضي الرحمن عز وجل.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

(٣) أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(٤) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(٥) أنه يقوي القلب والبدن.

(٦) أنه ينور الوجه والقلب.

(٧) أنه يجلب الرزق.

(٨) أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(٩) أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

(١٠) أنه يورثه المراقبة حتى يُدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(١١) أنه يورث الإنابة، وهو الرجوع إلى الله عز وجل.

(١٢) أنه يورث القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه.

(١٣) أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

(١٤) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

(١٥) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: (فاذكروني أذكركم). ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

(١٦) أنه يورثه حياة القلب.

(١٧) أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

(١٨) أنه يورثه جلاء القلب من صدئه.

(١٩) أنه يحط الخطايا ويذهبها.

(٢٠) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

(٢١) من ذكر الله تعالى ذكره ربه، ولذكر الله أكبر. قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ

أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

(٢٢) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

(٢٣) أنه ينجي من عذاب الله تعالى.

(٢٤) أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر.

(٢٥) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

(٢٦) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

(٢٧) أنه يسعد الذاكر بذكره ويُسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان.

(٢٨) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

(٢٩) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

(٣٠) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

(٣١) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

(٣٢) أنه غراس الجنة.

(٣٣) أن العطاء والفضل الذي رُتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

(٣٤) أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.

(٣٥) أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط.

(٣٦) لما كان الذكر متيسرًا للعبد في جميع الأوقات والأحوال فإن الذاكر وهو مستلق على فراشه يسبق -في الفضل والخير- القائم الغافل.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣٧) الذكر يفتح باب الدخول إلى الله عز وجل، فإذا فُتح الباب ووجد الذاكر ربه فقد وجد كل شيء.

(٣٨) في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة.

(٣٩) أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها وانفراطها له والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويُفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه. ويُفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل. ويُفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.

(٤٠) أن الذكر يُنبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته.

(٤١) أن الذكر شجرة تُثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون.

(٤٢) أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق.

(٤٣) أن الذكر يعدل حتى عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل والضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

(٤٤) أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

(٤٥) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكر الله[١].

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٢٠٠ وما بعدها.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينًا، في ترغيبه ﷺ في ذكر الله ببيان أنه خير الأعمال وأحبها إلى الله، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله)، والترغيب من أهم الأساليب الدعوية، وأجداها نفعًا، وهو من الأمور المحببة إلى النفس، فتميل بطبعها إلى موافقة من أحبته، فيكون له أثره في استجابة المدعوين، وهذا مما يسبب نجاح الدعوة، والقرآن الكريم والسنة النبوية يكثر فيهما تطبيق هذا الأسلوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))، وفي رواية: ((سبَقَتْ غَضَبِي))[2].

وأسلوب الترغيب أوفق الأساليب الدعوية للنفس البشرية، إذ أن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله -بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ- لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري٧٤٢٢، ومسلم ٢٧٥١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٤٤٤)

١٤٤٤- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: (([1] أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ افْضَلُ -)) فقَالَ[2]: ((سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ، واللهُ أكبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ (وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ) [3]، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ)). رواه الترمذيُّ[4]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور حرص الصحابة -رضوان الله عليهم - على الباقيات الصالحات وحال هذه المرأة ينبيء ببعض ما كانت تنشغل به النساء في البيوت في عصر الراشدين، والراشدات، ويصور بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام ثباتهم على الطاعة، ولزومهم للباقي، وبالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث تجدد الذكر كلما قطعه قاطع في قوله (أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ) فجملة (وَبَيْنَ يَدَيْها نوىً) تشير إلى ما شغلها وما عكفت عليه، وجملة (تسبح به) تشير إلى تجدد الذكر والانقطاع عليه، وقول الرسول ﷺ (أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أفْضَلُ ؟) استفهام عرض، وتشويق وتعليم لما رآه من

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ألا)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) (فقال) لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود.

(٣) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود، والمنذري.

(٤) برقم (٣٥٦٨) بدون الزيادات. واللفظ لأبي داود (١٥٠٠). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٣٧)، وقال الحاكم (٥٤٧/١): بإسناد أصحّ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٣٠).

استعدادها، وحرصها على ما يرضي الله تعالى، وقوله (سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ) هذا الدعاء مجمع للخيرات، والفضائل عوضها عن عد الحصى القليل بعد ما لا يحصى إجمالا لما يحقق الثواب مع قلة الألفاظ، وهو من رحمته بها، وحرصه على تحقيق الثواب لها كما تريد، وأضعاف أضعاف ما تريد، وتكرار لفظ (سبحان) لأنه المعنى المقصود من ذكر الأعداد، وهو تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وقوله (وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ) قال الطيبي أي ما هو خالق له من الأزل إلى الأبد والمراد الاستمرار فهو إجمال بعد التفصيل؛ لأن اسم الفاعل إذا أسند إلى الله تعالى يفيد الاستمرار من بدء الخالق إلى الأبد كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان، وقوله (والله أكبر مثل ذلك)، والمشار إليه جميع ما ذكر فيكون التقدير الله أكبره عدد ما خلق في السماء والله أكبر عدد ما خلق في الأرض والله أكبر عدد ما بين ذلك والله أكبر ما هو خالق والحمد لله مثل ذلك أي على هذا المنوال ولا إله إلا الله مثل ذلك أي على هذا الحال ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك أي كذلك، والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم التسبيح بالنوى والحصى: يجوز عند التسبيح بالنوى والحصى وكذا المسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأة على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى.

---

(١) حاشية رد المحتار ١/٦٥٠-٦٥١، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٩/٨٠.

أولاً - من أصناف المدعوين: النساء:

أشير إلى ذلك في الحديث، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، والنساء صنف لا يستهان به، فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1]، وهي تحظى بدور كبير واحترام عالٍ في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجل، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهنَّ راعيات الأطفال، وهنَّ المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها[2].

لقد حظيت النساء بدعوة النبي ﷺ ولهذا شواهد كثيرة، ومنها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: ((يا نساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاةٍ[3]))[4].

والمراد بالحديث -كما قال ابن حجر-: "لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئًا، ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب"[5].

وقال أيضًا: ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت. فيتساوى في ذلك الغني والفقير"[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٥٧.

(٣) فرسن شاة: بكسر الفاء وسكون الراء وكسر السين ثم النون: حافر الشاة، فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٧، واللفظ له، ومسلم ١٠٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٦) فتح الباري ١٠/٤٤٥.

وأما حكمة تخصيصهن بهذا التوجيه النبوي الكريم ﷺ فقال عنها ابن حجر: "وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منها"[1].

ب- نهي النساء عن رفع الرؤوس قبل الرجال: روى الإمام أحمد عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا تَرْفَعْ رَأْسَهَا حَتَّى يَرْفَعَ الرِّجَالُ رُؤُوسَهُمْ)) قالت: وذلك أن أُزرهم كانت قصيرة، مخافة أن تنكشف عوراتهم إذا سجدوا[2].

وواضح في الحديث أنه ﷺ قام بتوجيه النساء المسلمات بأن يمتنعن من رفع رؤوسهن في الصلاة قبل الرجال.

ج- موعظة النساء يوم العيد: أخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قَامَ النبيُّ ﷺ يومَ الفِطرِ فصلَّى، فبدأَ بالصلاةِ ثمَّ خَطَبَ. فلما فرَغَ نَزَلَ فأتَى النساءَ فذكَّرهنَّ. الحديث[3].

وقد ترجم البخاري عليه بقوله: "باب موعظة الإمام النساء يوم العيد".

وأخرج البخاري نحو هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، وترجم عليه بقوله: "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن".

فخلاصة الكلام: كان النبي الكريم ﷺ يقوم بدعوة النساء[4].

ثانيًا- من آداب الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر:

إن الوظيفة الرئيسة للداعية: هي إرشاد المدعوين وحثهم على الخير وتحذيرهم من الشر، وتلك هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سننهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين[5].

والوعظ والإرشاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وتأتي أهمية الوعظ

---

(١) المرجع السابق ١٠/٤٤٥.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٣٤٩، رقم ٢٦٩٥١، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره أحمد ٤٤/٥١٤.

(٣) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٩٧٨، واللفظ له، ومسلم جزء من حديث رقم ٨٨٥.

(٤) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٥١ - ١٥٢.

(٥) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

والإرشاد في أن الناس تصيبهم غفلة ونسيان فينغمسون في الدنيا وينسون الآخرة والعمل لها، وهنا تأتي مهمة الواعظ في تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وربطهم بربهم من جديد"[1].

ومن ألوان الخير الذي يرشد إليها الداعية: إرشاد مدعويه إلى أفضل الذكر وكما جاء في الحديث: (ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك)، فإن الدلالة على أفضل أنواع الذكر حث عليها وإرشاد إلى ما هو أفضل وأعظم أجرًا، وطاعة لله وذكره، فذلك من حق تقاته، ودلالة على قوة معرفة العبد بالله تعالى، قال ابن رجب الحنبلي: "كلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله، ولهذا يُلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس، وتصير (لا إله إلا الله)، لهم كالماء البارد أهل الدنيا، كان الثوري ينشد:

لا لأني أنساك أكثر ذكرا ... ك ولكن بذاك يجري لساني"[2]

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى:

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم الأنموذج التطبيقي والمثل الحي الأمثل في الاقتداء برسول الله ﷺ وذلك لم يكن مقتصرًا فيهم على شريحة دون أخرى وإنما كان نمطًا عامًا وأسلوب حياة، يعم الجميع الرجال والنساء، الكبار والصغار كما جاء في الحديث من تسبيح تلك الصحابية الفاضلة رضي الله عنها، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ عل امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، لذا ينبغي على المسلم الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى والإكثار من ذلك.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات، حسني أدهم جرار، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٧٤.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

قال ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون وفيها يتجرون وإليها دائمًا يترددون، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته"[١]، والذكر حياة القلب، قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[٢]، وهذه إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلوب، قال ابن تيمية: "الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا خرج من الماء؟"[٣].

وقد أمر الله تعالى بالذكر في كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٤]، ونهى عن ضده من الغفلة والنيسان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾[٥][٦].

إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٢٣ - ٤٢٤، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٣ - ١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1].

الذكر.. دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2]، والصلاة ذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3]، والحج شرع للذكر: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[4].

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء ولا يوازيه شيء"[5].

به يسبق أصحابه، ثبت عن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَـٰذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللّٰهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[6].

وعن أبي عبدالله بن بسر ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبرني بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: ((لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللّٰه))[7].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٣) سورة طه، آية: ١٤.

(٤) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٥) انظر: كتاب (الله) أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٧) أخرجه الترمذي ٣٣٧٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٧).

الحديث رقم (١٤٤٥)

١٤٤٥- وعن أَبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ؟)) فقلت: بلى يَا رسولَ الله قَالَ: ((لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب بليغ في الذكر بصيغة (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) وقول أبي موسى رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) يشير إلى اعتزازه، وسروره بما خصه به رسول الله من إخباره بهذا الكنز؛ لأنه صار كنزا له - وإن كان كنزا لكل من قال به - ولكن الأمر مختلف بالنسبة له؛ لأنه هو الذي أخبر به عن الرسول ﷺ فهو الذي دل على هذا الخير، فله أجر من عمل به إلى يوم القيامة، أرأيت كيف صار كنزا له ؟ ولذلك نجده في بناء العبارة يقدم الجار والمجرور (لي) على الفاعل لإفادة الاختصاص أي اختصني بهذا القول دون غيري، ثم إن صيغة الماضي (قال) تدل على الثبات، والتحقق، وقول الرسول ﷺ (ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ ؟) استفهام عرض وتشويق أما العرض فيفهم من أداة العرض (ألا) وأما التشويق فيفهم من قوله (أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ ؟) لأن الدلالة هداية إلى الخير، والتعبير بالكنز يوحي بخير كثير ليس فيه جهد كبير مع غلوه، وارتفاع قيمته وقوله (من كنوز) يشير إلى الكثرة وإضافة الكنوز إلى الجنة تعطيها أبعادا إيحائية تتخطى به حدود الكنوز المعروفة في الدنيا، لأن كل ما يتصل بالجنة ينصبغ بصبغة الخلود، وهي أهم صفات النعيم التي تمنع تنغيصه بفكرة زواله لاسيما مع عظمته التي تجعل فكرة التخلي عنه، وفقدانه من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤/٤٤) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه من حديث أبي ذر (٢٣٥٠)، ومعاذ بن جبل (٢٣٤٧).

أكبر المنغصات ثم إن اتصاله بالجنة يجعل العقل يذهب في تخيله كل مذهب مع اعتقاده بأنه فوق ما تصور، وقول أَبي موسى - رضي الله عنه- (بلى يا رسول الله) إجابة متوقعة مفعمة بالشوق لما تفضي عنه مما يتعلق بالكنز، وقول الرسول ﷺ (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ) يحمل تفويضا لله في التصرف، والملك والقوة يتضمن اعترافا بصفات كماله ونعوت جلاله يتهالك المؤمن معها في إحساسه بذله، وضعفه مع مطالعة قدرة الله، في بسط سلطانه، وقهره، وتضؤل كل قدرة بجانب قدرته إلى درجة الخفاء، والعدم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

أولا - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من لفت نظر المدعوين إلى ما يريد الداعية إبلاغهم به، وتقرير حقيقة من حقائق الدعوة، وقد ورد هذا الأسلوب في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[٣]، قال النسفي: "وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع،

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة الصف، آية: ١٠.

(٣) سورة النازعات، آية: ١٥.

والتشريف للمخاطب به"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير:

إن ما جاء في الحديث من دلالته ﷺ على كنز من كنوز الجنة: (ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله)، دلالة قوية على ما ينبغي أن يكون عليه أتباعه الدعاة إلى هديه من حرص على المدعوين ودلالتهم على الخير، فذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سَنَنِهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين، والعظماء والمجاهدين[٢].

فإن دلالة المدعوين على الخير والحرص على منفعتهم تتبوأ في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجد وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية، وعد تعليم الناس العلم وتوجيههم، أفضل من الصلاة النافلة باعتبار نفعها يقتصر على صاحبها ونفع العلم له ولغيره، من أجل ذلك حرصت تعاليم الإسلام على ضرورة القيام بالدعوة إلى الله تعالى والأخذ بيد الناس نحو المنهج الأقوم والسبيل الأرشد[٣]، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤]، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((فو اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رجُلاً واحدًا خيرٌ لكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

قال النووي: "(فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن تكون لك حمر النعم)، هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وهذا التشبيه لأمور الآخرة بإعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الإفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو

---

(١) تفسير النسفي ص ١٣١٨.

(٢) هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٦.

تصورت"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله:

جاء في الحديث التصريح ببيان فضل قول: (لا حول ولا وقوة إلا بالله)، بأنه كنز من كنوز الجنة، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال القاضي عياض: "وقوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قل: لا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم)، هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز، وأن العبد لا يملك مع الله شيئًا، ولا يملك من دونه كما قال أهل اللغة: معناه: لا حول، لا حيلة، يقال: ما للرجل حيلة ولا حول ولا احتيال ولا محالة ولا محال ولا محتال، وقيل: الحول: الحركة، أي لا حركة، ولا استطاعة إلا بالله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: معناه: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله. ومعنى (كنز الجنة): أي: أجر مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك، وتبرأ من حوله وقوته، وفوض أمره إلى الله تعالى، ولمن قالها عن صدق نيته وتحقيق ضميره"[٢].

وقال ابن حجر: "سميت هذه الكلمة كنزًا لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس"[٣]، وقال النووي: "قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنى الكنز هنا: أنه ثوابٌ مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم"[٤]، وهي من الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٥].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٤٧١.

(٢) إكمال المعلم ٧/٢٠٠.

(٣) فتح الباري ١١/١٩٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٣.

(٥) سورة الكهف، آية: ٤٦.

وقال محمد تقي العثماني: "قوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) سمى النبي ﷺ الحوقلة كنزًا من كنوز الجنة، لأنها كلمة استسلام وتفويض واعتراف بأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شرّ ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: معناه: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله تعالى، ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله تعالى، حكاه الأبي عن القاضي عياض.

والحول: الطاقة، وقيل: معناه: لا يحول العبد عن معصية الله إلا بتوفيق الله ومعنى كون هذه الكلمة من كنوز الجنة أن قولها يحصل ثوابًا نفيسًا يدخر لصاحبه في الجنة"[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ))، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((التَّكْبِيرُ، والتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ))[2].

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]: "كثيرًا من الأقوال في بيان أن الحوقلة من الباقيات الصالحات، منها ما قاله محمد بن عجلان، عن عمارة قال: سألني سعيد بن المسيب عن (الباقيات الصالحات) فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[4].

وقد جاءت النصوص الكثيرة في بيان فضل قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) منها ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن تَعارَّ مِنَ الليلِ فقالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير. الحمدُ

---

(١) تكملة فتح الملهم ١١/٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٢٧٥، رقم ١٧١٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن لغيره ١٨/٢٤١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢.

للّهِ وسبحان الله ولا إلهَ إلا اللّهُ واللّهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللّهِ. ثم قال: اللهمَّ اغفِرْ لي - أو دَعا - استُجيبَ لهُ. فإنْ توضَّأَ قبلَتْ صلاتُه))[1].

والحوقلة يراد بها إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، وهو حقيقة، وقيل المعنى: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونة[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، قال: "لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٤.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٣٩٨/٤.

(٣) الدر المنثور، السيوطي ٣٩٣/١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الروحية:

إن وشيجة ارتباط المتربي بالله تعالى، من أعظم دعائم التربية في ثبات النفس وحفظها من شواغل الدنيا وزوالقها، وذكر الله من أعظم هذه الوشائج الروحية التي يناط بالمربين والمعلمين إقامتها ورعايتها في نفوس المتعلمين، وهذا ما بينته أحاديث الباب.

"وقد حرص الإسلام على ربط قلوب أتباعه بالله عز وجل، فشرع لهم العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، منها ما يتكرر في اليوم مرارًا، ومنها ما يتكرر كل عام، ومنه ما تجزئ منه مرة في العمر.

ولكن الذكر يتصل في كل أحيان الإنسان وأحواله، ويطيقه الكبير والصغير والصحيح والمريض، وهو يكفل دوام الصلة القلبية بالله عز وجل، ويمنع قساوة القلب، ويزيل ما يعتريه من الغفلة، ويغسل عنه الران، ويملؤه بحب الله ورسوله وحب الإيمان، ويرغبه في التقرب إلى الله بشتى الطاعات.

كما أن تنوع الأذكار حسب المناسبات والأحوال يولد الترابط بين المؤمن وما حوله من أشياء وأحداث، فتكون سببًا في تذكيره بعظمة الخالق وقدرته وحوله وقوته، وقد وصفت عائشة رضي الله عنها دوام ذكر رسول الله ﷺ لله تعالى، فقالت: «كانَ النَّبيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1]. أي في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو لم يكن.

وقد اقتدى به أصحابه والتابعون، ومن بعدهم من أجيال الصالحين، فكان بلال رضي الله عنه يذكر الله، والمشركون يعذبونه بالرمضاء، يقول: أحد أحد، وكان الحسن البصري يقضي وقت فراغه بالذكر، يقول: سبحان الله العظيم، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

كان عامة كلام محمد بن سيرين: «سُبْحَانَ اللّه وَبِحَمْدِهِ. سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ»[١][٢].

"وكان من الأمور التي تساعد دعاة التربية والتوجيه على غرس ذكر الله في قلوب المتعلمين، هو اصطحابهم لمجالس الذكر: كالمحاضرات، والندوات التي تعقد في المساجد وغيرها؛ فهي ما يثري الولد بالمعلومات، ويمده بالخير، ويعده لمواجهة الحياة، ويجيب على أسئلته التي تتردد في ذهنه، كما أنها تغذيه بالإيمان، وتربط على قلبه، وتربيه على أدب الاستماع"[٣].

ثانيًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن من أبرز معالم التربية الإسلامية، والتي تراءت في أحاديث الباب هي التربية بالترغيب والترهيب، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله بعظيم الثواب، وجزيل الأجر، كما ورد في مجمل الأحاديث، ورهب ﷺ في هجر الذكر وتركه بقوله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

والتربية بالترغيب والترهيب، من أعظم الأساليب التربوية التي تتماشى مع الطبيعة البشرية، والتي لا يستغنى عنها المربي في كل زمان ومكان إذا لا يمكن أن تجدي التربية، وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه. فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة. مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر. والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي، وتحض المعلمين والمربين على استخدامه بقدر ما يناسبه[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٥١٦، ٥١٧.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٨٧-٨٩.

(٣) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم محمد، ١٥٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

ثالثًا- التربية بالتلقين والتعويد:

نقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية، ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد، وقد ورد التلقين كأسلوب تربوي في أحاديث الباب من قول سعد بن أبي وقاص ﷺ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ. قَالَ «قُلْ : لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ......الحديث»، وقوله ﷺ لأم المؤمنين جويرية ﷺ: «أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقولينَهَا: سُبْحَان الله عَدَدَ خَلْقِهِ... الحديث»، وقوله ﷺ عندما دخل على امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ فَقَال: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ فقَال: سُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في السَّمَاءِ... الحديث».

أما التعويد كجانب عملي في التكوين والإعداد فقد ورد في حديث الباب من قوله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ... الحديث».

والتلقين والتعويد من مناهج التربية الإسلامية في إصلاح وتوجيه النشء المسلم، والتي يجدر بأهل التربية انتهاجها في بناء وإصلاح النفس.

"ولما كانت قابلية وفطرة النشء منذ صغره في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى... كان لزامًا على المربين من آباء وأمهات ومعلمين... أن يركزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة، وفي ذلك قال الإمام الغزالي: "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن النبي ﷺ أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لقوله ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»[1]. وهذا هو الجانب النظري.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، ٤٦٦).

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة، وأدائها في المسجد بجماعة.. حتى تصبح الصلاة في حقه خلقًا وعادة.

فعلى المربين أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل، ويعطوا لتربية أولادهم حقها في التلقين والتعويد، والتأديب والتهذيب... فإذا فعلوا ذلك.. يكونون قد اضطلعوا بمسؤولياتهم وقاموا بواجباتهم، وبرّؤوا ذمتهم أمام الله، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام، ورسخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن، والمجتمع المسلم، والأمة الصالحة....، وما ذلك على الله بعزيز"[1].



(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/ ٦٧٨-٦٨٣.

٢٤٥- باب ذكر الله تَعَالَى قائمًا أَوْ قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلاّ القرآن فلاَ يحل لجنب وَلاَ حائض

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

الحديث رقم (١٤٤٦)

١٤٤٦- وعن عائشة ﷺ، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتناول في إجمال حال الرسول ﷺ مع ذكر الله ترويه الحبيبة المقربة إليه أم المؤمنين عائشة ﷺ لأنها أكثر الناس ملازمة له بحكم علاقتها كزوجة من ناحية، ولكونها الأحب من ناحية أخرى، وإن كان يعدل بين أزواجه في المبيت، وقد كانت أكثر زوجاته نقلا عنه وقد اختصت بنقل دقائق حياته التي لا تطلع بها إلا من كانت لها هذه الصفة من القرب منه، وقولها (كان رسول ﷺ) يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، وفي هذا الحديث تشير كان إلى العادة حتما، وعلى الدوام، لأنها تقرر اتصال ذكر الرسول ﷺ في كل حين حتى، وإن نام فإن عينه تنام، وقلبه لا ينام، لأنه على اتصال دائم بالله تعالى وقول أم المؤمنين (يذكر الله على كل أحيانه) الفعل المضارع الذي يفيد التجدد، والحدوث لا يعني انقطاعه عن الذكر ثم تجديده، وإنما يشير التجدد إلى الانتقال من نوع من أنواع الذكر إلى نوع آخر

---

(١) برقم (٣٧٣/١١٧)، وأورده البخاري عقب الحديث رقم (٦٣٣، كتاب الأذان، باب ١٩) معلقًا.

كانتقاله من الذكر بالصلاة إلى الذكر بقراءة القرآن أو إلى الذكر بصيغة من الصيغ التي سبقت في أحاديث الباب فهو متقلب في أنواع الذكر لا يخلو عنها من واحد، وهو ما صوَّرته أم المؤمنين بالمضارع (يذكر) ويؤكد ذلك لفظ الشمول (كل) الدال على الشمول، والمضاف إلى الظرف المجموع (أحيان) المضاف إلى الضمير العائد على الرسول ﷺ تأكيدا على هذا الدوام في الذكر وعدم الانقطاع عنه، فعلى وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان أن يتمثلوا حاله بدوام الاتصال بالله على قدر الطاقة فهو الفلاح المبين، فما ترك هذا العمل من تركه لمشقته، وكلفته فإنه أيسر الأعمال، وإنما الموفق من وفقه الله تعالى-.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه:

جاء ذلك في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، قال ابن عثيمين: "أي على كل الأزمان، في كل زمن يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، ففي هذا دليل على أنه ينبغي لك أن تكثر من ذكر الله في كل حال"[1]، ولقد نقل الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أذكارًا متنوعة، في أوقات مطولة ما يدل على ذكره ﷺ لربه في غالب أحيانه، من ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ من عُسفانَ ...، فلما أشرَفنا على المدينةِ، قال: ((آيبونَ، تائبونَ، عابدونَ لربنا حامِدون. فلم يَزَلْ يقول ذلكَ حتّى دَخَل

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٢٧.

المدينة))[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبيُّ ﷺ صلاةً بعدَ أن نزلت عليه (إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ) إلا يقول فيها: ((سبحانك ربَّنا وبحمْدك، اللَّهُم اغفرْ لي))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ))[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت:

لقد أرشدنا تعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سننه، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٥]، ومنها مداومته ﷺ على الذكر، كما جاء في قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، فكان ﷺ يذكر الله تعالى متطهرًا ومحدثًا وقائمًا وقاعدًا ومضطجعًا وماشيًا اللهم إلا ما استثنى بكراهة الذكر عليه من جلوس على البول والغائط، وفي حالة الجماع وغير ذلك[٦]، فإن الإكثار من الذكر من الآداب التي تنبغي للذكر، فالإكثار من الذكر والإخلاص وحضور القلب وتواطؤ القلب واللسان عليه من آدابه[٧].

قال ابن القيم: "وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩١/٦.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٣٣٤.

(٧) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٠.

(٨) الوابل الصيب ص ٢٦٠.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[١]، وإن الإقتداء برسول الله ﷺ في ذلك لمن الآداب الدعوية التي تعين على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى.

قال القاضي عياض: "وقوله: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)، دليل أنه لا يمنع من على غير طهارة من ذكر الله تعالى"[٢].

إلا أن الأولى والأفضل أن يكون الذاكر لله تعالى على أفضل الأحوال وأكمل الصفات.

قال النووي: "ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسًا في موضع استقبل القبلة وجلس متذللاً متخشعًا بسكينة ووقار مطرقًا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك - أي ترك الذاكر ذلك - بغير عذر كان تاركًا للأفضل، وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خاليًا نظيفًا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة، وقد جاء عن أبي ميسرة رضي الله عنه قال: «لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب»، وينبغي للذاكر أيضًا أن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغيُّرٌ أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، فإن ذكر ولم يفعل فهو مكروه، وليس بحرام، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس وغيره"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الإكثار من ذكر الله تعالى ببيان أن ذلك كان حال النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) إكمال المعلم ٢/٢٢٧.

(٣) الأذكار، النووي ص ١٧ - ١٨.

أحيانه، وأسلوب الترغيب من الأساليب المجدية في الدعوة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفعل الطاعات والحث عليها، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم"[1].

ولقد حفلت آيُ الذكر الحكيم بالآيات المرغبة في عمل الخير بالجنة وما فيها من أجر عظيم وثواب جزيل، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

كما وردت الأحاديث الكثيرة أيضًا في الترغيب فيما عند الله، ومنها ما ري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ)). قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: ((قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ))[3].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية وأعظمها نفعًا، ولا أدلّ على ذلك من أن الإسلام هذا الدين العظيم، والنهج الأكمل يربي الناس على الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، فكما أن هنالك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس، ويهز الأفئدة، ويرهب القلوب، فإن هنالك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٧، ومسلم ٢٧١٠ واللفظ له.

ما يطمئن النفس، ويسلي القلب ويؤنس الخاطر، ويبعث على الأمل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[4].

إن الواجب على العالم في علمه، والمربي في تربيته، والواعظ في وعظه أن يجمع بين الأمرين، ويقرن بين الحسنيين، ويمزج بين الغرضين، فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج، وأداة للتقويم، وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل، والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب، ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا، وألذ سماعًا، وأطرب استمتاعًا.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة، ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل، مقرونًا بالطاعة، ممزوجًا بالعطاء، فليس معنى الرجاء أن ينغمس المرء في الذنوب، ويتقاعس عن الطاعة، ويتنكر للعبادة، ويفرط في الحقوق، ويضيع الواجبات، ثم يرجو النجاة من النار والفوز بالجنة، بل هو يعمل ويرجو، ويجتهد ويطمع، ويبذل ويرغب، وهو معترف بتقصيره مقرٌّ بذنوبه، مؤمل في نيل غفران ربه.

وإذا تأملت الآيات القرآنية أدركت هذه الحقيقة وآمنت بهذا المبدأ:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٤) سورة القارعة، الآيات: ٦ - ٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2][3].

---

(١) سورة فاطر، الآيتين: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) انظر: كتاب الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤ - ٦٦٥.

الحديث رقم (١٤٤٧)

١٤٤٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ أنَّ أحَدَكُمْ إذَا أتَى أهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

من عظمة الإسلام أنه أحاط المسلم برعايته، وعنايته حتى قبل أن يخلق يوم كان ماءً في ظهر أبيه يرعى انتقاله في سلامة من الشيطان إلى بطن أمه ليكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يتم مراحل حياته في أطوار نموه محفوظا من عدوه في عالم الغيب بالاستعانة بالله، وحفظه، وقد جاء حديث الرسول ﷺ لينبه على فكرة لا تخطر على قلب إنسان، ولا يتحدث بها إلا نبي، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط لربط قول الدعاء المذكور في التوقيت المحدد وقت إتيان الأهل بتحقق الحفظ من ضرر الشيطان لما قدر بينهما من الولد، وقوله يعلق امتناع الضرر على تحقق القول، ولفظ (أحدكم) يفيد تعميم هذا الحكم وقوله (إذا أتى أهله) كناية عن الجماعة، والمقصود بالأهل الزوجة خاصة، وهو مشهور في تعبير العربي وقوله (بسم الله) أي ابتدأ باسم الله، وتتضمن الاعتراف بالنعمة التي أنعمها على العبد برزقه لذة من حلال ومتعة مع أجر، في الآخرة، ورجاء فضل في الدنيا بالرزق بالولد، وقوله (اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا) هو حماية لهذا المولود من الشيطان، ومنع للشيطان من مشاركة الإنسان في جماعه، فإذا كان المؤمن يغار من أن يشاركه حلاله، - ولو بأقل القليل - أي إنسان، فكيف يرضى بأن يشاركه زوجه، وولده شيطان، والعياذ بالله، وَقَوْلُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١) واللفظ له، ومسلم (١١٦/١٤٣٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ " لَمْ يَضُرَّهُ " يُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ عَامًّا يَدْخُلُ تَحْتَهُ الضَّرَرُ الدِّينِيُّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ خَاصًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الضَّرَرِ الْبَدَنِيِّ بِمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَبَّطُهُ، وَلَا يُدَاخِلُهُ بِمَا يَضُرُّ عَقْلَهُ أَوْ بَدَنَهُ وَهَذَا أَقْرَبُ وهذه الجملة هي جواب الشرط تقضي بتحقق الحماية في عالم غيبي لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيه بحماية إلا بهذا الدعاء، والله خير حافظا، وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل أن يأتي الرجل أهله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل ان يأتي الرجل أهله:

إن ذكر الله تعالى مستحب في جميع الأوقات والأحوال، ومن ذلك ذكر الله تعالى قبيل الجماع فإن في ذلك سبب لتحصيل البركة في المولود وصلاحه، وأن ترك الذكر يكون سببًا في سيطرة الشيطان عليه[1]، وهذا ما ورد في قوله ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره).

قال النووي: "قال القاضي: قيل: المراد: بأنه لا يضره أنه لا يصرعه شيطان، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره، قال: ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والوسوسة والإغواء، هذا كلام القاضي"[2].

وقال القرطبي: "وقوله: (لو أن أحدهم إذا أتى أهله...) قيل: معنى لم يضره: لم يصرعه الشيطان وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته، ومقصود هذا الحديث والله تعالى أعلم أن الولد الذي يقال له ذلك يُحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه، ولا يكون للشيطان عليه سلطان، لأنه يكون من جملة العباد المحفوظين، المذكورين في قوله

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ٨٩٧.

تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[(١)]، وذلك ببركة نية الأبوين الصالحين، وبركة اسم الله تعالى، والتعوذ به، والالتجاء إليه. وكأن هذا شوب من قول أم مريم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[(٢)]، ولا يُفهم من هذا نفي وسوسته، وتشعيثه، وصرعه. فقد يكون كل ذلك، ويحفظ الله ذلك الولد من ضرره في: قلبه، وعاقبة أمره. والله تعالى أعلم[(٣)].

وقال ابن علان: "لم يضره: أي: الشيطان، وحذف المعمول ليعم، والمراد: أن الضرر الناشئ من تسلط الشياطين كالصرع وإلقاء الوسوسة في الصدر يندفع بقوله هذا عند إرادة الجماع"[(٤)].

فإن لجوء الإنسان إلى ربه في هذه الحال واستعاذته به من الشيطان من أن يضره أو يضر أهله أو يضر ما يقدره الله له من ولدٍ من الأمور المستحبة التي تجعل الإنسان في حصن حصين من الشيطان، فالاستعاذة صمام أمن في الحياة وجُنّة من كل خطر وتجنب الإنسان الضرر سواء كان حسيًا أو نفسيًا[(٥)].

والحكمة في ذلك أن الشيطان له مشاركة في الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[(٦)].

قال ابن كثير: قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله ووأده وغير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخصص بقوله

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٦.

(٣) المفهم ٤/١٥٩ - ١٦٠.

(٤) دليل الفالحين ص ١٥٠٦.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢/٢٢٦.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٦٤.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَٰلِ والأَوْلَٰدِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصي الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة.

وهذا الذي قاله مُتَّجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول الله عز وجل: إنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ. فجاءتهم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ))[1] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((لو أنَّ أحدَهم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلهُ قال: باسم الله، اللهمَّ جنِّبْنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزَقتنا، فإنه إن يُقدَّرْ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضُرُّهُ شيطانٌ أبدًا))[2]"[3]. فإذا دعا المسلم بهذه الدعوة سلم من هذه المشاركة ووُقي من شره"[4].

وتتجلى أهمية الاتباع للهدي النبوي في ذلك في الامتثال والاتباع لهدي النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[6]، وذكر الله عند إتيان الرجل أهله من أكبر الأسباب في وقاية الولد من الشيطان، كما جاء في الحديث: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

فما أروع هذا التوجيه النبوي الذي يدعو إلى البدء بذكر الله عند هذه الحال للإعلان عن هدفها السامي وطهارتها بخلاف نظرية بعض الأديان الأخرى التي تعتبر

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١، ومسلم ١٤٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٩٤ - ٩٥.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر القسمان الثالث والرابع ص ٣٠٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

هـذه العملية قذارة ولوثة مما هـو يصطدم مع الفطرة السليمة [١]، فما أجمل تعاليم الإسلام إذ تصبغ كل شيء في الحياة بذكر الله تعالى واستحضاره، إضافة إلى ما في ذكر الله تعالى من اعتراف بنعمه المتوالية، وآلائه المتتالية، وشكر له على تفضله وإنعامه وجوده وإحسانه، وفيه لجوء إليه وحده، واعتماد عليه دون ما سواه بالتعوذ به سبحانه من نزغات الشيطان[٢]، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يبنى ذلك المقام عليها، كما بني الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد ذلك في الحديث في الترغيب في ذكر الله إذا أتى الرجل أهله ببيان أن ذلك وقاية من ضرر الشيطان للولد، فقال ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

وفي ذلك ترغيب للمسلم أنه ينبغي عليه الإكثار من ذكر الله في كل حال، ومن ذلك عند إتيان الرجل أهله"[٤].

إن أسلوب الترغيب من أنفع الأساليب الدعوية وأجداها وذلك لملائمته لطبيعة النفس التي لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه [٥].

والترغيب له بالغ الأثر في غرس الطموح وعلو الهمة في قلب المؤمن وتطلعه دائمًا إلى الأفضل والأحسن وإحراز الخير ولا سيما الذي رغب فيه الشرع ودعا إليه الإسلام.

---

(١) تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، ط/٦ دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٢٥.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع ص ٨.

(٣) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ١٣٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٥٢٧/٢.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الانشغال بذكر الله:

إن منهج التربية الإسلامية يَرقُبُ في المسلم أن يكونَ ذا يقظة دائمة، فلا تختلجه وهده في أخلاقه، ولا تعتريه سقطه في سلوكه وآدابه، فهو منهج رفيع ينشد الكمال في تربية أبنائه، وحتى يتسنى تحقق ذلك رغم ما تعتريه الدنيا من فتن وشواغل، فقد أوجب هذا المنهج التربوي الفريد عدم الغفلة عن ذكر الله؛ "لما فيه من إنقاذ النفس من آلامها وأتعابها واضطرابها"(١).

وهذه ما جسده المربي الأول محمد ﷺ في حديث الباب من قول عائشة رضي الله عنها: «كانَ رسول الله ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الانشغال بذكر الله في نفوس المتعلمين كان عليهم ما يلي:

١ - مطالعة القلوب لأسمائه تعالى وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبها في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله انشغل بذكره في كل حالة"(٢).

٢ - تعاهد المتعلمين والمتربين بسيرة السلف الصالح في انشغالهم بذكر الله.

يقول أبو بكر الكتاني:

إنه قد جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى - أيام المواسم - فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا. فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني، ص٣٥ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٤٩/٣.

فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين"[١].

٣ - مراعاة التدرج في غرس الانشغال بذكر الله في قلوب المتعلمين، فلا يُكلف المتربي من أول وهلة بضرورة بلوغه الكمال في ذلك، بل التدرج أبلغ في الثبات وأقوى على المداومة.

ثانيًا: التربية على التحرز من الشيطان:

لقد ناصب الشيطان العداء لبني آدم، ولذا فإن النبي ﷺ حرص على تربية المؤمنين على التحرز من الشيطان، وذلك من خلال ذكر الله والاستعاذة بالله منه، وأوجب ما يكون به التحرز من الشيطان هو ذكر الله تعالى. وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب في قوله ﷺ: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره".

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله:

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة - أي التحرز من الشيطان - لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه. وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي "الوسواس الخناس" أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي: كف وانقبض، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس[٢].



(١) المرجع السابق، ٣/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٩٥.

٢٤٦- باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه

الحديث رقم (١٤٤٨)

١٤٤٨- عن حُذَيفَةَ، وأبي ذرٍ رضي الله عنهما، قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا أوَى إلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أحْيَا وَأموتُ**)) وَإذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: ((**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ**)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

النشور: الحياة بعد الموت، يقال نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه[2].

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث صحابيان جليلان هما حذيفة، وأبو ذر - رضي الله عنهما - وهو ما يزيد الخبر الذي يرويانه توكيدا وقولهما (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى أنها العادة الغالبة عند نومه أن يدعو بهذا الدعاء ويؤكده أسلوب الشرط في قوله (إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ) والعبارة كناية عن إرادة النوم، والتهيؤ له وجملة الشرط قول هذا الدعاء (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَموتُ) أي لا أنفك عن اسمك في حياتي ومماتي وهو إشارة إلى مقام

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٢، و٦٣١٤) من حديث حذيفة. والسياق للحميدي في جمعه (١/٢٨٥، رقم ٤٠٤): حيث قال: عن ربعي بن حراش، قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه، قال: (باسمك اللهمّ أحيا وأموت). وإذا أصبح. وفي رواية: إذا استيقظ قال: (الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور). وهذا لفظ حديث أبي حذيفة وتقدم برقم ٨١٧، وسيكرره المؤلف برقم (١٤٦٨)، الشطر الأول منه فقط.

(٢) النهاية في (ن ش ر).

التوحيد وقيل الاسم مفخم من قبيل سبح اسم ربك يعني أنت تحييني، وتميتني أراد به النوم، واليقظة فنبه على إثبات البعث بعد الموت، والتعبير بالإحياء، والإماتة عن النوم، واليقظة له بُعد نفسي وهو مقبل على النوم يشعره بالموت الأكبر لأنه في النوم يفارق روحه، ويغيب عن دنياه إلى عالم آخر ليس له فيه حول ولا قوة، وهو ما يشيبه في كثير من الوجوه حال الموت، وهذا الشعور يقرب له فكرة الموت، والبعث عن تجربة تقربه من اليقين مع بعثه على الاستعداد بصالح العمل، والاستغفار قبل كل نومة ينامها لا يدري إن كانت ستعاد إليه روحه أم لا، وقوله (وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ :((الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ) أسلوب شرط آخر يشير إلى عادته في الدعاء عند اليقظة، وقد بدأ بالحمد المنبيء عن النعمة برد الروح والطباق بين الإحياء والإماتة يقرر الحمد على نعمته المستغرقة للحالتين، وقوله، (وإليه النشور) تكميل بلاغي قرر معنى يضاف إلى ما سبق وهو أن المرجع إليه عند البعث، وهو تسليم للقلب والروح لله خضوعا وذلا يحقق راحة نفسية تقابل تسليم الجسد خلودا إلى الراحة بما يحقق للمؤمن التوازن المعين على تحقيق الغاية بعد.

المضامين الدعوية [1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتأمل:

إن من حكمة الله تعالى، أن جعل للإنسان في حياته أمورًا تشابه ما يحدث له في آخرته؛ ليكون دائم التذكر والاتصال بالله خوفًا ووجلاً وترقبًا للقائه تعالى، ولعل أبلغ ما جعله الحق في ذلك هو نوم الإنسان واستيقاظه، ففي النوم تذكر للموت، وفي الاستيقاظ تشبه بالنشور، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله ﷺ: إذا أوى إلى فِراشِهِ قالَ : «باسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وأحْيا» وإذا اسْتَيْقَظَ قالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أحيانا بَعْدَما أماتَنَا وإليهِ النُّشُورُ».

فيجب على المتربي والمتعلم "أن يتأمل ويتذكر عند نومه أنه نوع وفاه، وأن استيقاظه هو نوع بعث، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[2].

قال لقمان لابنه: يابني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت؛ وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد موتك فكذلك تبعث بعد موتك، وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن، واستقبل القبلة بوجهك، فإنها هي وفاة.

لذا يجب على المتربي والمتعلم أن يفتش عن ثلاثة عند نومه:

١- على ماذا ينام.

٢- ما الغالب عليه!! هل حب الله تعالى وحب لقائه أم حب الدنيا.

٣- ليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب"[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، ٦٢٢/٢ باختصار.

ثانيًا- التربية على شكر الله تعالى:

إن أعظم الناس شكرًا لله محمد بن عبدالله ﷺ، فهو إمام الشاكرين وسيد العابدين، لقد امتزج الشكر بأنفاسه، وسار في عروقه، ورسخ في وجدانه، وهذا ما ترائى في حديث الباب من قول حذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ.. إذا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن أعظم البلايا التي تصيب المرء، عدم استشعاره نعم الله تعالى عليه، وفي ذلك قال الشاعر:

ومنَ الرزيَّةِ أَنَّ شُكْرِي صَامِتٌ ... عَمَّا فَعَلْتَ وأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ

أأَرَى الصَّنيعةَ منكَ ثُمَّ أُسِرُّها ... إنِّي إذًا لنِدَى الكِرامِ لَسَارِقُ

والمرء إن نظر في نفسه وحاله ومن حوله، تربى على شكر الله جلَّ وعلا، فالله هو الذي خلقك -أيها المتربي-، وهو الذي رزقك، وهو الذي هداك للإيمان، وجمّلك بالإسلام، وأعانك على ذكره، ووفقك لشكره، فكل الفضل والمن والثناء والحمد والشكر له جل وعلا، ولكن مع ذلك فمن تمام نعمته، وعظيم بره، ووافر كرمه، ولطيف جوده، أن ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويوفقك إلى الثناء عليها، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك له، ويجعله سببًا لتوالي نعمه عليك، واتصالها إليك، ويمن عليك بالزيادة في الدنيا، والمغفرة في الآخرة، فهو يحب منك الشكر، ويرضاه لك، ويثيبك عليه، ومنفعته لك، وثمرته لك ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[1][2].

لذا وجب على المتربي والمتعلم أن يعي عظيم شكر الله، بعدم الغفلة عن حمده تعالى، والثناء على جميل إحسانه، وعظيم امتنانه سبحانه.



(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٦٢٢.

٢٤٧- باب فضل حلق الذكر

والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (١٤٤٩)

١٤٤٩- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أعْلَم[1] -: مَا يقولُ عِبَادي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟! قَالَ: يقولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً[2]، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً. فَيقُولُ: فماذا يَسْألونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فَكيفَ لَوْ[3] رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أنَّهُمْ رَأوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وأشدَّ لَهَا طَلَباً، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ[4] مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأوْهَا؟! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَارا، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)). متفق عَلَيْهِ[5].

---

(١) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٢) عند البخاري زيادة: (وتحميدًا) وليست عند المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٣) عند البخاري زيادة: (أنهم). وهي ليست عند المنذري.

(٤) (يتعوذون) لا توجد عند البخاري، وهي عند المنذري.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

وفي رواية لمسلم[1] عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إن للهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا، فإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ﷻ - وَهُوَ أعْلَمُ[2] -: مِنْ أيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْألُونَكَ. قَالَ: وَمَاذا يَسْألُونِي؟ قالوا: يَسْألُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أيْ رَبِّ. قَالَ: فكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأوْا نَاري؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَألُوا، وَأجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَومُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يلتمسون أهل الذكر: يطلبونهم[3].

هلموا: تعالوا، وأصلها من ها التنبيه، ومن: لُمّ أي: ضم نفسك إلينا[4].

فيحفونهم بأجنحتهم: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[5].

يمجدونك: يحمدونك ويعظمونك ويشرفونك[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩/٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

(٢) عند مسلم زيادة: (بهم).

(٣) النهاية في (ل م س).

(٤) القاموس المحيط في (هـ ل م).

(٥) فتح الباري (٢١٥/١١).

(٦) النهاية في (م ج د).

يتعوذون: يستجيرون ويعتصمون ويلجأون[١].

ملائكة سيارة: ملائكة سياحون في الأرض[٢].

فُضُلاً: زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق[٣].

عرجوا: صعدوا[٤].

ويهللونك: يوحدونك، يقال: هَلَّلَ الرجل قال: لا إله إلا الله[٥].

ويستجيرونك: يطلبون الجوار أي الأمان[٦].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما ورد في باب الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى جاء في حوار علوي بين الله والملائكة يقوم على السؤال، والجواب ومن المعلوم البين أن الاستفهام الصادر عن الله لا يقصد به حقيقته، وهي طلب الفهم لإحاطة الله بدقائق الكون، وإنما يقصد منه معاني بلاغية بحسب ما يقتضيه المقام وقوله تعالى، (ما يقول عبادي...؟) وقوله: (وهل رأوني ؟...) وقوله: (... وكيف لو رأوني؟...) هو استفهام إشادة، وتنويه بفضل الذاكرين من بني آدم، وتنبيه للملائكة إلى هذا الفضل وتلك المنزلة لأنهم ظنوا أنهم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء، وأنهم هم الملائكة الذين يسبحون، ويقدسون، فلقد نبههم إلى خطأ ما اعتقدوا، وصدق الله فيما أخبر، وأن بني آدم يسبحونه، ولم يروه، فأشار إلى هذا بقوله :(وهل رأوني؟...) فإذا أجابوه بالنفي قال (فكيف لو رأوني؟...) والملائكة يسبحون الله، ويقدسونه عن علم يقين بخلاف إيمان بني آدم الصادر على غيب، وهكذا يكرر هذا الاستفهام زيادة في التنبيه، والتأكيد على فضل الذاكرين فيسألهم (فما يسألونني؟...)

(١) النهاية في (ع و ذ).

(٢) شرح مسلم، النووي (١٥٨٨).

(٣) النهاية في (ف ض ل).

(٤) النهاية في (ع ر ج).

(٥) المعجم الوسيط في (هـ ل ل).

(٦) ينظر شرح مسلم، النووي (١٥٨٩).

فيجيبون (الجنة) فيسألهم (وهل رأوها؟...) وهكذا يكرر الاستفهام التقريري للملائكة تأكيدا على أن إيمان بني آدم وكلفهم بذكر الله مع أنهم لم يروه، ولم يرو جنته ليطمعوا فيها، ولم يروا ناره ليخافوا منها، ولكنه كان إيمان، وحب لله عن غيب، قال القسطلاني في شرح الحديث: (والحكمة في سؤال الله الملائكة عن العباد بيان فضل بني آدم للملائكة الذين قالوا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1] أي: (فهم الآن يشهدون لبني آدم أنهم أيضاً يسبحون الله، ويمجدونه عن غيب مع وجود الشهوات عندهم، وخلو الملائكة عن الشهوات والصوارف فيكون ذلك اعترافا منهم بفضل بني آدم...)[2] اعترافا ممثل في هؤلاء الذاكرين، وفي هذا تنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة، وحضورها وتكريم لأهلها، ولمن حولهم ببركتهم حيث أنعم عليهم بفيض غامر من المغفرة أحاط بهم في قوله (فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم)، وفاض على من حولهم، وهو ما قرره خلال الحوار بين الملك وبين ربه: (يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) وهو ما يشير إلى مدى الحفاوة بالذاكرين، ويرغب غيرهم في الانضمام إليهم ومشاركتهم في هذا الفضل العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) انظر الأحاديث القدسية جـ ١ صـ ١٧: ١٨.

سادساً: من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته.

سابعاً: من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق) والتوكيد من الأساليب الدعوية النافعة المقوية للدعوة، كما قال السيوطي: "إن التوكيد الغرض منه تقوية الكلام وإثبات صحته"[1]، وذلك ما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد كثيراً في تقرير قضاياه، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر:

إن مجالس ذكر الله تعالى تجلب رحمات الله وتستهوي ملائكته، فهم يلتمسونها ويحفون بها، إن مجالس الذكر مجالس الملائكة كما أن مجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة، وقد ورد في صريح الحديث التماس مجالس الذكر ومناداة بعضهم بعضاً لحضورها وشهودها فقال ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا)، وفي رواية مسلم: (فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عبدالرءوف سعد، ط/١ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٩٨٩م، ٣١٤/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٩.

قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[1]، ويحدقون بهم ويستديرون حولهم[2].

وجاء هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[3].

وقد عدّ ابن القيم ذلك من فوائد الذكر، فقال في فائدة الذكر الثانية والخمسون: "إن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم إلا مجلس يذكر الله تعالى.

كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يَطوفون في الطرُقِ يَلتمِسونَ أهلَ الذكر، فإذا وَجَدوا قوماً يذكرون الله تَنادَوا هَلمُّوا إلى حاجَتِكم، قال: فيَحفُونهم بأجنِحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل - وهوَ أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبّحونك ويُكبرونك ويَحمدونك ويُمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لاوالله مارأوك. قال: فيقول: كيفَ لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيداً، وأكثر لك تَسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنّة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيفَ لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوَّذُون؟ قال: يقولون: منَ النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مخافة. قال: فيقول: فأُشهِدُكم أني قد غَفرتُ لهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٩.

(٣) اخرجه مسلم ٢٧٠٠.

قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلَساء لا يَشقى جَليسهم))[1].

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم. فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[2]، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين وكل مضاف إلى شكله وأشباهه وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه"[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتجلى هذا الأسلوب في الحديث فيما دار بين الله والملائكة من حوار: (فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا الله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة... قال فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، والحوار من أساليب الدعوة النافعة، وتتجلى قيمته في تأثيره في بناء مفهوم أو غرس قيمة، أو تأثير في النفس حثها على الاستجابة، ومن أشكال الحوار، حوار السؤال والجواب[4].

ومنه ما جاء في الحديث من حوار بين الله وملائكته على هيئة سؤال وجواب، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٣١.

(٣) الوابل الصيب، ضمن مجموعة كتب الحديث ٢/٢٤٥.

(٤) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص ٤٧، ص ٨١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

إن الحوار العنصر الأساس للعلاقات الاجتماعية الإنسانية، ومنذ خلق الله تعالى آدم فإن كل العلاقات البشرية النافعة منها وغير النافعة ابتدأت بمرحلة الحوار، وبالتالي فإن الحضارات الإنسانية المترتبة على هذه العلاقات، إنما هي نتائج طبيعية للحوار الإنساني المعبر عن التفاعل والفكر المتبادل لبني آدم عليه السلام.

ولا شك أن أرقى أنواع الحوار هو حوار الدعوة إلى الله تعالى، ذلك هو حوار الرسل وأتباعهم، لفطرة الإنسان، ليجلو عنها ما ران وغبر ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[1].

ومن جنس هذا الحوار: حوار الدعاة بينهم، للقيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، ولكي يكون هذا الحوار متجانساً في رقيّه مع مقصوده، ولكي يحقق التفاعل اللازم؛ لتكامل عناصر القوة والخير في الوجود الإسلامي، فلا بد من فهم واستيعاب الضوابط الشرعية التي تحقق هذا المقصد العظيم، ومن مقاصد الحوار:

أ/ قصد نفع الآخرين للتفاعل مع الرأي المقابل: وهذا هو المشروع الذي يكتمل فيه الخير ويزدهر.

والمقصود بالتفاعل هنا هو: مراجعة محاور الرأي، أو الاجتهاد المعروض من قبله بالنظر والاعتبار إلى ما يعقب عليه الآخرون من معارضة أو تقييد أو نحو ذلك، مما يقتضي التعديل، والصيرورة إلى حقيقة ما تقتضيه هذه التعقيبات من تعديل أو الإجابة عليها، وإثبات عدم اقتضائها لذلك التعديل.

إن هذا التفاعل هو من أعظم أسباب رقي المعرفة والأخلاق، كما أن فيه تحقيق معنى الأخوة والتناصح، وتحقيق قوله ﷺ: ((المُؤمِنُ مِرآةُ المُؤمِنِ))[2].

وفي هذا التفاعل يتحقق معنى الجماعة، وما فيها من الرحمة: في التناصح

---

(١) الكهف، الآيتان: ٣٧ - ٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١٠).

والتسديد، وما فيها من القوة: في إضافة الصواب إلى الصواب، وفي تحويل الخطأ إلى صواب.

ب/ قصد نفع الآخرين بلا تفاعل مع الرأي المقابل: فهذا يريد أن يلقي كلمته ويمضي، وهذا لا شك فيه قصور مع ما قد يكون فيه من النفع، بغض النظر عن مستوى هذه المحاور، فقد كان رسول الله ﷺ يتفاعل في حواره مع أبسط الناس:

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرَ الرأسِ يُسمعُ دَوِيُّ صَوتِه ولا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتى دَنا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عنِ الإسلام، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: ((خَمسُ صَلَواتٍ في اليَوْمِ والليلةِ. فقال: هَل عَلَيَّ غَيْرُها؟ قال: لا، إلاّ أنْ تَطَوَّعَ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: وَصِيامُ رَمَضانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غيرُهُ؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال وَذَكرَ له رسولُ اللّهِ ﷺ الزَّكاةَ، قال هلْ عَلَيَّ غيرُها؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال فأدْبرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يقولُ: وَاللّهِ لا أزيدُ عَلَى هذا ولا أنقُصُ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ))[1].

فمن لا يتفاعل فإنه يسور عقله وأخلاقه بسور يمنعه التصحيح إن كان مخطئاً، ويمنعه الارتقاء والإبداع فيما عنده من الخير، ثم يمنعه معرفة حقيقة قدره فيوقعه ذلك في أخطاء أخرى[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار:

لقد جاءت النصوص متضافرة على أهمية سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وذكر أن ذلك من صفات المؤمنين، كما هو واضح في الحديث، (قال: فيقول: فما يسألون؟، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، فيقول:

(١) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١.

(٢) انظر: افتتاحية مجلة الحكمة، العدد: الثامن ص ١١ - ١٢.

فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم).

وذكر القرآن استعاذة أهل الإيمان من النار وسؤالهم الجنة وإجابة الله لهم بذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1].

وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم سؤال الله الخير، والجنة والاستعاذة من النار[2]، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ علمها هذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ، قَضَيْتَهُ لِي، خَيْراً))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١ - ١٩٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/ ٢٠٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٠٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٤٥١).

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات:

إن فضل الله تعالى على ذاكريه عظيم لا يدانيه فضل ولا يجاوزه عطاء، وفي الحديث إشارة إلى بعض أشكال هذا الفضل والتي منها:

أ/ مباهاة الله بهم الملائكة وذلك في سؤاله لهم عن أحوال عباده الذاكرين، فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال ابن حجر: "وقيل إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1]، فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك؟ وضاهوكم في التسبيح والتقديس، وقيل: إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة، لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف الملائكة في ذلك كله"[2].

"وقد جاء التصريح في بعض الأحاديث بمباهاة الله الملائكة بذاكريه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد... وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[3]. أي: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"[4].

ب/ مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) فتح الباري ٢١٧/١١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

جاء ذلك في قوله: (فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، فيقول: وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

جاء في القرآن أن الذكر من بين الأعمال التي يثيب الله عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً وهو الجنة[2].

سادساً- من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته:

أشير إلى ذلك في الحديث من التبشير للذاكرين بالمغفرة لذنوبهم بل ولمن جالسهم ولو لغير الذكر، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم، لذا ينبغي على الداعية ألا يهمل في دعوته جانب التبشير، فإن التبشير من الأهمية بمكان، ففيه انشراح الصدر وسعادة القلب واستقرار النفس، وراحة البال، ومن بواعث حب المبشَّر لمن يبشره، واستئناسه به[3]، مما يعود بالنفع على الداعي ودعوته.

وقد كان التبشير أحد الركائز الرئيسة في دعوته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4]، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة في الآية على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[١].

لقد بعث الله النبيين عليهم السلام لهداية الناس وجعل منهجهم في الدعوة إليه التبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

والآيات في ذلك غير ما ذكر كثيرة، وعن عطاء بنِ يَسارٍ قال: لَقِيتُ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: ((أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التَّوراة، قال: أجَل، والله إنَّه لَموصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتهِ في القرآن: يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلناكَ شاهِداً ومبَشِّراً ونذيراً وحِرْزاً للأميِّين، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكلَ، ليس بفَظٍّ ولاغليظٍ ولاسَخَّابٍ في الأسواقِ، ولايدفعُ بالسَّيِّئةِ السيئَةَ، ولكن يَعفو ويَغفِرُ، ولن يَقبضَهُ الله حتَّى يُقيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوجاءَ بأنَ يقولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهُ ويُفتحُ بها أعيُنٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غُلْفٌ)).

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٥٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٥.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٦) سورة هود، آية: ٢.

(٧) سورة مريم، آية: ٧٩.

(٨) سورة الأحقاف، آية: ١٢.

تابَعَهُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلَمَةَ عن هلال عن عطاء عن ابن سَلامٍ[1].

سابعاً- من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في شمول مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم، قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، (قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، لذا ينبغي على المسلم الحرص على مجالسة أهل الخير والصلاح واتخاذهم القدوة، فإن من آداب الذاكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله تعالى، الذين يذكرون الله تعالى ويعينون على ذكره ويذكّرون المسلم بمولاه[2]، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[3].

ولله در القائل:

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً	أهدوك من نورهم ما يتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم	بوصفهم ذكروك الواحد الباري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرت، والسيئ المفلس من إذا ذكرك الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك[4].

ثامناً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً بيناً، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى بما ورد في الحديث من مباهاة الله لملائكته بذكر الذاكرين له، وبمغفرته سبحانه وتعالى لهم ولمن جالسهم، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم).

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٥.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي أبو عراد ص ٣٨.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الرئيسة في الدعوة التي لا غنى للداعية عنها، لما فيها من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والعمل الصالح من مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله، وعدم إهماله من قبل الداعية المسلم[2].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب، كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[3].

ينقل ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال: "خطبنا أبو بكر الصديق ﷺ ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[4][5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي ١/٥٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/١٩٣.

الحديث رقم (١٤٥٠)

١٤٥٠- وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما ، قالا : قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عز وجل إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وغشيتهم الرحمة: عَلَتْهم الرحمة[2].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى عطايا الله تعالى للذاكرين، وحفاوته بهم، وحفاوة ملائكته، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة بغرض الذكر لله - عز وجل - على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، ونزول السكينة مع ذكر الله لهم في الملأ الأعلى، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وألفاظ الحديث تفيض بسيل من المعاني الغامرة بأنواع الفيوضات الإلهية منها الفعال (يذكرون - حفتهم - غشيتهم - نزلت - ذكرهم) ، والأفعال تصور الحركة الدائمة الدؤوبة لهؤلاء في الذكر وللملائكة بأنواع الإتحاف من ربهم ومن السماء التي اشتملها الحديث والتي تقرر هذا الفيض (الله - الملائكة - الرحمة) مما يشيع الطمأنينة، والخشوع، والسكينة، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيتْهُمُ

---

(١) برقم (٣٩/٢٧٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٣٨).

(٢) النهاية في (غ ش ي).

الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأكثرها ثواباً فهو سبب لنزول الرحمة والسكينة، كما جاء في الحديث: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

قال النووي: "وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا - أي مذهب الشافعية - ومذهب الجمهور، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، فإن الحديث جاء مطلقاً دون تقييد لمسجد وغيره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل...)، أما الأحاديث التي جاءت بتقييد الذكر في المساجد فإنها خرجت مخرج الغالب"[1]، وذلك مثل قوله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[2].

قال ابن القيم مبيناً فضل الذكر وعلو منزلته: "والذكر منزلة القوم الكبرى التي

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه[1]، وإن ذكر الله يشعر المؤمن دائماً بمعية الله، ويجعله في أنس دائم بربه ونعيم موصول بقربه، يحس أبداً بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاقرين، ينشد ما قاله العبد الصالح يناجي ربه:

إن قلباً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج[2]

وكفى بذكر الله فضلاً ذكره لمن يذكره، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3].

إضافة إلى ثناء الله على الذاكرين وما أعده الله لهم من كريم الأجر وجزيل الثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[4].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٠١ - ١٠٢، تاريخ دمشق قافية الجيم ٦٦/٧٧، المدهش لابن الجوزي ١/٢١٥، والأبيات للشاعر: عبدالصمد ابن المعذل.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه:

جاء في الحديث جانباً من جوانب عطاء الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة)، أي: طافوا وداروا حولهم يحدقون بهم تشريفاً لهم وتنويهاً لما هم فيه من الذكر، (وغشيتهم الرحمة)، أي: آثارها من الفيض والفضل[١]، (ونزلت عليهم السكينة)، أي: الطمأنينة والوقار[٢].

وقال ابن علان: "قال التوربشتي: هي الحالة التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب، وقيل: هي ملكة تسكن قلب المؤمن وتؤمنه"[٣].

(وذكرهم الله فيمن عنده)، ففي مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة، وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فربما رُحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنباً، وربما بكى فيهم باكٍ من خشية الله فوُهِب أهلَ المجلس كلُّهم له، وهي رياض الجنة[٤].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا))، قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[٥].

والرياض: جمع الروضة، وهي: أرض مخضرة بأنواع النبات، وجعلت حلق الذكر رياضاً للجنة، بناء على أن العبادة سبب للحصول في رياض الجنة.

قال الطيبي: "اعلم أنه كما يستحب الذكر، يستحب الجلوس في حِلَق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، والذكر قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان والأفضل منهما ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل. وينبغي أن لا يترك الذكر باللسان مع القلب بالإخلاص خوفاً من أن يظن به الرياء. وقد نقل عن

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٣) دليل الفالحين ص ١٥١٢.

(٤) لطائف المعارف ص ٤٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٧).

الفضيل ترك العمل لأجل الناس رياء. وقال: لو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والإحتراز عن طرق ظنونهم الباطلة لا نسد عليه أكثر أبواب الخير،وأضاع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين، وليس هذا من وظيفة العارفين. وأن يكون على أكمل الصفات بأن يكون جالساً مستقبل القبلة، متخشعاً مع سكينة ووقار، مطرقاً رأسه، وأن يكون الموضع خالياً نظيفا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور.

وينبغي أن يدوم على الذكر إلا زمان قضاء الحاجة، والجماع، وسماع الخطبة في الجمعة وغيرها، وفي القيام للصلاة، وفي حالة النعاس، ولا يكره في الطريق، ولا في الحمام. وينبغي أن يحضره قلبه؛ لأنه هو المقصود في الذكر فيتحرى في تحصيله، ويتدبر ما يذكره. والمذهب الصحيح أن أولى الأذكار قول: لا إله إلا الله، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة. وإذا اعترضت للذاكر أحوال يستحب له قطع الذكر، ثم الإعادة بعد زوالها، منها رد تسليم الداخل عليه، وتشميت العاطس، وجواب المؤذن في الأذان والإقامة، ورفع المنكر والإرشاد إلى المعروف عند رؤيتهما، وإجابة المسترشد، وما أشبه ذلك كله في الأذكار"[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث الترغيب في ذكر الله ومجالسه ببيان أنه سبب لنزول الرحمة والسكينة وحف الملائكة فضلاً عن العطاء الأعظم وهو ذكر الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وحثه على الطاعة والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها[2].

كذلك سنة رسول الله ﷺ؛ فلقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٣٦/٤ - ٢٣٧.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢٧.

عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه العزيز أن يذكر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]"[2].

ولأهمية الترغيب وقوة تأثيره في النفوس قدم الله في الآية التبشير على الإنذار فقال: (مبشراً ونذيراً)، قال الطاهر بن عاشور: "وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين ولكثرة عدد المؤمنين من أمته، والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم.

وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير مج٩/٢٢/٥٣.

الحديث رقم (١٤٥١)

١٤٥١- وعن أَبي واقدٍ الحارث بن عوف ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثنَانِ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَى رسولِ الله ﷺ. فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: ((ألاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأوَى إلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ، فَأعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

الحارث بن عوف: وهو أبي واقد الليثي.

له صحبة برسول الله ﷺ.

وقد شهد بدراً، وقيل إنه لم يشهدها، وكان قديم الإسلام، وكان معه لواء بني ليث، وحمزة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وقد شهد اليرموك بالشام، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ ويعدُّ من أهل المدينة، وكان قد خرج إلى مكة فجاور بها سنة، ومات بها، ودفن في مقابر المهاجرين، وتوفي سنة ٦٨هـ وهو ابن ٧٥ سنة وقيل ٨٥ سنة[2].

غريب الألفاظ:

فُرجَة: ثغرةٌ بين الصفِّ[3].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦/٢٦) ولفظهما سواء.

(٢) الإصابة (١٥٧٨-١٥٧٩)، الاستيعاب (٨٦٥)، سير أعلام النبلاء (١٣٥٣/١)، تهذيب التهذيب (٦٠٤/٤)، تهذيب الكمال (٤٥٤/٨)، أسد الغابة (٣١٩/٦-٣٢٠).

(٣) النهاية في (ف ر ج).

ولا واحد له من لفظه[١].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي نموذجا واقعا يصور حال الناس في تعاطيهم لذكر الله تعالى، منقولا عن قصة وقعت في أفضل المجالس، وهو مجلس الذكر، وفي أفضل مجالس الذكر مع رسول الله ﷺ والقصة شخصياتها ثلاثة مع رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وهو ما صوره الصحابي بقوله (بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ) وقوله، والناس معه يشير إلى أنه حدث مشهود ومجلس علم وذكر قائم، وقوله (فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ) يشير إلى التباين في المواقف بين الرغبة في الخير العميم، أو الإعراض عنه جهلا، وتكاسلا أو تكالبا على الدنيا، وهو ما قسم الثلاثة إلى قسمين واحد أعرض، واثنين وقفا، وقد وصف تصرفهم وتعاملهم مع الموقف في قوله (فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا) فما كان لرسول ﷺ أن يدع الموقف يمر دون أن يستثمر الحدث في التعليم، والإرشاد إلى أبواب الخير فجاء استفهامه تنبيها للحدث، وتشويقا للنتيجة المترتبة عليه (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ) وهو إجمال في العدد ثلاثة يتلوه تفصيل لحالهم يحقق التشويق، ويحقق التوكيد ثم فصل حالهم بقوله (أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) وفي العبارة جناس بين قوله فَأَوَى، وقوله: فَآوَاهُ، وبين قوله فَاسْتَحْيَى وبين قوله فَاسْتَحْيَى، وأيضا بين قوله فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ، وهذا الجناس بين هذه الكلمات يؤكد المعنى من جهة، ويقرر أن الجزاء من جنس العمل من جهة أخرى، ونسبة الإيواء، والاستحياء، والإعراض لله في مقابلة فعل الثلاثة لهذه الأفعال إشارة إلى قوة الأثر المترتب على الفعل لأن إيواء الله لها أبعادا تفارق ما في علمنا، وكذلك إعراضه، كما يوحي بأن الإنسان هو الذي يقرر نتيجته بالمقدمة التي سبقتها، والقصة تقرر عظمة مجالس الذاكرين التي تستلزم إيواء الله لأهلها، وحياءه منهم الذي يستلزم مغفرته لهم.

---

(١) النهاية في (ن ف ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى.

ثالثاً: من آداب الداعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها.

رابعاً: من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً -من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم:

إن مجالس العلم وذكر الله تعالى رياض من رياض الجنة، كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مَرَرْتُمْ برِيَاضِ الْجَنَّةِ فارْتَعُوا))، قالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[1]، والحديث ينقل لنا صورة من صور مجالس العلم والذكر التي كان يعقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم، فعن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر.

وقد وردت الإشارة في القرآن إلى فضل مجالس العلم، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾[2]، قال سفيان والضحاك في هذه الآية: "يعني: مجلسهم يتفقهون"[3].

فالتفقه في الدين والعلم هادٍ لصاحبه، وهو تركة الأنبياء عليهم السلام وتراثهم، وأهله عصبتهم وورّاثهم وهو حياة القلب ونور البصائر وشفاء الصدور، وبالعلم تعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال والحرام، وغير ذلك[4].

وقال أبو بكر الآجري: "العلماء في كل حال لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ٩٦/١.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٤٦٩/٢.

العلم وفي مجالستهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيم تعلموا العلم لهم فيه فضل، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعنا الله وإياهم بالعلم"[١].

إن العلماء تحملوا على عاتقهم تعليم الأمة وتفقيهها استجابة لمراد الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢].

إن المعرفة والعلم في مفهوم الإسلام وصريح السنة النبوية؛ أمانة يسأل عنها الفرد وتستنطق لها الجماعة، وليست القضية سلعة للاحتكار ولا وسيلة للسيطرة وأداة للبغي والعدوان والتغلب؛ بل هي مسؤولية تؤدى ورسالة تبلغ من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، تنمو مع الأيام، وتكثر خيراً ونفعاً مع الأعوام.

وقد وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، والتف الناس حوله منصتين متعلمين فذكر وعلّم وأرشد، وقال لهم بعد ذلك: ((لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ))[٣].

لقد وقف في حجة الوداع في العام العاشر للهجرة، وجاءه العرب من كل مكان وأحاطوا به صلوات الله وسلامه عليه وأصاخوا للخطبة وأصاخ معهم الزمن، فعلّم وفهّم، وسدّد وقوّم، ثم قال: (الا لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ).

وجاءه وفد عبدالقيس من البحرين، فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة بيننا وبينك هذا الحي من مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمُرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع... وقال لهم: ((احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ))[٤].

---

(١) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن حسين الأجري، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الإسماعيلية، مصر بدون تاريخ، ص ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٣.

وقوله ﷺ (احفظوه)، وفي رواة: (احفظوهن وأخبروهن من وراءكم)، فيه دليل على الأمر بحفظ العلم، والوصية عليه والحض على حمله وشد الرحلة في سبيله، ونشره وتبيينه لمن لم يحضره، وكذلك عملهم هذا دليل على النيابة في العلم.

إن الذين يقومون بمهمة البلاغ للأجيال وأداء الأمانة للآتين، هم جمال الأمة، وأنوارها المضيئة، ومشاعلها المتقدة، فإذا كثروا استنارت جنبات المجتمع، وعمّه الهناء والضياء، وإن ندروا وانقرضوا أظلمت حياة الأمة، وتردّت في وهاد وأودية سحيقة[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى:

وردت الإشارة إلى فضل الحياء في الحديث: (وأما الآخر فجلس خلفهم)، أي: خلف أهل الحلقة[2]، وذكر النبي ﷺ الدافع لهذا الصحابي وجزاء الله له، فقال ﷺ: (وأما الآخر فاستحيا)، أي: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي ﷺ وممن حضر، قاله القاضي عياض، وقيل: المعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث، فاستحيا الله منه، أي رحمه ولم يعاقبه [3].

والحياء أفضل الأخلاق، ولا أدلّ على ذلك من كونه من الإيمان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ على رجُلٍ منَ الأنصارِ. وهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحياء. فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فإِنَّ الحَياءَ مِنَ الإِيمانِ))[4]. وذلك أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها ويحول بين المؤمن وبينها[5]، وقال ابن الأثير: "وإنما جعله بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان"[6]، فالحياء من خصال الإيمان وحسن الإسلام، وينتج عنه إقبال العبد على الطاعة وهجر المعصية

---

(١) أسس العلم وضوابطه في السنةالنبوية، د. فاروق حمادة، ط/ دار طيبة، الرياض: ١٤١٧هـ، ص ٥١، ٥٢.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٩/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٨، ومسلم ٥٩.

(٥) لسان العرب في (ح ي ي).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٢٠٦.

خجلاً من الله سبحانه وتعالى، كما أن الحياء دليل على كرم السجية وطيب المنبت[1].

قال الماوردي: "سمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاءة وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاءة شراً أن يكونا إلى الشر سبيلاً، وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وقال بعض البلغاء: حياء الوجه بحيائه، كما أن حياء الغرس بمائه"[2]، وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قَلَّ مـاءُ الوَجْـهِ قَلَّ حياؤه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قَلَّ ماؤه

حياءك فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

وجاء في الخبر: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئتَ وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء حيث ورد في أصول الفقه أن من لم يستح دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستح المرء فإن الحياء يردعه".

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ))[3].

فالتخلق بالحياء فيه خير للفرد والمجتمع حيث يحض على فعل الحسن وترك القبيح، هذا عن الحياء الشرعي، وأما الحياء الذي ينشأ عنه إخلال بالحقوق والخوف من مواجهة من يرتكب المنكرات فليس شرعياً، بل عجز وخور وإن سمي حياء لمشابهته للحياء الشرعي في الصورة الخارجية [4].

والحياء أنواع:

أ/ الحياء من الله تعالى بالامتثال لأوامره تعالى والكف عن زواجره، وذلك لأن

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٨١٤/٥.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦٨.

(٤) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم عيد الهلالي ١٠/٢.

الحياء من الإيمان بوصف أنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنعه الإيمان ذاته، يقول رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: ((اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الحيَاء)). قالوا: إنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالحمدُ لله، قَالَ: «لَيْسَ هذا وإنما الحياء: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ، وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ المَوْتَ وَالبِلَى))[1].

ب/ الحياء من الناس بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وهو من كمال المروءة وحب الثناء، وقد وردت الأحاديث كثيرة في هذا المعنى، منها:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ...))[2].

ج/ الحياء من النفس وذلك بالعفة وصيانة الخلوات، وهو من الفضيلة وحسن السريرة، يقول الله تعالى موضحاً أنه مطلع على كل صغيرة وكبيرة في النفس: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[4]، ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5].

وبكمال الحياء طبقاً لما سبق فقد كملت أسباب الخير والسعادة[6].

ثالثاً – من آداب الدعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها:

إن من الوظائف الرئيسة للدعاة بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[7]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٥٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

(٢) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٣) سورة غافر، آية: ١٩.

(٤) سورة ق، آية: ١٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١١ – ٢١٤.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ومن ذلك بيان وتفصيل الأمور التي تغيب عن المدعوين وتنبيههم عليها، ومثال ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لحال النفر الثلاثة ونتائج أحوالهم، قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه).

وفي ذلك بيان الإقبال على الله سبحانه والاستحياء منه وثمرتهما وبيان الإعراض عن الله وعاقبته، وفي ذلك البيان دعوة للمدعوين لأخذ الحيطة والحذر، ومن أجل ذلك كانت الدعوة للعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]، أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[3].

رابعاً- من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم:

وردت الإشارة في الحديث إلى العاقبة الوخيمة للإعراض عن العلم ومجالسه، فقال ﷺ عن ذلك الذي أعرض عن مجلس علمه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه، قال ابن حجر: "أي: سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون منافقاً واطلع النبي ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ (فأعرض الله عنه)، إخبار أو دعاء"[4].

وقال ابن علان: "وفيه ذم الإعراض عن مجلس العلم بغير عذر، وأن من أعرض كذلك فقد تعرض لسخط الله فإنه أخبر بأن الله أعرض عنه"[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٣١٢.

(٤) فتح الباري ١/١٨٩ - ١٩٠.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.

وقد ذم الله الإعراض عن الهدي والحق وبيّن أن ذلك سبب للشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

"أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره، وقوله: (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فتلك غاية من لا خير فيه والإعراض عن منهج الله وعن العلم الذي يوصل إليه ويدل عليه دليل نقص الإيمان سفاهة الأحلام، ودليل الكبر والحسد، وهما الدافعان إليه في العادة[3][4].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جاء أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث في معرض بيان رسول الله ﷺ أحوال النفر الثلاثة وتفاوت جزائهم، فرغب النبي ﷺ في الإقبال على الله والاستحياء منه ببيان أن ذلك سبب لإقبال الله على العبد ورحمته به، ورهّب من الإعراض عن الله ببيان أن ذلك سبب لسخط الله وانتقامه، فقال ﷺ: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعاً وأنفذها إلى القلوب، ولقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦٤/٧.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٩٢٦/٩.

وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر ويعظ ويقصُّ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر، وسماه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾(١)، والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رضي الله عنهم رقة القلوب، الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة(٢).

والترغيب والترهيب هما ركنا الموعظة الحسنة التي هي أبرز وسائل الدعوة، وقد أمر الله تعالى بهما في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣)، قال ابن القيم: "والموعظة الحسنة: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٥)، قال السعدي: "أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون فيكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله"(٦).

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم ص ٣٤٤.

(٥) سورة النور، آية: ٣٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٧.

الحديث رقم (١٤٥٢)

١٤٥٢- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: خرج معاوية رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللّهَ. قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إلاَّ ذاك؟ قالوا[1]: مَا أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أما إنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي: إنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: ((مَا أجْلَسَكُمْ؟)) قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسْلاَمِ؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟)) قالوا: واللهِ مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قَالَ: **((أمَا إنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أتَانِي جِبرِيلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ))**. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

حلقة: الحلقة كل شيء استدار، ويقصدون بها هنا مجلس العلم والذكر[3].

تهمة: وهماً وظناً[4].

مَنَّ: أنعم وأعطى من المَنّ: أي العطاء لا من المِنَّة وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه[5].

يباهي: يفاخر[6].

---

(١) عند مسلم زيادة: (والله).

(٢) برقم (٢٧٠١/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧) بدون ذكر القصة.

(٣) الوسيط في (ح ل ق).

(٤) النهاية في (ف ر ج).

(٥) النهاية في (م ن ن).

(٦) النهاية في (ب هـ و).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين انتقال النور من جيل جيل في سلسلة الأطهار ويروي الحديث أبو سعيد رضي الله عنه عن معاوية رضي الله عنه الذي يمثل أحد أطراف الحوار في الجيل الثاني من الذاكرين في الحديث، وقد صدر استفهامه متابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في سؤاله لأصحابه (مَا أَجْلَسَكُمْ ؟) وهو استفهام يرصد به لما يريد أن يقرر من فضائل الذاكرين وقوله (آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذاك) تقرير، وتوكيد، للمعنى الذي قرروه بجلوسهم للذكر لا لغيره مع ما يوحي به من تعظيم لحالهم، وقول معاوية رضي الله عنه (أما إِنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ) قال الطيبي رحمه الله أي فأردت أن أتحقق ما هو السبب في ذلك فالتحليف لمزيد التقرير والتأكيد لا لتهمة كما هو الأصل في وضع التحليف فإن من لا يُتَّهم لا يُحلَّف، وقد قص معاوية رضي الله عنه ما كان من الجيل الأول للذاكرين مع رسول الله، وقد خرج عليهم فسألهم (مَا أَجْلَسَكُمْ ؟) تقريرا للصحابة بما هم عليه ليرتب عليه ما يرصد له من تقرير فضل الذاكرين، وتأمل إجابة الجيل الأول، وشدة إحساسهم بنعمة الإسلام وتقديرهم للنعمة في قولهم (جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا) بينما أجاب الجيل الثاني بقوله (جلسنا نذكر الله) وفرق بين الذكر مع عمق الإحساس بالنعمة، والذكر المجرد ثم تأمل إحساسهم العميق الدقيق المرهف بطريقة التعبير وموازنة الرد للسؤال توكيدا، وتقريرا حيث أجابوا بقولهم (واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ) حيث ردوا بما يتساوق مع صيغة السؤال المؤكدة بالقسم فردوا بنفس درجة التوكيد، وفي الجيل الثاني ردوا دون توكيد (مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث (ولكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) استدراك لبيان سبب التحليف مع تقرير المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث، والذي اقتدى به معاوية بنفس الصيغة، وقرر هذا المعنى متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قرر تلك الصورة (أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) وهي كناية عن حفاوة الله بهم وعظم منزلتهم، ورضاه عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل معاوية رضي الله عنه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذكر الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة.

سادساً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تبشير أهل الذكر.

سابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل معاوية رضي الله عنه:

جاءت الإشارة في الحديث إلى فضل معاوية رضي الله عنه وذلك في قوله رضي الله عنه: (وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني)، قال ابن علان: (قوله: "وما كان أحد بمنزلتي"، أي: بمكانتي وقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لكون أخته أم حبيبة، أم المؤمنين، ولتألف النبي صلى الله عليه وسلم له لما علم فيه من السر الإلهي المصون)[1].

فكان رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، قال أبو نعيم: "كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً"[2]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يثق به، ويعده من الفقهاء، وقال: ما رأيت رجلاً هو أخلق للملك من معاوية، لم يكن بالضيّق الحصر"[3].

ومما يدل على فقه معاوية رضي الله عنه في الحديث واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في كلامه، قال معاوية رضي الله عنه لمن خرج عليهم في المسجد: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟)، قال الأبي: "أما استحلاف معاوية لهم

---

(١) دليل الفالحين ١٥١٤.

(٢) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧٩٩/٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٤٠٠/٢٤ - ٤٠١.

فهو اتباع لرسول الله ﷺ"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذكر الله تعالى:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على الخير، ومنه ذكر الله تعالى، والحديث ينقل لنا صورة من صور حرصهم واجتماعهم على ذكر الله تعالى وذلك في حياة الرسول ﷺ، (إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا)، وكذلك كان على العهد بعد مماته، خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد، وذلك امتثالاً منهم لأوامر الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢].

أي: اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ذكراً كثيراً يعم الأوقات والأحوال، ذكراً كثيراً بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية، وعلى كل حال وسبحوه في أول النهار وآخره ليسري أثر التسبيح فيهما بغية النهار والليل لأن ذكره وتسبيحه يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال"[٣].

ولما علموه من فضل الذكر وما وعد الله عليه من المغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً، وهو الجنة[٥].

لقد جعل النبي ﷺ الفرق بين الذاكر لربه وغير الذاكر كذاك الفارق بين

(١) إكمال إكمال المعلم، نقلاً عن كتاب: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ٤٣٢/١١.

(٢) سورة الأحزاب، الأيتان: ٤١ - ٤٢.

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي مج ٢٧٨/١٣/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

الحي والميت، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[١].

إن الذي لا يذكر الله تعالى مثل الإنسان الميت، والذي يذكره مثل الإنسان الحي، لأن الذكر فيه حياة للقلوب والأرواح فهو غذاؤها تحيا به وتموت بانقطاعه عنه وفي ذلك تحذير من الغفلة ونسيان الله تعالى الذي يميت القلب والروح وحث على فضل الذكر لأنه حياة للقلوب والأرواح[٢].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استعمال هذا الأسلوب في الحديث في سؤال رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وجوابهم عليه، فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا..)، وأسلوب طرح الأسئلة والإجابة عليها من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لما توجده عند المدعوين من الاستعداد الفكري والنفسي لمعرفة الإجابات على تلك الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك[٣].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في دعوة الناس وتوجيههم وإعدادهم إعداداً إسلامياً صحيحاً.

وأسلوب الاستفهام يدفع بالمدعو إلى المشاركة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٤٢٥ بتصرف.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٥٨/٢ - ٥٩.

ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[(١)].

إن أسلوب الاستفهام والمناقشة، يساعد على التوضيح والتفهيم ويستخدم كوسيلة إيضاح للعقيدة وأحكامها، بعرضها عرضاً بسيطاً وسهلاً خالياً من التعقد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة[(٢)].

ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما استخدمه النبي ﷺ من استفهام ومحاورة مع معاذ بن جبل رضي الله عنه فروي عنه أنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ. ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْلِ. فقال: ((يا معاذ بن جبل)) قلت: لبيك رسول اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هل تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ))[(٣)].

وذكر ابن حجر من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه[(٤)].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ رضي الله عنه الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم. ومثل هذا يقول الرسول ﷺ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟)) قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني بركة ص ١٧٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٨٧.

(٤) المرجع السابق ١١/ ٤١٢.

أَعْلَمُ. قَالَ: ((ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ((إِن كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ))[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ أما إني لم استحلفكم تهمة لكم...)، والقسم أسلوب دعوي يرد استعماله تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء أو جمعاً للانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم، وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[2]

وقد حفل القرآن بالقسم في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[4].

ولقد جمع بعض العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتفصيل ومن ذلك كتاب: (التبيان في أقسام القرآن، للإمام ابن القيم)، وذكر في مقدمته لهذا الكتاب أن من أهداف إيراد القسم والإتيان به التوكيد والتحقيق[5].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة:

ورد ذلك في قوله ﷺ لمن خرج عليهم وهم يذكرون الله تعالى، "ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩، والبيت لزهير بن أبي سلمى - العصر الجاهلي - قافية الهمزة البحر الوافر التام، انظر: لسان العرب ٢٢٦/٥، والعقد الفريد ٢٤٦/٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٥) انظر: التبيان في أقسام القرآن ص ١٥.

قال القاضي عياض: "وقوله في أهل الذكر: (إن الله يباهي بكم الملائكة)، أي: يظهر للملائكة فضلهم ويريهم حسن عملهم ويثني عليهم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال"[1].

قال النووي: "معناه: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"[2].

قال ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: "ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله"[3]، فإن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخذ العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة[4].

وقد وصف الله عباده الذاكرين بكامل الصفات والتي منها ملكة العقل والتفكير في ملكوت الله والانتفاع بآياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5].

سادساً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على اتباع هدي النبي ﷺ في تبشير أهل الذكر:

جاء ذلك واضحاً فيما قام به معاوية ﵁ من تبشير أهل الذكر، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: خرج معاوية ﵁ على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم)، وساق لهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من تبشير لأهل الذكر، فقال: (إن رسول الله ﷺ

(١) إكمال المعلم ١٩٦/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ٢٦٧/٢.

(٤) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٤.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك، أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته).

وذلك بيان لمدى أهمية وقيمة البشارة، فهي سبب لاستقرار النفس وراحة البال وجلب الطمأنينة وسكون النفس ورفع الروح المعنوية، فضلاً عن أن لها أثرًا طيبًا في تحبيب المبشّر لمن يبشره واستئناسه به[1].

ولذا كان التبشير صفة لرسول الله ﷺ ومنهجاً في تبليغ دعوته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[3].

سابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً جلياً، وذلك في ترغيب النبي ﷺ في الذكر بمباهاة الله ملائكته بذاكريه، (ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة).

والترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لملائمته لما جبلت عليه النفس البشرية، فالنفس البشرية لها خاصيتها التي فطرها الله عليها، والنوازع التي جبل عليها البشر من أهم ما تجب معرفته لمن يريد التعامل مع تلك النفس، وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣/ ٨١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/ ٢٢/ ٥٣.

سلوكهم[١]، واستخدم القرآن أسلوب الترغيب في كثير من آياته، من ذلك ما جاء في مجال الذكر مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣].

قيل في تفسيرها:

أ/ فاذكروني أذكركم بإعطاء الآلاء والنعماء، لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤].

ب/ فاذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

ج/ فاذكروني بالاستغفار أذكركم بالغفران، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٦].

د/ فاذكروني بالصبر أذكركم بأوفى الأجر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٧].

هـ/ فاذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٨].

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

(٦) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٧) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٨) سورة الطلاق، آية: ٣.

و/ فاذكروني بالمجاهدة أذكركم بالهداية، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

ز/ فاذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2][3].

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية:٧١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي مج١/٢/١٧١ - ١٧٢، وانظر: كتاب: "الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العقيدة الصحيحة:

إن التربية على العقيدة الإسلامية وغرسها في نفوس المتعلمين، من أهم الأسس التربوية التي يربي عليها النشء المسلم، والعقيدة الإسلامية التي يجب على المربين تعميقها في نفوس الأفراد والجماعات هي: الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أصول الدين وأموره وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع[1].

وقد ورد في مُجمل أحاديث الباب ما يشير إلى أهمية وضرورة التربية العقائدية في نفوس المتعلمين كالإيمان بالله تعالى وملائكته، وما في اليوم الآخر من الجنة والنار، وذلك في قوله ﷺ: "إن لله تعالى ملائكة"، وقوله ﷺ: عن رب العزة: «فَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، ... قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ».

"وتربية العقيدة الإسلامية في نفوس المتعلمين والمتربين من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى، واستشعار عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون عبدًا لشهواته، ولا أسيرًا لأطماعه وأهوائه.... بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله، وكما أوحى إلى رسوله ﷺ... دون تردد أو حرج، وشعاره في هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

وميزانه في ذلك... ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]"[4].

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٧٢، ٦٧٣.

وحتى يتسنى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء المسلم وتربيتهم عليها يجب ما يلي:

١ - تعليم النشء لعقيدة أهل السنة والجماعة، وخصائص تلك العقيدة، وأنواع التوحيد وأقسامه، وفضائله.

٢ - تعليم النشء أركان الإسلام والسنة وأسس العقيدة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره وشره.

٣ - تحذير النشء من نواقض الإسلام التي بها يخرج المسلم من الملة.

٤ - الإجابة على التساؤلات والاستفسارات التي قد يتعرض لها المتعلمون صغيرهم أو كبيرهم في مسائل العقيدة، على أن تكون الإجابة من المعلمين شافية كافية صحيحة صريحة بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

ثانيًا: التربية الروحية:

إن النفس البشرية بطبيعتها تضعف ويصيبها الفتور والتقصير، لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه من الصلاح والتوفيق يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه؛ لذا كان الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر - كما ورد في نص أحاديث الباب - من أعظم طرق التربية الروحية من خلال الوعظ والتذكير في نفوس المتعلمين[2].

حيث التفكر في نعم الله تعالى وآلائه وعظيم فضله وإحسانه مما يستتبع حمده تعالى وتمجيده وتسبيحه وتكبيره، فيعلو بذلك الإيمان في القلوب ويعظم أثره في النفوس.

ثالثًا: التربية بالإثارة الوجدانية:

إن تحريك العاطفة الإنسانية عند المتربي والمتعلم بالإثارة الوجدانية وبتحريك كوامن الرغبة والرهبة، لمن أهم الطرق التربوية في تحقيق الغايات التربوية أو العلمية،

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٦٣، ٦٤.

(٢) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد عبدالله الدويش، ٤٦، ٤٧.

وهذا ما ترائى من مجمل الأحاديث؛ حيث استجاشة الهمم وإثارة الوجدان لتربية الأنفس على ذكر الله، كما في قوله ﷺ عن رب العزة لملائكته: «هَلْ رَأَوْنِي فَيَقُولُونَ لا وَاللهِ ما رَأَوْكَ فَيَقُولُ كَيْفَ لوْ رَأَوْنِي فيَقولونَ لوْ رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لَكَ عِبادَةً وأشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا». وأيضًا في قوله ﷺ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».

وقد استمر هذا الأسلوب التربوي الفريد في إثارة الواجدان للترغيب في الجنة والترهيب من النار، كما في حديث الباب من قوله تعالى لملائكته: «فَماذا يَسْأَلُونِي فيَقولونَ يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ فيَقولُ وهلْ رَأَوْها فيَقولونَ لا وَاللهِ يا رَبُّ ما رَأَوْها فيَقولُ فَكَيْفَ لوْ أنَّهُمْ رَأَوْها فيَقُولونَ لوْ أنَّهُمْ رأوْها كانُوا أشَدَّ علَيْها حِرْصًا وأشَدَّ لها طَلَبًا وأعْظَمَ فِيها رَغْبَةً قال فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ فيَقولونَ مِنَ النّارِ فيَقولُ اللهُ هلْ رَأَوْها فيَقولونَ لا وَاللهِ يا ربّ ما رَأَوْها فيقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْها فيَقولونَ لوْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنها فِرارًا وأشَدَّ لها مَخافَةً».

"فإثارة الوجدان إذًا طريق تربوي إلى غاية تربوية أو علمية، وليست هدفًا تربويًا مستقلاً بذاته.

ولهذه الوسيلة التربوية أخطارها الجسيمة إذا أسيء استعمالها، كما أن لها فوائدها العظيمة إذا أحسن استعمالها.

ويتلخص المنهج التربوي الإسلامي في استخدام هذه الوسيلة، لمراعاة الأمور التالية:

١ - أن لا تكون بديلاً عن حركة العقل وحكمه بل عونًا على حركته ونشاطه ثم عونًا له لإخضاع النفس لحكمه"[1].

"ولإيضاح ذلك نقول: إن المربي أو المعلم عليه أن يثير عقل المتعلم أولاً إلى معرفة الحقيقة بالأدلة العلمية والعقلية المختلفة، ثم يثير كوامن الوجدان في النفس، كي تقضي على معوقاتها التي قد تقطع سبيل العقل إليها. فيثير فيها دواعي الرهبة والرغبة

(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، سورية، ص٦٤.

وأسباب المحبة، طبق ميزان دقيق من الاتساق. وهذا ما بينه القرآن الكريم في نصوصه والتي منها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[1].

فالشطر الأول من النص تنبيه للعقل إلى دلائل وجود الخالق عز وجل ودفع له إلى الإيمان به. والشطر الثاني إثارة للنفس عن طريق كوامن الرغبة والرهبة، أن تتفاعل مع فهم العقل وحكمه فلا تنفصل عنه ولا تتمرد عليه.

٢ - أن يعتمد سبيلُ التربية بالإثارة الوجدانية قدر الإمكان على التصوير والتخيل، لا على المحاكمة العقلية والنسيج المنطقي، فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري والمحاكمة العقلية.

٣ - أن يعتمد المربي على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، بدلاً من أن يركز على عنصر واحد منها، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ذكر عناصر مرغبة في ذكر الله "كالجنة"، و "والمغفرة" لمن جالس قومًا يذكرون الله، وذكر عناصر وجدانية مرهبة كذكر "النار".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية:

١ - عواطف دافعة: كالفرح، والأمل، والرغبة.

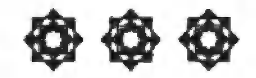
٢ - عواطف رادعة: كالخوف، والرهبة، والإشفاق.

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٤٢.

٣ - عواطف ممجدة: كالإعجاب، والحب، والتقديس.

وإذا تأملت في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان، أدركت أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة. وهي وحدها عمدة المربي عندما يعتمد في عمله التربوي على الإثارة الوجدانية....، فسوق المربي لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه. ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحده سبب خطير لإفساده، وملء إحساسه بمشاعر التقديس والإعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك لتوجيه يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب، لا يحرك فيه ساكنًا ولا يغير منه اعوجاجًا. وإنما يصلح سبيل التربية إذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها. وما فسدت المعالجات التربوية، ولا تخلفت عن إعطاء ثمارها المرجوّة على الأغلب إلا لفقد هذا المزيج المعتدل[1].



(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٦٥، ٨٢، ٨٣، ٨٥.

٢٤٨- باب الذكر عِنْدَ الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥] قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (الآصَالُ): جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ. وقال تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[غافر: ٥٥]، قَالَ أهلُ اللُّغَةِ (العَشِيُّ): مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا. وقال تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦- ٣٧]. وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[ص: ١٨].

الحديث رقم (١٤٥٣)

١٤٥٣- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلاَّ أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر في أسلوب خبري قيمة التسبيح في الصباح، والمساء وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه: ١٣٠] والطباق بين يصبح،

(١) برقم (٢٦٩٢/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٤).

ويمسي يستوعب أطراف النهار، ويبدأ اليوم بالتسبيح، ويختمه بالتسبيح، وصيغة الفعل المضارع (يصبح، ويمسي) تعطي الفعل تجددا يطرد باطراد الأيام وتفتح باب الفضل كل مطلع شمس، ومغيبها، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزه الله عن كل نقص، وهذا التنزيه يقرر ضمنا وصفه بصفات الجلال، ونعوت الكمال، وقوله وبحمده أي مع حمده أي أنزهه، وأثني عليه، وقوله (لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ) أسلوب قصر بالنفي والاستثناء يقصر المثلية في الإتيان على من فعل مثل فعله لا من أتى بغيره من الأعمال، والعبارة كلها تقرر عظمة الثواب الذي فاق به غيره، وتقييده بيوم القيامة يؤكد هذه العظمة، ويزيدها تأكيدا بالاستثناء في قوله (إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ) لأنه لم يقدم عليه عملا غيره بل قدم عليه ما هو من جنسه مما ساواه أو زاد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في الحديث الأول في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به...).

وفي الحديث الثاني: قوله ﷺ: "إذا أصبح: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا وبك نحيا...".

وهذا يدل على فضل أذكار الصباح والمساء. وهما طرفا النهار، فالصباح ما بين طلوع الصبح وطلوع الشمس، والمساء ما بين العصر والغروب[1].

وفضل أذكار الصباح لأن ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس، وقت شريف ويدل

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ضمن مجموعة الحديث، ٢/٣٧٣.

على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١]، وتمدحه به إذ قال: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾[٣]، وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾[٤]، وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس، وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾[٥]، وهو وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى[٦].

والمساء: هو الطرف الثاني وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴾[٧]. وقال الحسن: "كانوا أشد تعظيمًا للعشي منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة[٨].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد".

ففي ذلك إثارة للتنافس على ذكر الله حيث ذكر رسول الله ﷺ أن من يقول سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لا يعدله أحدٌ يوم القيامة إلا من قال مثله أو زاد.

---

(١) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(٣) سورة الفلق، آية: ١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٦.

(٥) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٦) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٥٩٩، ٦٠٠.

(٧) سورة الروم، آية : ١٧.

(٨) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٦١٤.

وإثارة التنافس على ذكر الله من أهداف الدعوة إلى الله، لأن الهدف من الذكر أن يظل المؤمن على صلة قوية بالله في كل حال، وذلك لأن الذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح، عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوض من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتتقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

وقال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم – وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد لا روح فيه[1].

وإثارة التنافس في فعل الطاعات من الأشياء التي أثنى عليها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾[2]، قال السعدي: أي: يبادرون إليها ويقضونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها، على الوجه اللائق، الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها[3].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا ..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا ..." الحديث.

والنبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، فكان يذكر الله في كل حياته، وعلى جميع أحواله، فكلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرًا منه لله سبحانه، وكان إخباره عن ربه في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ذكرًا منه لربه، وكان حمده لربه، وتسبيحه وتمجيده له، وثناؤه عليه، وسؤاله له، ودعاؤه إياه، وخوفه منه، ورجاؤه إياه، ذكرًا منه لربه فصلوات الله وسلامه عليه[4].

فقد كان رسول الله ﷺ يذكر ربه في كل وقت ومن هذه الأوقات الصباح والمساء، وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين حرصه على أذكار الصباح المساء منها:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/٢٥٨-٢٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٩.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، ط، بيت الأفكار الدولية، ص ٢٥٧.

وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ. والْحَمْدُ لِلَّهِ. لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»[1].

وقال ﷺ: «لأن أذكر الله تعالى من طلوع الشمس أكبِّر وأهلِّل وأسبِّح أحب إلي من أن أعتق أربعًا من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل»[2].

وعن جابر بن سمرة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٢٣.

(٢) أخرجه أحمد، ٢٥٤/٥، رقم ٢٢١٨٥، وقال محققو المسند حسن لغيره ٥٢٢/٣٦.

(٣) أخرجه مسلم، ٦٧٠.

الحديث رقم (١٤٥٤)

١٤٥٤- وعنه، قَالَ: جَاءَ رجلٌ إلَى النبيِّ ﷺ، فقَالَ: يَا رسولَ الله مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قَالَ: ((أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ تَضُرُّك)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقرب: دُوَيْبة من العنكبيات ذات سم تلسع[2].

البارحة: أقرب ليلة مضت[3].

بكلمات الله التامات: الكاملات التي لا يدخلها نقص ولا عيب، وقيل النافعة الشافية، وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن[4].

الشرح الأدبي

الحديث يروي قصة عملية تبين قيمة الذكر في حماية الفرد من هوام الأرض ومن الشياطين وقول الرجل: (مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ !) ما استفهامية أي: أي شيء لقيت ؟ للتهويل، والتفخيم أي: لقيت وجعا شديدا، أو للتعجب أي أمرا عظيما، أو موصولة والخبر محذوف أي الذي لقيته لم أصفه لشدته، والمعنى لقيت شدة عظيمة من عقرب لدغتني البارحة أي: الليلة الماضية، وقول النبي ﷺ (أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ) أما للتنبيه، ولو شرطية، وفعل الشرط قوله (قلت حين أمسيت أعوذ. ...) وجملة الجواب (لم تضرك) فقد علق عدم الضر من العقرب بقول هذا الدعاء، ووصف

---

(١) برقم (٢٧٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٣).

(٢) الوسيط في (ع ق ر ب).

(٣) الوسيط في (ب ر ح).

(٤) شرح مسلم، النووي (١٥٩٥).

الكلمات بالتامات إشارة تعظيم تؤكد وفاءهن بما يراد من هن لأن كلام الله كله تام والحديث يشير إلى أن هذا الدعاء يحقق الله به الحفظ .

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها :

١-حكم التعوذ بهذه الكلمات: استحباب التعوذ من كل ما يخافه الإنسان بمكان أو ينام فيه فإنه لا يضره شيء[1].

٢-حكم الدعاء بهذا الدعاء: من السنة الدعاء بهذه الأدعية في الصباح والمساء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن لدغته عقرب: (أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضرك).

وقد ورد عن الرسول ﷺ الكثير من الأحاديث التي يستعيذ فيها بالله مما يؤذي، ويحث المسلمين على الاستعاذة منها، قال العلماء: استعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشرعه أيضًا تعليمًا لأمته[3].

ومن الأحاديث التي تحث المسلمين على الاستعاذة مما يضر:

عن خولة بنت حكيم السلمية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ

---

(١) حاشية العدوي ٤٨٣/٢.

(٢) حاشية العدوي ٤٧٩/٢.

(٣) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٢٦٥/٢.

مَنْزِلِهِ» وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[1].

قال القرطبي: (قوله: "إذا نزل أحدكم منزلاً، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" قيل معناه: الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه الشافية الكافية. وقيل: الكلمات -هنا- هي: القرآن؛ فإن الله تعالى قد أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يُدفع به الأذى، ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى، والتجاء إليه، كان ذلك من باب المندوب إليه، المرغب فيه. وعلى هذا فحق المتعوذ بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه، ومغفرة ذنبه.

وقوله: "فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه" هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات، فقلت لنفسي - ذامًا لها وموبخًا- ما قاله ﷺ للرجل الملدوغ: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم تضرك)[2].

وحث النبي ﷺ المسلمين على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي إنما هو حرص منه على حماية المسلمين مما قد يؤذيهم وهذا لاغرو فيه فهو الحريص على الخير لأمته دائمًا قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، قال السعدي: "حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٠٨.

(٢) المفهم، ٣٦/٧، ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فإن الإنسان يقول إذا أصبح وأمسى"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق" فهذا لجوء إلى الله سبحانه وتعالى واعتصام به من شر ماخلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء، فإنه لا يضرك شيء[٢]. والحرص على الاستعاذة بالله تعالى بما ورد عنه ﷺ من أدعية فيه تأسي به ﷺ والتأسي به معناه المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]، فاتباع هدى النبي ﷺ ومنهجه وطريقته، هو سبيل النجاة من كل شر، والفوز بكل خير وبر[٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث والأدعية التي يستعيذ فيها بالله وكذلك يأمر فيها المسلمين بالاستعاذة بالله منها: عن فروة بن نوفل الأشجعي سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهَ. قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[٦].

وعنها رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٣١٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٢٥/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٣٦.

(٤) انظر صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ص ٥٨-٥٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧١٦.

مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

وعن ابن عباس ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه)[3].

فالاستعاذة بالله فوائدها كثيرة فمن استعاذ بالله واعتصم به أعاذه الله، فينبغي على المسلم الحرص على الاستعاذة بالله بما ورد عنه ﷺ من أدعية.

(١) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

الحديث رقم (١٤٥٥)

١٤٥٥- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه كَانَ يقولُ إذَا أصْبَحَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ أصْبَحْنَا، وَبِكَ أمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإلَيْكَ النُّشُورُ)). وإذا أمسَى قَالَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ أمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ. وَإلَيْكَ النُّشُورُ)). رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ذكر من الأذكار التي اعتادها الرسول ﷺ في الصباح، والمساء، دل على ذلك قول الراوي (كان يقول) لأن فعل الكينونة الماضي يشير إلى العادة غالبا والفعل المضارع (يقول) يدل على تجدد الفعل صباح مساء، كما يؤكده أسلوب الشرط في قوله (إذا أصبح) وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور تقدير: يقول اللهم بك. ..)، وأسلوب الشرط يربط الإمساء، والإصباح بقول هذه الكلمات، وبداية الدعاء بصيغة النداء اللهم توجه لله بقلب مخلص خاشع لله تعالى، والمقابلة بين أصبحنا، وأمسينا تؤكد المعنى وتشير إلى أنه المتصرف فيهما يقلِّب الزمان بالإنسان، وكل نعمة فيهما هي من عطائه، والطباق بين نحيا، ونموت يشير إلى طلاقة قدرته في القبض، والإرسال، وهذا المعنى يوحي بالخضوع، والذل له، والإقرار بكامل التصرف، والدعاء صيغة مزدوجة للصباح، والمساء.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٤). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٥٠): هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، والحديث تقدم برقم (٨١٧).

تنبيه: لو اقتصر المؤلف على أبي داود لكان أحسن، لأن في رواية الترمذي بلفظ الأمر: (فليقل) قال ابن حجر في النتائج (٢/٣٥٠): وأما الترمذي وابن ماجه فأخرجاه من وجهين آخرين، عن سهيل، ووقع عندهما بصيغة الأمر: (إذا أصبح أحدكم، فليقل) وفي سند كلٍّ منهما مقال.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٥٦)

١٤٥٦- وعنه: أنَّ أَبَا بكرٍ الصديق رضي الله عنه قَالَ: يَا رسول الله مُرْنِي بكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإذا أمْسَيْتُ، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)) قَالَ: ((قُلْهَا إِذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاطر: خالق ومبدع[٢].

ومليكه: المليك بمعنى: صاحب الملك[٣].

شِرْكه: أي: ما يدعو إليه ويوسوس به ويروى بفتح الشين والراء أي: حبائله ومصايده. واحدها: شَرَكَة[٤].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث خصيصة، وهي أن راويه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو صاحب رسول الله، وحبيبه، وبالإضافة إلى كونه الراوي فهو أحد طرفي الحوار وقوله للرسول ﷺ (مرني بكلمات) الأمر استرشاد، وتعليم وتنكير الكلمات للتعظيم أي

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٢)، وقال الحاكم (٥١٣/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٦٣/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ.

(٢) النهاية في (ف ط ر).

(٣) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٤) النهاية في (ش ر ك).

كلمات خفيفات في العمل كثيرات في الثواب، وهو حال الأذكار كلها أجر عظيم لا يحتاج إلى مشقة، ولا كلفة، وقوله (إذا أصْبَحْتُ وإذا أمْسَيْتُ) أسلوب شرط محذوف الجزاء لدلالة السابق عليه تقديره أقولهن، وصياغة المعنى في ثوب الشرط يشير إلى رغبته في اعتيادهن، والطباق بين أمسيت، وأصبحت يشير إلى استيعاب طرفي النهار حيث يعمرهما بذكر الله وكأنه يريد أن يعمل بقول الله تعالى (... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }(طه١٣٠) وقول الرسول (قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ. ..) أمر توجيه، وإرشاد لما أراد، وتوجيه الرسول ﷺ لخليفته بهذا الدعاء يفتح أفاق عقله على مظاهر عظمة الله في خلقه للسماوات، والأرض، وربوبيته لجميع المخلوقات مما يشير إلى سعة علمه، وقدرته، وإحاطته، مع توحيده، والاستعاذة به من شر نفسه، والشيطان، لأنهما العدو الملازم للإنسان حتى الموت ولذلك استعاذ بالله من نفسه ومن الشيطان، (وشركه) أي ما يدعو إليه من الإشراك بالله، ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الدعاء عند النوم: يستحب الدعاء بهذا الدعاء وغيره عند إرادة النوم[1].

٢-حكم الوضوء عند النوم: اتفق الفقهاء على استحباب الوضوء عند النوم رجاء أن يموت الإنسان في ليلته فيموت على طهارة[2].

حكم نفض الفراش قبل النوم: يستحب نفض الفراش قبل أن يدخل فيه لئلا يدخل فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، وينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا

---

(١) حاشية العدوي ٢/ ٤٨٠-٤٨١، مطالب أولي النهى ١/ ٦٣، كشاف القناع ١/ ٧٨، شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٢.

(٢) حاشية رد المحتار ١/ ٨٩، حاشية الصاوي ١/ ٢٨، المجموع شرح المهذب ١/ ٤٩٧، الفروع ١/ ١٤٠، شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٢، فتح الباري ١١/ ١٢٩.

يحصل في يده مكروه إن كان هناك[١].

٤-حكم النوم على الشق الأيمن: يستحب النوم على الشق الأيمن لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص ابي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى:

يظهر ذلك في قول أبي بكر رضي الله عنه: "يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت". وهذا يدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على التعلم من رسول الله ﷺ واهتمامه بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وحكمها من رسول الله ﷺ، وقد ورد الكثير من الأحاديث التي تدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال رسول الله ﷺ في أمور تخصه وعن الأدعية التي يدعو بها منها:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: "إنك لست تصنع ذلك خيلاء"[٤]. ومنها قول أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) مطالب أولي النهى ٦٢/١، كشاف القناع ٧٨/١، شرح صحيح مسلم ٢٨/١٧.

(٢) مطالب أولي النهى ٦٢/١، كشاف القناع ٧٨/١، شرح صحيح مسلم ٣٣/١٧، فتح الباري ١٢٩/١١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٥٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٥٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا ، "وقال قتيبة: كثيرًا" ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم"[1].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ؟ قَالَ: بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[2].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه للكلمات التي يقولها في الصباح والمساء وعند أخذ مضجعه..

في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله ... إلخ الحديث"، وفي ذلك تعليم منه ﷺ لأمته لما يقولونه في الصباح والمساء، والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، فلابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يعلموا الناس أحكام الإسلام ويعرفوهم بحدود الله[4].

وكذلك الذكر والدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية وأذكار.

ثالثًا- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل:

يظهر ذلك في سؤال أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ فينبغي على المدعو أن يرجع في سؤاله إلى أهل العلم والفضل، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5]،

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٦/١، رقم ١٩، وقال محققو المسند حسن لغيره.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي، ٣٠٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٤٣.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٣.

قال السعدي: فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث، وفي ضمنه، تعديل لأهل العلم، وتزكيه لهم، حيث أمر بسؤالهم.... وأفضل أهل الذكر أهل القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة[١]، وسؤال أهل العلم فيه شفاء العيِّ.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أصَابَ رَجُلاً جُرْحٌ فِي عَهْدِ رسولِ الله ﷺ ثُمَّ احْتَلَمَ، فأُمِرَ بالاغْتِسَالِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسولَ الله ﷺ، فقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله، ألَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»[٢].

قال العظيم آبادي: والمعنى: إن الجهل داء وشفاؤها السؤال والتعلم[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تعليمه ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأذكار الصباح والمساء.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ لأذكار الصباح والمساء.

ونحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٤]، قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، لهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ، "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله[٥].

فطاعة رسول الله والاقتداء به سبب الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[٦]، أي: إلى الصراط المستقيم، قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داوود ٣٢٦).

(٣) عون المعبود ١٨٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٦.

(٦) سورة النور، آية: ٥٤.

وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال[1].

وقد أرشد الله عباده إلى ذكره في الصباح والمساء فقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[2]، قال ابن كثير: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعْ هؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِني أَسأَلُكَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ في دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ استُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي اللَّهُمَّ احفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وعن يميني وَعن شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[4].

هذه الأدعية الكريمات كان ﷺ لا يدعها صباحًا ولا مساءً لتكون حصنًا من الآفات، وحذرًا من الشرور وأمانًا من المكاره فعلى المسلم أن يلازمها ولا يدعها اقتداء بنبيه ﷺ، وحفظًا لنفسه من الشرور وأسبابها[5].

فينبغي على المدعو أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل ما جاء عنه من أدعية وأذكار حتى يُحصّل فضلها وبركتها، فإن كل ما ورد عنه ﷺ خير وكل ما جاء به ﷺ نافع فينبغي علينا التمسك بهديه في الأذكار والدعاء في الصباح والمساء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٥٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٠٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٣٩).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ٤٣٢/٦.

الحديث رقم (١٤٥٧)

١٤٥٧- وعن ابن مسعودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمْسَى قَالَ: ((أَمْسَيْنَا وأمْسَى المُلْكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)) قَالَ (الراوي) [1]: أرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: ((لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْرَ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ، وَعَذَابٍ في القَبْرِ))، وَإذَا أصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أيضًا ((أصْبَحْنَا وأصْبَحَ المُلْكُ للهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعرض سنة عملية من سنن الذكر التي اعتاد الرسول ﷺ قولها حين يصبح، وحين يمسي، يدل على ذلك البناء التركيبي لعبارة الراوي وهو ابن مسعود ﷺ فقوله (كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمْسَى قَالَ) فهذا التركيب يشير إلى أنه عادة متكررة في كل صباح، ومساء من حيث أنه استخدم (كان) وهي تشير إلى العادة غالبا ثم إنه صاغ المعنى في أسلوب الشرط، ومن خصائصه أن يربط حدثا بحدث وجودا، وانتفاءً فقد ربط الإمساء بقول الدعاء المذكور في جملة الشرط الأولى، وكذا فعل في ربطه في جملة الشرط الثانية فربط كل وقت بالذكر المناسب له، وقد تضمن هذا الدعاء عدة عناصر تضمن للعبد سعادة الدنيا، والآخرة دون جهد أو كلفة منها الاعتراف بالفضل، والملك لله، والذي صوره الجناس في قوله (أَمْسَيْنَا وأمْسَى المُلْكُ للهِ) كما تضمن الدعاء الثناء على الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، والذي جاء في أسلوب

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٢٧٢٣/٧٥).

القصر بتعريف الطرفين قصرا للمعنى على الله وحده في قوله (والحمد لله) وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) وقد أكد هذا الإقرار بالوحدانية بنفي الشريك في قوله (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) ، وقول الراوي) أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ) رأى هنا ظنية تفيد الشك وعدم الجزم وقول الرسول ﷺ (رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذهِ اللَّيْلَةِ وخير ما بعدها) نداء حذفت منه أداته استشعار ا لقرب لم يحتج معه إلى مد صوته بها ، والمقابلة بينها ، وبين جملة (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا) يؤكد المعنى، ويشير إلى أنه المتصرف بتحقيق الخير، ودفع الضر الكائن في الزمان المعلوم في الحاضر للعبد ، والمجهول فيما يستقبل كما تضمن الدعاء الاستعاذة من مجموعة من المفردات التي تترتب عليها نقلات نوعية في الشر المحدق بالعبد وهي (الكسل - سوء الكبر) وهما يشيران إلى توقف الحركة التي عليها قوام التقدم في اتجاه الدنيا ، والآخرة ومنها الاستعاذة من سوء المصير في الحياة الوسيطة في البرزخ المتمثل في (عذاب القبر) أو في المصير النهائي المتمثل في (عذاب النار) وقدم الاستعاذة من النار على الاستعاذة من عذاب القبر مع أنه أسبق في الترتيب الزمني لأن عذاب القبر مؤقت، وهو الأهون ، وعذاب الآخرة هو الدائم العظيم، فهو تقديم للأهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٥٨)

١٤٥٨- وعن عبد الله بن خُبَيْب -بضم الخاء المعجمة- رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسولُ الله ﷺ: ((اقْرَأْ[1]: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن خبيب: وهو عبدالله بن خُبَيْب - مُصغَّر - الجُهني، حليف للأنصار، وعداده في أهل المدينة له ولأبيه صحبة، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابناه عبدالله ومعاذ، وروى له البخاري في الأدب، كما روى له الأربعة[3].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار الراوي بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم يعتزون بما يختصهم به رسول الله ﷺ، وحُقَّ لهم، وقول الرسول ﷺ له (اقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ) أمر نصح، وإرشاد وتوجيه إلى فضيلة ذات خصوصية في عظمة الثواب، والطباق بين قوله تمسي، وتصبح يقرر أنها تختص بطرفي النهار ذكرا يبدأ به اليوم، ويختمه، والبدايات، والنهايات له خصوصية في الأعمال تشعر المؤمن الذي قرأها بالسلام النفسي، والسكينة لأنه صار محفوظا من قوة لا تخترق، وقوله ثلاث مرات هو العدد

---

(١) (اقرأ) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٧٥). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٤٥/٢): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٨).

(٣) الاستيعاب (٣٩٥)، أسد الغابة (٢٢٤/٣)، الإصابة ٧٦٦)، تهذيب الكمال (١١٩/٤، ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٣٢٦/٢)، السندي (٣٣٥/٣٧).

المحدد المقصود في الذكر، وقوله (تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) هو جواب الأمر ونسبة الكفاية لهذا القول من نسبة الفعل لسببه على سبيل المجاز مبالغة في الكفاية، والمعنى يكفيك الله بسببها، وقوله من كل شيء استغراق لجميع ألوان المخوفات، والشرور التي يمكن أن تطرأ للعبد، فهي حرز وحصن له من الله تعالى، وما أكثر الشرور التي تحدق بالإنسان، ويحتاج إلى حصن منها!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله أحد: والمعوذتين...".

وذلك لفضل هذه السور وخيرها الكثير حرص رسول الله ﷺ على تعليم الناس ما ينفعهم، وما فيه خيرهم فهو رسول الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال القاسمي قوله: "حريص عليكم" أي: على هدايتكم، كي لا يخرج أحد

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

منكم عن اتباعه، والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به "بالمؤمنين رءوف"، إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته "رحيم" إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "اقرأ: قل هوْ الله أحد، والمعوذتين، حين تمسى وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"، وهذا يدل على فضل سورة الإخلاص والمعوذتين، أما السورة الأولى فهي: سورة الإخلاص "قل هو الله أحد" التي أخلصها الله تعالى لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا ويتعلق بنفسه جلا وعلا، وليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، بل كلها مخلصة لله عز وجل، فهي مخلَصة مخلِصة تخلص قارئها من الشرك"[٢]. وقد بين رسول الله ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، فقال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قال: "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن"[٣].

وأما "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل، فأحل الله عنه السحر"[٤]. وقال رسول الله ﷺ: "أنزل أو أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين"[٥]. وقال ﷺ: "... فما تعوذ متعوذ بمثلهما"[٦].

تستعيذ "برب الفلق" فالفلق فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى جلا وعلا، "من شر ما خلق" كل ما خلق، "ومن شر غاسق إذا وقب" يعني الليل إذا دخل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب "ومن شر

---

(١) محاسن التأويل مج٥/٨/٣٦٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٣٧/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٨١١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٣٨/٨، وقد عزاه ابن كثير للثعلبي، في الكشف والبيان.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٤.

(٦) أخرجه أبو داود ١٤٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٢٩٩).

النفاثات في العقد" أي: الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله "ومن شر حاسد إذا حسد" هو العائن يؤثر، فأمرت أن تستعيذ "برب الفلق" جل وعلا ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاث "ومن شر غاسق إذا وقب" الليل، لأن البلاء يكون فيه خفيًا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما "قل أعوذ برب الناس": فهي السورة الأخرى أيضًا التي بها الاستعاذة بالله عز وجل "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس" فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا "ملك الناس، إله الناس" أي: معبودهم الذي يعبد بحق، فلا معبود يحق إلا الله عز وجل "من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس"، هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم، الدنيا اسم على مسمى، دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد لا يوجد نظيره فيما سبق، النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، لكن كثرت في الناس الآن كثرة الوساوس والأمراض النفسية، والبلاء، حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنست الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[1]. والله عز وجل إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جوانب أخرى، والشاعر الجاهلي يقول:

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

فَيَــوْمٌ عَلَيْنَــا وَيَــوْمٌ لَنَــا وَيَــوْمٌ نُــسَاءُ وَيَــوْمٌ نُــسَرّ[١]

فالحاصل: أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانًا في أصول الدين، وفي ذات الرب، وفي القرآن، وفي الرسول، حتى يوسوس الإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، وسواس أيضًا في الطهارة، بعض الناس يصاب بالوسواس، والعياذ بالله، يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق يبقى خمس ساعات، نسأل الله العافية.

وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام، حتى إن بعضهم يقول: إني ما أستطيع أن أصلي إطلاقًا. فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة، يقع الوسواس في معاملة الأهل، حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه، فيأكل من المطاعم، وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول: يا أم فلان (زوجته) فيقول له الشيطان: طلقها وينكد عليه الحال، حتى إن بعضهم إذا فتح المصحف ليقرأ كلما قلب ورقة خيل له الشيطان أنه قال لامرأته طالق فترك قراءة القرآن، فالوساوس عظيمة لكن طردها سهل جدًا بينه النبي ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم وفواتح الكلم، وخواتم الكلم، حين شكي إليه هذا الأمر فقال ﷺ: «إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته»[٢]. كلمتان، يستعذ بالله، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجئ إلى الله حقًا، لا مفر له من الله إلا إليه، ولينته: أي يعرض عن هذا، يعرض إطلاقًا إذا استعمل هذا وإن كان سوف يكبس على نفسه وسوف يتعلم وسوف يتعذب، لكن هذا في أول الأمر، ثم بعد ذلك يزول بالكلية؛ لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال: ((فليستعذ بالله)) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

---

(١) نفح الطيب ١٨٨/٣، العقد الفريد ٧٤/٣، قافية الراء.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦، ومسلم ١٣٤، بلفظ (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته).

هذه الجمل الثلاث، الآيات الثلاث، يمكن أن يقال: إنها استوعبت أقسام التوحيد ﴿برب الناس﴾ توحيد الربوبية ﴿ملك الناس﴾ الأسماء والصفات؛ لأن الملك لا يستحق أن يكون ملكًا إلا بتمام أسمائه وصفاته ﴿إله الناس﴾ الألوهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ قال العلماء: ﴿الخناس﴾ هو الذي يخنس عند ذكر الله. ولهذا جاء في الحديث: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان))[1]، الغيلان: هي الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، ولاسيما في الأسفار الأولى على الإبل، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين تتلون بألوان، مثل: أسد، ذئب، ضبع، شياطين، جن ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) يعني قولوا: "الله أكبر" فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله عز وجل ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ يعني هذا الوسواس يكون من الجنَّة ويكون من الناس، الجنَّة هي الجن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور والناس أيضًا شياطين بني آدم وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون، هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة أو غير ذلك، المهم عندهم وساوس، شياطين الإنس احذرهم، احذر شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة[3].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٢٨٢/٢، رقم ١٥٠٩١ وقال محققو المسند: صحيح لغيره دون قصة الغيلان ٣١٥/٢٣.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٣٨/٢، ١٥٣٩.

أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

قال ابن عثيمين: المهم أن هذه السور ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء، لأمر النبي ﷺ بها[1]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2]. قال ابن كثير: أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهي عن شر[3].

وفي أمره ﷺ بقراءة الإخلاص والمعوذتين خير كثير فينبغي على المسلم الحرص على هذا الخير بقراءة هذه السور ثلاث مرات في الصباح وثلاث مرات في المساء.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٣٩.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٦٧.

الحديث رقم (١٤٥٩)

١٤٥٩- وعن عثمان بن عفان ﵁ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١٨).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر الذي يستوعب جمله من بدايته إلى نهايته، والذي يقصر قائل الدعاء المذكور صباحا، ومساء على عدم إصابته بضر أي أنه يحقق له الحماية المطلقة من كل الشرور، وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي مع الاستغراق، والعموم في قوله (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ) فالعموم مستفاد من النكرة (عبد) الواقعة في سياق النفي، والاستغراق أفادته (من) قبلها، والحدث هو (يقول) ولفظ المضاف للصباح، والمساء (كل) يعطي الحدث اطرادا على الزمان يضمن حماية لا تنقطع، واتصال الصباح باليوم، والمساء بالليلة توكيد لهذا الاتصال يؤكد عدم انقطاع سبب الحماية وقوله (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) استعانة بالاسم المخصوص من أسماء الله بمنع الضر الآتي من جهة السماء أو من جهة الأرض تستوعب المكان، وقوله (وهو السميع العليم) تذييل بلاغي يفيد الإحاطة بكل أنواع الضر ومصادرها علما مع قدرته على منعها عن العبد، وهو السميع المجيب للعبد إذ استعاذ به بمثل هذه الدعوات، وغيرها من صيغ الاستعاذة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٢)، وقال الحاكم (٥١٤/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٦٧/٢): هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض والسماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا لم يضره شيء". قال ابن عثيمين: وهذه الكلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" لأن الله سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء لا يضر معه. وقوله: "وهو السميع العليم" فالسميع من أسماء الله والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله وله معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت يسمعه مهما بعد ومهما ضعف لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1]، قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها أو ما أسمع ما تقول[2].

الثاني: السميع: أنه سميع الدعاء، أى: مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم ﷺ: "إن ربي لسميع الدعاء، أى: مجيبه فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافرًا".

ولهذا يجيب الله عز وجل، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم قال النبي ﷺ: «اتَّقِ

---

(١) سورة المجادلة، آية : ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ١٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٥٥).

دَعوةَ المظلومِ، فإنها ليسَ بينَها وبينَ اللهِ حِجاب»[1].

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

فالله عنده مفاتيح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، ولو كانت صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا، يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء الله به عليم[3].

فهذا الدعاء يتضمن معاني سامية وألفاظًا عظيمة وفوائد جليلة فلذلك علمه رسول الله ﷺ أمته.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

وفي ذلك ترغيب منه ﷺ وحث على قول هذا الدعاء لما فيه من خير. والنفس البشرية مطبوعة على حب الخير فإذا دعا الداعية المدعوين إلى دعوته وبين لهم ما يعود عليهم من خير ليقبلوا هذه الدعوة، حرصوا على الامتثال لها.

فعلى الداعية أن يكثر من المرغبات في الطاعات كالإيمان بالله والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[4]. وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٤٤٨، ومسلم، ١٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٠-١٥٤١.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٤٤١.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اليقظة الإيمانية الدائمة:

إن الغفلة داء موبق للنفس يوردها موارد التهلكة، فالحيوان يسير في حياته، وفق ما فطر عليه لا يحيد ولا ينحرف، وقد مُيز الإنسان بإرادته ووعيه ويقظته، فإذا غفل وتداعي وعطل إرادته، وعاش أسير أهوائه وشهواته هبط، دون مستوى الحيوان.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

وفي الذكر عند الصباح والمساء علاج لهذه الغفلة وتربية على اليقظة الدائمة، فقد ربى الرسول ﷺ المؤمن على دوام اليقظة حتى لا يغفل عن نفسه، ولا عن مقاومة هواه، فحض على الذكر، وحث عليه صباح مساء - كما ورد في أحاديث الباب - ، وكان النبي ﷺ حريصًا على أن تكون حياته ذكرًا متصلاً، حريصًا على أن يربى أصحابه على ذلك، وليس الذكر ترديد اللسان لاسم من أسماء الله آلاف المرات؛ إنما الذكر هو يقظة النفس الدائمة، وتطلعها المستمر إلى الله والتفكير في نعمه وآلائه، والاستعانة به على كل أمر من أمور الدنيا والآخرة؛ لذا كان الذكر الدائم صباح مساء يجعل المؤمن دائم الصلة بربه، مرهف الحس بعيدًا عن الغفلة والهوى[2]، وهذا ما يجدر بأهل التربية والتعليم غرسه في نفوس المتعلمين.

ثانيًا: التربية بالثواب وعظم الأجر:

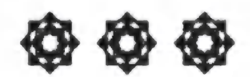
إن النفس الإنسانية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، وهذا ما ترائي جليًا في مجمل أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى صباح

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩.

مساء بعظيم الثواب، والأجر من الله؛ لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان؛ لذا كان على دعاة التربية والتوجيه غرس المحافظة على ذكر الله[1] صباحًا ومساء في قلوب المتعلمين بإظهار عظم الثواب وجزيل الأجر من الله.



(١) نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد شاكر الشريف، ص٩٢.

٢٤٩- باب مَا يقوله عِنْدَ النوم

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] الآيات.

الحديث رقم (١٤٦٠)

١٤٦٠- وعن حُذَيْفَةَ، وأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِراشِهِ، قَالَ: ((بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ)). رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٤) من حديث حذيفة. ولفظهما: (اللهم باسمك أموت وأحيا). والسياق للحميدي في جمعه (١/٢٨٥، رقم ٤٠٤). أورد المؤلف هنا شطر الحديث الذي تقدم برقم (١٤٤٨) وقد تقدم كاملاً برقم ٨١٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٦١)

١٤٦١- وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما: ((**إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا – أَوْ إِذَا[1] أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا – فَكَبِّرا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، واحْمِدا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**)) [2].

وفي روايةٍ[3]: التَّسْبيحُ أَرْبعًا وثلاثين.

وفي روايةٍ[4]: التَّكْبِيرُ أَرْبعًا وَثَلاَثين. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وإذا أويتما إلى فراشكما: أويتما من أوى: سكن ونزل والمعنى دخل في فراشه وانزوى فيه[5].

إذا أخذتما مضاجعكما: إذا أردتما النوم في مضجعكما[6].

الشرح الأدبي

الحديث الذي يرويه علي رضي الله عنه فيه تعليم من الرسول ﷺ لهما ذكرا من أذكار النوم، وقوله (قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنها) يشير إلى اختصاصهما بالخبر معرفة لا في العمل به دون الناس، وكون الخطاب لهاتين الشخصيتين المقربتين من قلب النبي ﷺ يجعل الدعاء الموصى به له خصوصية في الفضل، وقول الرسول ﷺ (إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى

---

(١) (إذا) لا توجد عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٣) أخرجها البخاري عقب الحديث (٦٣١٨) من رواية ابن سيرين

(٤) أخرجها البخاري (٣١١٣)، و(٣٧٠٥)، و(٥٣٦١)، و(٥٣٦٢، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٥) الوسيط في (أ و ي)، ودليل الفالحين (١٥٠٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥٩٦).

فِرَاشِكُمَا) أسلوب شرط يربط التهيؤ للنوم بالأمر بالتكبير، والتسبيح، والتحميد، وبذلك تكون آخر ما يقولان فيختم لهما بختام خير من الحسنات، وقوله (فكبرا - وسبحا - وحمدًا) هي أوامر توجيه، ونصح لما فيه الراحة النفسية، والأخروية، والتعبير بالإيواء يشير إلى السكن، والطمأنينة، والراحة، وذكر العدد (ثَلاَثاً وَثَلاثِينَ) وتكراره مع كل لون من ألوان الذكر ينص على قصد العدد المذكور دون نقصان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إذا أويتما إلى فراشكما -أو إذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين" الحديث.

وكانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ اشتكت إليه ما تجده من الرحي "أداة طحن الحب" وطلبت من أبيها خادمًا، فقال ﷺ: "ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم". ثم أرشدهما إلى هذا، أنهما إذا أويا إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما، يسبحان ثلاثًا وثلاثين، ويحمدان ثلاثًا وثلاثين، ويكبران أربعًا وثلاثين، فهذه مائة مرة، فإن هذه مما يعين في الحاجات، ويجعل الإنسان ينام على ذكر الله[2].

قال القاضي عياض: ظاهره أن النبي ﷺ أعلمهم أن عمل الآخرة على كل حال

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٢، ١٤٦٣).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٤٢.

أفضل من أمور الدنيا، وهذا ما لاشك فيه، وإنما قصد النبي ﷺ هذا لما لم يمكنه الخادم التي سألت، ... ثم علمهما - إذا فاتهما ما طلباه - ذكرًا يحصل لهما به أجر أفضل مما سألاه"[1].

والتسبيح والتحميد والتكبير من أفضل الأذكار، قال رسول الله ﷺ "لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس"[2]، من أجل ذلك وصى علي وفاطمة رضي الله عنهما بهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى:

يظهر ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه ...الخ". الحديث.

قال القرطبي: "وقوله: ((فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه)) داخلة الإزار: هي ما يلي الجسد من طرف الإزار.

قلت: هذا الحديث يتضمن الإرشاد إلى مصلحتين: إحداهما معلومة ظاهرة وهي: أن الإنسان إذا قام عن فراشه لا يدري ما دب عليه بعده من الحيوانات ذوات السموم، فينبغي له إذا أراد أن ينام عليه أن يتفقده، ويمسحه، لإمكان أن يكون فيه شيء يخفي من رطوبة أو غيرها، فهذه مصلحة ظاهرة، وأما اختصاص هذا النفض بداخلة الإزار لم تظهر لنا، بل: إنما ظهرت تلك للنبي ﷺ بنور النبوة، وإنما الذي علينا نحن الامتثال. ويقع لي: أن النبي ﷺ علم فيه خاصية طبية تنفع من ضرر بعض الحيوانات كما قد أمر بذلك في حق العائن. والله تعالى أعلم. ويدل على ذلك ما زاده الترمذي في هذا الحديث: ((فليأخذ صنفة إزاره، فلينفض بها فراشه ثلاثًا))[3]، فحذا بها حذو تكرار الرُّقى.

---

(١) إكمال المعلم ٨/٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٤٠١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٧٠٧).

وقوله: ((لك وضعت جنبي، وبك أرفعه)) كذا صح: لك وضعت، باللام، لا بالباء، وبك أرفعه: روي بالباء وباللام، فالباء للاستعانة. أي: بك أستعين على وضع جنبي ورفعه. فاللام يحتمل أن يكون معناه: لك تقربت بذلك. فإن نومه إنما كان ليستجم به لما عليه من الوظائف؛ ولأنه كان يوحي إليه في نومه، ولأنه كان يقتدى به، فصار نومه عبادة، وأما يقظته. فلا تخفى أنها كانت كلها عبادة، ويحتمل أن يكون معناه لك وضعت جنبي لتحفظه، ولك رفعته لترحمه"[1].

قال النووي: ومعناه: أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، ولينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك[2].

وليقل: "باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"، وذلك أن الإنسان إذا نام فإن الله يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[3]، ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت، إلا أنه نوع من القبض، ولهذا يفقد الإنسان وعيه ولا يحس بمن حوله، فلهذا سماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[4]، فينبغي للإنسان أن يقول هذا الذكر[5].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ، كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده.

---

(١) المفهم، ٧/٤٣-٤٤.

(٢) شرح مسلم، ص١٥٩٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٤٣.

وفي الرواية الثانية: ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده..."، قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل ذلك ينفخ في يديه مجموعتين ويقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، "قل أعوذ برب الفلق"، "قل أعوذ برب الناس"، ثلاث مرات، ويمسح رأسه ووجهه وصدره وبطنه وفخذيه وساقيه وكل ما يستطيع من جسده"[1].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأدعية والأذكار عند أخذ المضجع.

فمن آداب المدعو أن يقتدي برسول الله ﷺ عند أخذه مضجعه حتى تناله بركة هذه الأدعية والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ.

قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

قال د. محمد محمود حجازي: "لقد كان لكم أسوة حسنة في النبي ﷺ لمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه يوم القيامة، وذكر الله كثيرًا حبًا في ذكره وأملاً في ثوابه، وهذا.... إرشاد للناس أجمعين حيث يجب عليهم أن يأتموا بالنبي ﷺ في كل شيء، فهو المثل الأعلى المثل الكامل ﷺ"[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين٢/١٥٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التفسير الواضح، مج٢/٢١/٨١.

الحديث رقم (١٤٦٢)

١٤٦٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إذا أوى أحدُكُمْ إلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إزَارِهِ، فإنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإنْ أرْسَلْتَهَا، فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بداخلة إزاره: طُرفه وحاشيته من داخل[2]، والإزارُ: ثوبٌ يُحيط بالنصف الأسفل من الجسد[3].

ما خلفت عليه: ما صار بعده خلفًا وبدلاً إذا غاب[4].

إن أمسكت نفسي: كناية عن الموت[5].

أرسلتها: كناية عن استمرار الحياة والبقاء[6].

الشرح الأدبي

يدور المعنى في الحديث حول بيان أذكار النوم، وهي اللحظة التي يسلم الإنسان فيها روحه لربه في لحظة لا يملك فيها حولا ولا قوة فيتركها في يد خالقها يحفظها، ويردها مع تمام التفويض لله تعالى قال العلماء وحكمة الذكر والدعاء عند النوم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٤/٦٤).

(٢) النهاية في (د خ ل)

(٣) الوسيط في (أ ز ر)، ودليل الفالحين ١٥٠٦.

(٤) فتح الباري (١٣١/١١).

(٥) فتح الباري (١٣١/١١).

(٦) انظر فتح الباري (١٣١/١١).

واليقظة أن تكون خاتمة أعماله على الطاعة وأول أفعاله على الطاعة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط تلك العادة بنفض الفراش (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ) وجواب الشرط هو الأمر بالنفض وهو التحريك وقوله (بداخلة إزاره) الباء للاستعانة أي: بطرف ردائه، وقيد النفض بإزاره، لأن الغالب في العرب أنه لم يكن لهم ثوب غير ما هو عليهم من إزار ورداء، وقيده بداخل الإزار، ليبقى الخارج نظيفا، ولأن هذا أيسر، ولكشف العورة أقل، وأستر وإنما قال هذا، لأن عادة العرب ترك الفراش في موضعه ليلا، ونهارا، ولذلك علله بقوله (فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ) وفيه تحذير من عواقب المخالفة بالتعرض لما يعقبه، وفي قوله في الدعاء (وضعت - وأرفعه) طباق يؤكد المعنى ويفوض الأمر في الحالين لله تعالى وبين قوله أمسكتها، واحفظها طباق يؤكد ملكه التصرف في روح العبد، وفي الحديث تناسب بين الإمساك، والرحمة، وبين الإرسال والحفظ، وقوله (بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) قيد يفيد تخصيص نوعية الحفظ بما يضمن حسن الحال، والمآل، وهو حال الصالحين.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٦٣)

١٤٦٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، كَانَ إِذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لهما[2]: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فيهما: ((**قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**)) ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا استَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَى رَأسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نفث في يديه: النفث: نفخ لطيف بلا ريق[3].

المعوذات: المراد بالمعوذات الإخلاص، والفلق، والناس[4].

الشرح الأدبي

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حالا من أحوال النبي ﷺ في الذكر الذي يتلوه عند نومه، وهي حال لا يعرفها إلا آل بيته، وقولها (أن رسول ﷺ كان) يشير استخدام كان إلى العادة - غالبا -، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط بين أخذ المضجع، وبين النفث في اليدين، وما عطف عليه وقوله (أخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن التهيؤ للنوم، وقوله (نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وقرأ بالمعوذات) قيل:

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٩) أورده الحميدي في جمعه (٨٥/٤، رقم ٣١٩٧) في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧). أورده الحميدي في جمعه في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٠٢.

(٤) فتح الباري (١٢٩/١١).

الْوَاو لَا تَدُلّ عَلَى التَّرْتِيب فَلَا يُنَافِي تَقْدِيم الْقِرَاءَة عَلَى النَّفْث كَمَا هُوَ الْمُعْتَاد، وَيُحْتَمَل أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُخَالِف الْعَادَة الَّتِي بَيْن النَّاس بتقديم القراءة على النفث، والمعوذات هي ما يستعاذ بها، والمقصود بها -كما فصَّلت الرواية الثانية- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وقوله (ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ) يشير إلى الإحاطة بالحفظ المانع لأنواع الشرور التي يتوقعها الإنسان مما يعلمه، ويراه، ومما لا يراه كالشيطان، والجن، وهذا الذكر مع تضمنه للحفظ فهو عبادة، وقربى لله وصالح يختم به.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع المضامين الدعوية الحديث رقم (١٤٦١).

الحديث رقم (١٤٦٤)

١٤٦٤- وعن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتيتَ مَضجعكَ فتوضأْ وضوءكَ للصلاةِ، ثُمَّ اضطجعْ على شقكَ الأيمنِ، وقُلْ: اللهُمَّ أسلمتُ نَفسي إليكَ، (ووجَّهتُ وجهي إليكَ)[1]، وفوضتُ أمري إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ، رَغبةً ورهبةً[2] إليكَ، لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلا إليكَ، آمنتُ بكتابكَ الذي أنزلتَ، وبنبيكَ الذي أرسلتَ، فإنْ مِتَّ مِتَّ على الفِطرةِ، واجعلهنَّ آخرَ ما تقولُ)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأتُ ظهري: أسندته[4]، والمراد: توكلتُ عليك.

الفِطرةُ: الحالةُ الأولى التي خُلق الخلق عليها، وهي التوحيد والإسلام[5].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان يدور حول السنة الفعلية للرسول صلى الله عليه وسلم، والتي نقلتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم من الذكر، وهذا الحديث يشير إلى توجيه نبوي لفعل المؤمن عند النوم، وكأنه يهيِّئه لعبادة وليس لنوم فيحتسب نومته كما يحتسب قومته، وقد قام المعنى على الشرط الذي يربط إرادة النوم بالأمر

---

(١) قوله: (وجهت وجهي إليك) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٣١٣)، وكذا عند مسلم برقم (٥٧/٢٧١٠).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (رهبة ورغبة)، والمثبت عنده برقم (٦٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١١) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠)، وتقدم برقم (٨٠) الشطر الأول منه، ثم قال: وذكر نحوه. أورده المنذري في ترغيبه (٨٧٣).

(٤) اللسان والوسيط في (ل ج أ).

(٥) النهاية في (ف ط ر).

بالوضوء، والتشبيه البليغ في قوله (فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلاَةِ) يقرر أنه وضوءاً شرعيا لا لمجرد النظافة مع استحضار حالة الخشوع، والسكينة التي تسبق الصلاة لأنه يوشك أن يفارق روحه، ولا يدري إن كانت سترد إليه أم لا، ويؤيده هذه الحال الدعاء بعدها في قوله (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ) بما يشير إلى كامل التفويض وتأمل ما تفيض بها ألفاظ الدعاء من تمام الخضوع (أسلمت - وجهت - فوضت - ألجأت) مع التناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومراعاة النظير في الجمع بين هذه المعاني، وقوله (رَغْبَة وَرَهْبَة) عِلَّة لِكُلٍّ مِنْ الْمَذْكُورَات، (وَإِلَيْك) مُتَعَلِّق بالرَّغْبَةِ وَمُتَعَلِّق الرَّهْبَة مَحْذُوف أَيْ مِنْك، وقوله (لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا إِلاَّ إِلَيْك) الْمَلْجَأ مَهْمُوز وَالْمَنْجَا مَقْصُور وَلَكِنْ قَدْ يُهْمَز لِلازْدِوَاجِ وَقَدْ يُجْعَل الأَوَّل مَقْصُورًا لَهُ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ أَصْل الْكَلِمَة، أَيْ: لا مَهْرَب وَلا مَلاذ وَلا خَلاص عَنْ عُقُوبَتك إِلاَّ بِرَحْمَتِك، وقوله (آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذي أنْزَلْتَ ..) تجديد للإيمان كل ليلة يستلزم تصفية العمل، وتدارك النقص وتحقيق المتابعة، وقوله (فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ) جملة الجواب التي تشير إلى أنه بهذا الدعاء صار إلى الإيمان الكامل الذي ارتضاه الله لخلقه وفطرهم عليه، وقوله (وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ) تتميم بلاغي يجعله يختم أعماله بصالح.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح إحدى روايات الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (١٤٦٥)

١٤٦٥- وعن أنس ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

كفانا: أغنانا[2].

آوانا: ردّنا إلى مأوًى ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم[3].

مُؤوي: راحم وعاطف[4].

الشرح الأدبي

لفظ الإيواء يدل على السكون والراحة، والاستقرار، وبتعلقه بالفراش يشير إلى الدخول فيه، والتهيؤ للنوم، والتعبير بكان يشير إلى تكرار الحدث، واعتياده ويقويه استخدام الشرط الذي يدل على الاطراد والتلازم بين النوم، وبين قول الدعاء المذكور، والدعاء يتضمن حمد الله على نعمه، والتي عد منها (أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا) ووصلها جميعا بضمير الجماعة دلالة على عموم الخير وعظيم الفضل، وتخصيص النعم المذكورة لأنها جملة النعم التي لابد منها لتمام متاع العبد، ونقص واحد منها ينغص بقية النعم، وقوله (فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ) تبصير للنفس بنعم الله التي حرم منها كثير من خلقه، ومعناه أن كثيرا من خلق الله لا يكفيهم الله شر الأشرار، ولا يجعل لهم مسكنا بل تركهم يتأذون في الصحارى بالبرد، والحر وقيل: معناه كم من

---

(١) برقم (٢٧١٥/٦٥).

(٢) الوسيط في (ك ف ا)، دليل الفالحين ١٥٠٦.

(٣) النهاية في (أ و ى).

(٤) النهاية في (ك ف ي).

منعم عليه لم يعرف قدر نعمة الله فكفر بها، وهو ما يستلزم مزيد الحمد مع استشعار النعمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان.

ثانيًا: من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان:

يظهر ذلك في قول أنس ﷺ: أن النبي ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كَافِيَ له ولا مُؤْوِي".

قال القرطبي: "وقوله: (فكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي) أي: كثير من الناس ممن أراد الله إهلاكه فلم يطعمه ولم يسقه، ولم يكسه؛ إما لأنه أعدم هذه الأمور في حقه، وإما لأنه لم يقدره على الانتفاع بها حتى هلك، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون معناه، فكم من أهل الجهل والكفر بالله تعالى من لا يعرف أن له إلها يطعمه ويسقيه، ويؤويه، ولا يقر بذلك، فصار الإله في حقه وفي اعتقاده كأنه معدوم"[(١)].

أما المؤمن فهو دائماً يعرف نعم الله عليه ويعلم أنها لا تعد ولا تحصى، ويستشعر بها وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل إنسان لأن استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان تجعله راضيًا عن نفسه، أعنى عن وجوده ومكانه في الكون، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله.

وهو راض عن ربه، لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة، لم يخلق شيئًا لهوًا، ولم يترك شيئًا سدى، له الملك، وله الحمد، نعمه عليه لا تُعدُّ، وفضله عليه لا يُحدُّ، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائمًا هذا الثناء الذي ردده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿ ٱلَّذِى

---

(١) المفهم ٧/٤٥.

خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1]،[2].

ثانيًا - من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي".

قال الطيبي: فالمعنى أن نحمد الله تعالى على أن عرفنا نعمته، ووفقنا لأداء شكرها، فكم من منعم عليه لم يعرفها فكفر بها، وكذلك الله مولى الخلق كلهم بمعنى أنه ربهم، ومالكهم، لكنه ناصر المؤمنين، ومحب لهم، فالفاء في "فكم" لتعليل الحمد[3].

قال النووي: "آوانا" هنا رحمنا[4]. فقوله: "كم ممن لا مؤوى له" أي لا راحم ولا عاطف عليه[5].

قال ابن عثيمين: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي» يحمد الله عز وجل الذي أطعمه وسقاه، فلولا أن الله عز وجل يسر لك هذا الطعام وهذا الشراب ما أكلت ولا شربت، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[6]، فتحمد الله الذي أطعمك وسقاك ((الحمد لله

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨٢.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١١٠-١١١

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥٩٦.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٧٠.

الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا)) كفانا يعني: يسَّر لنا الأمور وكفانا المؤونة، وآوانا أي: جعل لنا مأوى نأوي إليه، فكم من إنسان لا كافي له ولا مَأوَى، أو ولا مُؤْوِي، فينبغي لك إذا أتيت مضجعك أن تقول هذا الذكر[١].

قال ابن القيم (قال الهروي: الشكر: اسم لمعرفة النعمة. لأنها السبيل إلى معرفة المنعم، ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا فمعرفة النعمة: ركن من أركان الشكر، لأنها جملة الشكر والاعتراف بنعمة المنعم، والثناء عليه بها والخضوع له ومحبته، والعمل بما يرضيه فيها. وقوله: "لأنها السبيل إلى معرفة المنعم". يعني أنه إذا عرف النعمة توصل إلى معرفة المنعم بها. وهذا من جهة معرفة كونها نعمة، لا من أى جهة عرفها بها، ومتى عرف المنعم أحبه، وجد في طلبه، فمن عرف الله أحبه لا محالة، ومن عرف الدنيا أبغضها لا محالة.

وعلى هذا: يكون قوله: "الشكر اسم لمعرفة النعمة"، مستلزمًا لمعرفة المنعم، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره[٢]، وحمد العبد ربه وشكره على نعمه يزيد النعمة. قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٣]، فينبغي على المدعو أن يعلم نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى وأن يحمده ويشكره عليها.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٤.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٥٨١.

(٣) سورة إبراهيم، آية : ٧.

الحديث رقم (١٤٦٦)

١٤٦٦- وعن حذيفة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إذَا أرَادَ أنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللّٰهُمَّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ورواه أَبُو داود[2]؛ من رواية حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، وفيهِ أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة أشارت إلى جملة من أذكار الرسول ﷺ التي كان يحافظ عليها عند النوم، وتنوع هذه الأذكار فيه تيسير على الناس حتى يقول كل واحد منهم ما يستطيع حفظه، وما يناسب حاله، وهو أيضا من فتح باب الخير لأصحاب العزائم الذين يطمحون إلى الثواب الجزيل، والذين يعملون بكل هذه الأذكار، وهي في جملتها لا تستغرق طويل زمن، وهذا الحديث يشير إلى هيئة نوم رسول الله ﷺ مع تضمنه للدعاء المرافق لحالة النوم وكما قلنا سابقا - أن استخدام كان، وأسلوب الشرط يشير إلى الاعتياد، والمواظبة على الفعل (كَانَ إذَا أرَادَ أنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ) وأسلوب الشرط يربط إرادة النوم بوضع اليد اليمنى تحت الخد وقول الدعاء المذكور، وهو من عادته في التيمن ﷺ في كل شيء، والنوم على الشق الأيمن، والنوم عليه أسرع إلى الانتباه لعدم استقرار القلب حالتئذ فإنه بالجانب الأيسر فيتعلق، ولا يستغرق في النوم بخلاف النوم على الأيسر، لأن القلب لاستراحته

---

(١) برقم (٣٣٩٨). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٥٠): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) برقم (٥٠٤٥). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/١١٥): وأخرجه أيضًا النسائي (الكبرى ١٠٥٣٠): وسنده صحيحٌ.

يستغرق فيبطئ الانتباه والنوم عليه وإن كان أهنأ لكن إكثاره يضر القلب لميل الأعضاء إليه، وقوله (اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ) دعاء فيه توجه بكامل التضرع والخشوع جسَّدته صيغة (اللهم) تبعه أسلوب الأمر الدعائي (قني) والتعبير بالوقاية يوحي بالحماية، والمنع، والحفظ من الأسباب الموصلة للهلاك من الذنوب، وغيرها، وتخصيص الوقاية بيوم البعث لشدة هوله وحاجة الناس لمن يدفع عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده:

يتضح ذلك في قول حذيفة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

وقد ورد الكثير من الروايات عن الصحابة ﷺ تبين حال النبي ﷺ في رقوده وما يقوله من أذكار وهذا يدل على حرصهم عن بيان أحواله ﷺ في رقوده لأمته،وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ بالتبليغ عنه فقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[1].

قال ابن حجر: "وقال في الحديث: (ولو آية)، أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ"[2].

قال المباركفوري: "أي: ولو كان المُبَلَّغ آية قال في اللمعات: الظاهر أن المراد آية القرآن، أي: ولو كانت قصيرة من القرآن، والقرآن مبلغ عن رسول الله ﷺ لأنه الجائي به من عند الله ويفهم منه تبليغ الحديث بالطريق الأولى فإن القرآن مع انتشاره وكثرة حملته وتكفل الله بحفظه لمَّا أُمرنا بتبليغه فالحديث أولى"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٢) فتح الباري ٥٧٥/٦.

(٣) تحفة الأحوذي ٢٠٣١/٢.

إن الصحابة ﷺ صحبوا رسول الله ﷺ وأحبوه، ومن تمام محبة النبي ﷺ وتعظيمه: الحرص على نشر السنة وتبليغها، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[١]، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مثل ما بَعَثَني اللَّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللَّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللَّهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْت به))[٢].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية -المشار إليها في الحديث-، فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا مع حفظه للعلم فانتفع أولاً ونفع ثانيًا فهو لا شك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعيًا لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس. ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه، ولا شك بأن الابتداع في دينه من خوارم المحبة الصادقة، ولهذا قال النبي ﷺ: ((مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ فيهِ فهوَ رَدٌّ))[٣].

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء، أنهم يزعمون أن الابتداع في دين النبي ﷺ من تمام المحبة له، وهذا جهل عظيم، فالمحبة تقتضي التسليم للمحبوب، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه.

ولهذا تجد أن المبتدع لا يحب نشر السنة النبوية، ويسعى لكتمانها، قال ابن تيمية:

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧.

"من المعلوم أنه لا تجد أحدًا ممن يَرُدُّ نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يَرِدْ، ولو أمكنه كشطُ الحديث من قلبه ما تردد. وقيل عن بعض رؤوس الجهمية - إما بشر المريسي أو غيره -: أنه قال: ليس شيء أنقص لقولنا من القرآن، فأقروا به في الظاهر، ثم حرفوه بالتأويل. ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافًا لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه"[1].

تلك أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه، تُقاس بها درجة التعظيم وتفحص بها حرارة المحبة، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين أجمعين على التزامها ما حيينا[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

إن تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى ظاهر في دعائه لله عز وجل، ومما يؤكد على ذلك أنه كان يدعو بهذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي. وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي. وَخَطَئِي وعَمْدِي. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي)، إلى قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: أنا متصف بهذه الأشياء اغفرها لي، قيل: قال تواضعًا وعد على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو وقيل: ما كان قبل

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٢١٧ - ٢١٨.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٨، ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا لأن الدعاء عبادة"(١).

وقال المحاسبي: "الملائكة والأنبياء أشد خوفًا ممن دونهم، وخوفهم إجلال وإعظام واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض: يحتمل أن يكون قوله: (اغفر لي خطيئتي)، وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت)، على سبيل التواضع والخضوع والشكر لربه لما علم أنه قد غفر له، وقيل: قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية ليقتدى به في ذلك"(٢).

ولقد كان محمد ﷺ أعرف الناس بالله وأخشاهم لله، وأتقاهم لله، قام حتى تفطرت قدماه إجلالاً وشكرًا لمولاه، ولقد عظمت الأحاديث وكثرت الآثار والأخبار التي رويت عن النبي ﷺ مما يحمل في طياته التعظيم والإجلال للواحد المتعال"(٣).

وللكلام الإنساني درجة حرارة معينة يموت دونها فلا يترك أثرًا، ولا يبلغ هدفًا، وعندما يذكر محمد ﷺ ربه راغبًا أو راهبًا يشتد النبض في الكلمات المناسبة، وتحتد العاطفة في المشاعر الحارة فلا يملك قارئ أو سامع إلا أن يخشع، ويستكين لله رب العالمين، وذلك واضح بيّن في مئات الأحاديث المروية عنه ﷺ، ولا سيما في الأذكار والأدعية، ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث: ((اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ. وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي. أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ. وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ))(٤).

وقوله إذا خرج من بيته: ((بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٢/١١.

(٣) انظر: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/٢ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧ واللفظ له.

(٥) أخرجه النسائي ٥٤٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٥٠٦١)

وقوله إذا أوى إلى فراشه: ((اللَّهُمَّ أَسْلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، والجأْتُ ظهري إِلَيْكَ، رغبةً ورهْبَةً إليكَ، لا ملجأَ ولا منجى مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ، آمنتُ بكتابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ))[1].

إلى غير ذلك من هذه الكلمات والعبارات والأذكار والدعوات التي تصل المرء بربه، وتعمر بذكر الله وقته، وتحيي فؤاده، وتجلي بصيرته، وتزرع في قلب المؤمن الأنس بالله والمهابة والخشية من الله[2].

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٥.

(٢) انظر: "الله" أهل الثناء والمجد ص ٢٤٩ - ٢٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ذكر الله عند النوم:

إن تحصين النشء المسلم بالأذكار الشرعية عند النوم، من أهم ما يجدر بدعاة التربية والتوجيه غرسه في بناء نفوس المتعلمين والمتربين، وهذا ما تراءى جليًا في مجمل أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ...إلخ».

"وغرس الأذكار الشرعية في نفوس المتعلمين، يكون بإلقائها إليهم إن كانوا صغارًا، وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين، وتبيين فضلها، وتعويدهم على الاستمرار عليها"(١).

"وعلى المربي أن يعلم أن الغاية من ذلك، هي استحضار عظمة الله سبحانه على الدوام، فإن تحقق ذلك اجتهد في تربية أبنائه وطلابه على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في القلوب، ليخشوه في السر والجهر، والمتقلب والمثوي، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة... وفي كل مكان... ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال: "﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢).

ولا شك أن المتربي إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ مُخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا.. فلا يقع في معصية، ولا يرتكب فاحشة، ولا يعمل ذنبًا... وهذا... والله - غاية الصلاح والتقوى في المتربي(٣).

وذلك فضلاً عن أن ذكر الله يجعل المتربي في أنس دائم بربه، ونعيم موصول

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ١٢٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٢٨/٢.

بقربه، يحسُّ أبدًا بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاشرين ينشد ما قاله العبد الصالح:

إنَّ قلبًا أَنْتَ ساكِنُهُ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى السُّرُجِ
وَجْهُكَ المأْمولُ حجّتنا يوم يأْتي الناس بالحُجَجِ [١]

ثانيًا- التربية على تذكر الموت:

لقد عدَّ الشارع الحكيم النوم وفاة وموتًا، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[٢]، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "باسمك اللهم أحيا وأموت"، وذلك إذا أوى ﷺ إلى فراشه وفي ذلك تربية للنفس على تذكر الموت، الذي يكون به صلاح حال المتربي، وعدم غفلته عن خالقه، وقصر أمله، وإخلاصه في عمله.

لذا وجب غرس ذكر الموت في نفس المتربي، وبيان "أن الموت مصرعه والتراب مضجعه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، فيستعد له بصالح الأعمال، وجميل الفعال، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب[٣]، وكان من ذلك قول النبي ﷺ - في حديث الباب - إذا أوى إلى فراشه: "باسمك اللهم أحيا وأموت".

ثالثًا- التربية بالترغيب:

لقد استخدم النبي ﷺ الترغيب كوسيلة من وسائل التربية في حديث الباب من قوله ﷺ: "... فإن مت، مت على الفطرة"، ترغيبًا منه ﷺ في الحفاظ على ذكر الله عند النوم، والترغيب كوسيلة تربوية "هو القوة المحرضة" الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير"[٤].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٠١، ١٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢٨٤٦/٦.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠.

وقد أفرد علماء التربية نماذج تعين المربي على التربية بالترغيب، منها ما يلي:

١ - الكلمة الطيبة التي تحمل معاني التشجيع والتحفيز.

٢ - الجائزة العينية.

٣ - المدح والثناء أمام الآخرين.

٤ - المناداة للمتربي بأحب الأسماء إليه.

٥ - قبول آرائه واقتراحاته ومناقشاتها[1].



(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢١٩-٢٢٢.